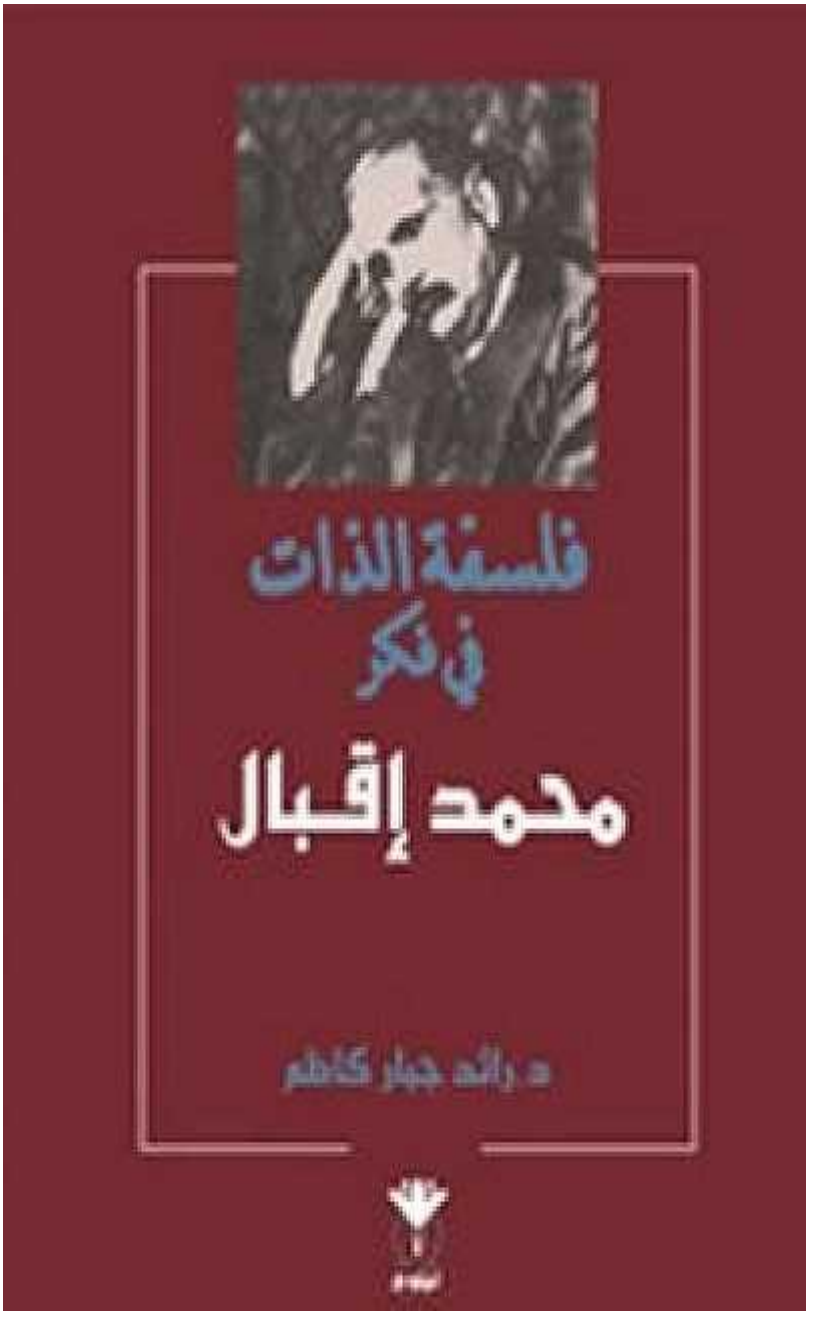
فلسفة الذات
في فكر
محمد إقبال
د. رائد جبار كاظم

اسم الكتاب: **فلسفة الذات في فكر محمد إقبال**
اسم المؤلف: **د. رائد جبار كاظم**
جميع الحقوق محفوظة
١٠٠٠/٢٠٠٩م ـ ١٤٢٩هـ

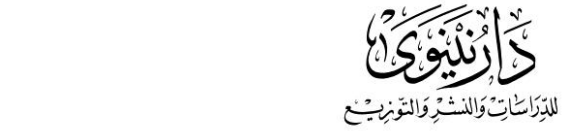


سورية ـ دمشق ـ ص ب ٤٦٥٠
تلفاكس: ٥١٣٦٥٢٦ ١١ ٩٦٣ +
٥١٤١٦٠٥ ١١ ٩٦٣+
موبايل: ٠٠٩٦٣٩٣٣٤٤٩٧٣٤
E-mail:ninawa@scs-net.org

العمليات الفنية: التنضيد والإخراج والطباعة
وتصميم الغلاف في مطبعة دار نينوى
القسم الفني دمشق ـ سوريا
القياس ١٧.٥ × ٢٤
عدد الصفحات: ١٩٦
لوحة الغلاف: صورة الفيلسوف محمد إقبال

---

**• لا يجوز نقل أو اقتباس، أو ترجمة، أي جزء من هذا الكتاب، بأية وسيلة كانت، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.**

د. رائد جبار كاظم

# فلسفة الذات في فكر محمد إقبال

# الإهـــــداء

**إليك أيها الإنسان...**
**إليك أيها الكبير في كل شي،فكراً، وأدباً وخلقاً**
**إليك مدني صالح... حباً واحتراماً وإكراماً.**

**رائـــد**

**أأنت في مرحلة (( الحياة )) أم ((الموت )) أم الموت في الحياة ؟**
**أنشد العون من شهود ثلاثة لتتحرى حقيقة (( مقامك ))**
**أولها عرفانك لذاتك**
**فأنظر نفسك في نورك أنت**
**والثاني معرفة ذات أخرى**
**فأنظر نفسك في نور ذات سواك**
**والثالث المعرفة الإلهية**
**فأنظر نفسك في نور الله**
**فإذا كنت ثابت الروع في حضرة نوره**
**فأعتبر نفسك حياً باقياً مثله .**
**إنه لحق وحده من يجسر على رؤية الله وجهاً لوجه**
**(( والصعود )) أي شيء هو ؟ ليس سوى بحث عن شاهد قد**
**يؤكد حقيقتك نهائياً**
**شاهد بيده وحده أن يجعلك خالداً**
**وما من أحد يقدر على الوقوف رابط الجأش في حضرته**
**ومن أستطاع ذلك فأنه ذهب خالص**
**أأنت مجرد ذرة من تراب ؟**
**أشدد عقدة ذاتك**
**وأستمسك بكيانك الصغير**
**ما أجل أن يصقل الإنسان ذاته !**
**وأن يختبر رونقها في سطوع الشمس**
**فأستأنف تهذيب إطارك القديم**
**وأقم كياناً جديداً**
**مثل هذا الكيان هو كيان الحق**
**وإلا فذاتك لا تزيد على أن تكون حلقة من دخان .**

**محمد إقبال. تجديد التفكير الديني في الإسلام. ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .**

# الفـــــهرس


الإهداء ..... ٥
المقدمة ..... ١٣
الفصل الأول: محمد إقبال حياته وآثاره وأفكاره ..... ١٩
المبحث الأول: البيئة العامة لعصر إقبال ..... ٢٣
الحالة السياسية ..... ٢٣
الحالـــة الاجتماعيـــة ..... ٢٧

الحالة الثقافية والفكرية ..... ٣٠
المبحث الثاني: محمد إقبال من المهد إلى اللحد ..... ٣٣
حياة إقبال الشخصية والأسرية ..... ٣٧

حياة إقبال الدراسية والعلمية ..... ٤٠

نشاط إقبال الفكري والسياسي ..... ٤٣
مؤلفاته الشعرية والنثرية ..... ٤٦
مرضه ووفاته ..... ٤٨
المبحث الثالث: أضواء على فكر إقبال ..... ٥٣
إقبال الفيلسوف ..... ٥٥
إقبال الصوفي ..... ٥٧
الفن عند إقبال ..... ٥٩
إقبـال والمـرأة ..... ٦١
إقبال وحركة التجديد ..... ٦٣
الأدب الفلسفي عند إقبال ..... ٦٥

الفصل الثاني: فلسفة الذات عند محمد إقبال..... ٦٧

المبحث الأول: الذات (خودي) عند إقبال..... ٦٩
الذات ودلالاتها..... ٧١
الذات في الفكر الفلسفي..... ٧٤
دوافع فلسفة الذات لدى إقبال..... ٧٩
المعنى العام لفلسفة الذات لدى إقبال..... ٨٢
سبب إختيار إقبال لمصطلح (خودي) ومعناه..... ٨٤
إثبات الذات عند إقبال..... ٨٧
ما الذي يقوي الذات وما الذي يُضعفها..... ٩٠
أ ـ ما يقوي الذات..... ٩٠
ب ـ ما يضعف الذات ..... ٩٣
مراحل تربية الذات..... ٩٥
المبحث الثاني: اللاذات _ نفي الذات _ (بيخودي ) عند إقبال..... ١٠٣
نشأة الأمة الإسلامية،وكمل تربيتها بالنبوة ..... ١٠٥
أركان الأمة الإسلامية..... ١٠٧
لا تنتظم الأمة إلا بشريعة، وشريعة الأمة المحمدية القرآن..... ١٠٩
حاجة الأمة لمركز محسوس،ومركز الأمة الإسلامية البيت الحرام ..... ١١٠
المبحث الثالث: مصدر فلسفة الذات الأقبالية..... ١١٥
١ ــ الفلسفة الهندية..... ١١٦
٢ ــ التصوف الإسلامي ..... ١١٧
أ ــ الحُسين بن منصور الحلاج ..... ١١٧
ب - جلال الدين الرومي ..... ١٢٠
ج - عبد الكريم الجيلي..... ١٢١
٣-الفلسفة الغربية..... ١٢٤
جوهان جوتليب فخته..... ١٢٤
فردريك نتشه..... ١٢٦
ج- هنري برجسون..... ١٢٩

الفصل الثالث: محمد إقبال في الثقافات العالمية..... ١٣٣

المبحث الأول: إقبال في الثقافة العربية..... ١٣٥
المبحث الثاني: إقبال في الثقافة الغربية..... ١٥٣
المبحث الثالث: إقبال في الثقافتين الهندية والباكستانية..... ١٦٣
الخاتمة..... ١٧٣
قائمة المصادر باللغة العربية..... ١٧٩
الموسوعات والمعاجم والقواميس..... ١٨٩
الرسائل الجامعية..... ١٩١
الدوريات..... ١٩١
المصادر باللغات الأجنبية..... ١٩٤
الموسوعات الأجنبية..... ١٩٥

# المقـــدمة

للفلسفة الإسلامية مكانة بارزة ومرموقة في تاريخ الفكر الفلسفي عامة.وقد تعرضت هذه الفلسفة للنقد والطعن والتجريح من العديد من الدارسين ، غربيين وشرقيين، ونالت استحسان وإعجاب آخرين ، وكان الدارسون في موقفهم منها على فريقين ،فمنهم من يرى عدم وجود فلسفة إسلامية مبدعة ومنتجة،بل هي فلسفة تابعة، كونهُ يرى يونانية وغربية الفلسفة ،وانهُ يقول بمعجزة العقل اليوناني والغربي . والفريق الآخر يرى أصالة الفلسفة الإسلامية وأنها ذات قيمة أسلامية وأن هذه الفلسفة بنت البيئة والظروف الداخلية للمجتمع الإسلامي ، وللعقل المسلم مكانته ودوره البارز في تاريخ الفكر .وقد قدمت وأنجبت الفلسفة الإسلامية فلاسفة كبار كان لهم الشأن والفضل الكبير ليس على الفكر الفلسفي العربي والإسلامي فحسب،بل والفلسفة الإنسانية عموما.

والحقيقة أن التفكير الفلسفي لا يختص بجنس دون آخر،وإنما هو حق مشاع للجميع. وكل ما يقوله أصحاب الفريق الأول إنما هو نوع من الكلام الاعتباطي الذي لا يستند على أي دليل، فما دام كل إنسان يملك عقلاً فلا بد أن يتفلسف ، فالتفلسف وظيفة إنسانية خُص بها الإنسان دون غيره من المخلوقات .

ونحن هنا نقدم لفلسفة فيلسوف أشغل الدنيا وما زال شاغلها بذكره وفكره ، وهو يمثل حلقة أساسية من سلسلة الفلسفة الإسلامية وفلاسفة الإسلام العظِام، ونحنُ إذ نقدم لهذا الفيلسوف وفلسفته فأننا نرى فيه – كما رأى المفكرون والفلاسفة والأدباء – فيلسوف الإسلام المعاصر بلا منازع، وانه نال أعجاب وإطراء وثناء العديد من قادة وزعماء الفكر والأدب والسياسة ،إن هذا الفيلسوف هو محمد إقبال ،وفلسفته هي فلسفة الذات.

إن لإقبال مكانته الكبيرة في الفكر الإسلامي والانساني،شرقا وغربا،ولفلسفته - فلسفة الذات - المكانة الأكبر بين كل هؤلاء، فهي تمثل ثورة سياسية واجتماعية

وفكرية وذاتية على الذات الإنسانية بكافة جوانبها، كون إقبال رأى أن في كل هذهِ الجوانب تسود روح الضعف والانحلال، وان الإنسان الذي خصهُ الله تعالى بالخلافة وحمل الأمانة، وبالتفضيل والكرامة ، أصبح متسولاً، مرذولاً منبوذاً من كل الطبقات ،فلهذا أخذ إقبال على عاتقه إعادة بناء الإنسان أنى كان، الإنسان في كل مكان، فكانت بداية دعوته وطنية، لكنها صارت بعدئذٍ دعوة عالمية إنسانية، فالإنسان الهندي ليس هو وحده المقهور والمغلوب والمشرد والمجُوع في هذه الأرض ،بل مثله مثل العديد من أبناء جنسه الذين مسهم الضُر والظلم والحرمان، فما أحراهم أذن إلى قائد ومفكر وإنسان يفك عنهم الأغلال التي في أيديهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويضع لهم فلسفة تنتشلهم مما هم فيه، فكان صوت إقبال وفلسفته هما المنقذان للإنسان .

كانت هناك أسباب ودوافع عديدة دفعت الباحث لاختيار هذهِ الدراسة ، واختيار هذا الفيلسوف وهذه الفلسفة ومنها :-

١. رأينا من خلال قراءتنا ودراستنا لتاريخ الفلسفة الإسلامية أن هذه الفلسفة تقف عند حدٍ معين من الفلاسفة، وكأن الفكر والتفلسف قد خُتم بهؤلاء، وانتهى الفكر الإسلامي إلى هذا الحد. وكأنهم قد خُصوا دون غيرهم بالتفلسف، فوجدنا انه من الواجب علينا أن نبطل هذه الدعوة وان نزيل الغبار عن الحقائق ، وأن نؤكد وجود فلسفة إسلامية معاصرة لها آثرها وصوتها ومكانتها بين فلسفات الدنيا أجمع ،فوقع اختيارنا عندئذٍ على محمد إقبال كونه أحدث نقلة نوعية في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي، وكان لفلسفته طابع نهضوي، بناءي، تقدمي، تجديدي، وحظيت باهتمام الكثيرين.

٢. إن فلسفة إقبال في الذات التي تحمل الطابع التجديدي، النهضوي، البنائي،التقدمي، تهدف إلى إعادة صياغة وبناء الإنسان ، وهي تمثل برنامجاً أخلاقياً ، تربوياً ، نفسياً ، اجتماعياً . فما أحرانا اليوم إلى هذه الفلسفة التي تدعو إلى الأصالة والمعاصرة ، والى بنائنا بناءً سليماً ، فرداً ومجتمعاً. ونجد أن هذهِ الدراسة تمثل واجباً علمياً وثقافياً وتربوياً وأكاديمياً، وخدمة كبيرة للثقافة العربية والإسلامية. فقد أكد الدارسون لإقبال ضرورة دراسته ونشر فكره وفلسفته لينال مزيداً من الشيوع والذيوع والمعرفة لدى الآخرين.

٣. كانت أمنية إقبال أن يعرفه العرب لأنه ناضل من أجل العرب والعروبة وأحبهم حباً جماً، وأن لم يكن عربياً، فحز في نفسهِ عدم معرفة العرب لهُ على الرغم مما عمل من أجل نهضتهم وتقدمهم ، فقد سبق الغرب العرب في معرفة إقبال وتعريفه للثقافة الغربية، وهذا في نظرنا عيب وأثم ثقافي كبير، لذا جاءت هذه الدراسة تكريماً عربياً، وعرفاناً بالجميل لهذا الفيلسوف المسلم الذي خدم الثقافة العربية والإسلامية خدمة جليلة .

٤. إننا نريد أن نؤكد ديمومة واستمرارية الفكر الفلسفي الإسلامي ،وأنه نهر معطاء مليء بالدرر والكنوز، فالغرب يعتقدون أنهم وحدهم أصحاب الفكر والفلسفة، وان الشرق والمسلمين لا فكر لديهم ولا فلسفة، لذا جاءت هذه الدراسة لتؤكد إبداع الفكر الفلسفي الإسلامي المعاصر .

هذه أهم الدوافع والأسباب التي كانت وراء اختيار هذهِ الدراسة.

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة فصول بمباحثها.

سيتناول الفصل الأول حياة إقبال وآثاره وأفكاره. ففي المبحث الأول منهُ سنعرض للبيئة العامة لعصر إقبال سياسياً واجتماعياً وفكرياً.

وفي المبحث الثاني سنعرض لحياة إقبال الشخصية والعلمية ومؤلفاته ونشاطه الفكري والسياسي.

وفي المبحث الثالث سنسلط الضوء على فكر إقبال فيلسوفاً ومتصوقاً وشاعراً ومصلحاً ومجدداً وأديباً .

أما الفصل الثاني فسندرس فيه فلسفة الذات عند محمد إقبال ،ففي المبحث الأول سندرس تعريف الذات ودلالاتها من خلال المعاجم والقواميس المختلفة ، وفلسفة الذات في الفكر الفلسفي واثبات الذات ( خودي ) عند إقبال .

أما المبحث الثاني فسندرس فيه القسم الثاني من فلسفة الذات وهو (بيخودي) اللاذات أي علاقة الفرد بالمجتمع .

وفي المبحث الثالث سنبين أهم المصادر والمنابع التي استقى إقبال منها أصول فلسفته الذاتية، هندية، وإسلامية، وغربية.

أما الفصل الثالث فسيتناول إقبال في الثقافات العالمية، فالمبحث الأول منهُ سيتناول إقبال في الثقافة العربية وآراء أبرز القادة والمفكرين والأدباء في إقبال وفلسفه الذات .

أما المبحث الثاني فسيتناول إقبال في الثقافة الغربية وما قيل فيه وفي فلسفته من قبل رجال الفكر والثقافة الغربيون .

أما المبحث الثالث فسيتناول إقبال في الثقافتين الهندية والباكستانية، وآراء أبرز القادة والزعماء والمفكرين فيه وفي فكره وأدبه وفلسفته .

وفي الخاتمة سنعرض لأبرز النتائج التي توصلنا أليها في رسالتنا هذهِ .

إن فلسفة الذات عند إقبال تمثل محور فلسفته وجوهر فكره وهي وأن تمثل جانباً من جوانب فكر إقبال إلا أنها تُعد المرحلة الأولى التي ينطلق منها الباحث والدارس والقارئ لمعرفة أفكار وآراء إقبال الأخرى.

فلإقبال آراء وأفكار في العديد من جوانب الفكر ومباحث الفلسفة ،يود الباحث دراستها مستقبلاً والعرض لها إن شاء الله كما نرجو من الباحثين والدارسين الخوض في هذهِ المواضيع والتوجه نحو إظهار فكرنا وفلسفتنا الإسلامية المعاصرة والخوض في كل ما هو جديد ،وكل ما يؤدي إلى بناء الإنسان والإنسانية أجمع .

وقد واجهت الباحث العديد من الصعاب والعوائق في إعداد عمله هذا، فإقبال وأن كان واسع التأليف، ويتميز بكثرة الدراسات والكتب التي تناولته بالبحث والتحليل،إلا أنه تبين لنا صعوبة جمع المادة والحصول على هذهِ المصادر من أماكنها،البعيدة والقريبة، ولاسيما الدراسات الحديثة، ولذا قمنا ببذل الوسع والجهد، من المراسلة والترجمة، للحصول عليها لإغناء دراستنا هذهِ .

وكان الوصول إلى جمع المادة العلمية شاقاً جداً، فقمنا بالبحث في بطون الكتب والدوريات والموسوعات والرسائل الجامعية ،العربية منها والأجنبية، وكان هدفنا من هذا كلهُ هو أظهار هذهِ الدراسة بالمظهر اللائق والمقبول لننال الأجر والثواب في الدنيا والآخرة ،﴿ وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ سورة التوبة. الآية ١٠٥ .

ولابد من الإشارة إلى أن أصل هذا الكتاب هو عبارة عن رسالة أعدها الباحث لنيل درجة الماجستير في الفلسفة من جامعة بغداد ـ كلية الآداب.وقد جرت تحت إشراف الأستاذ

**مدني صالح(رحمه الله) الذي كان لهُ الدور الكبير في توجيه الباحث وإرشاده ،فجزاه الله أفضل الجزاء والثواب.**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين .**

# الفصـــل الأول

# محمد إقبال حياته وآثاره وأفكاره

## المبحث الأول: البيئة العامة لعصر إقبال

### الحالة السياسية

### الحالة الاجتماعية

### الحالة الثقافية والفكرية

# الفصـل الأول

# المبـحـث الأول

# البيئة العامة لعصر إقبال

## الحالة السياسية:

يُعد البحث في البيئة والحياة العامة لأي مفكر جزءاً ضرورياً من متممات البحث وأي دراسة يقوم بها الباحث،فالإحاطة بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية لعصر الفيلسوف وأي مفكر تحملنا إلى فهم عصره والأسباب التي كانت وراء أقامة فكره وتكوين ثقافته، ويُعد البحث في هذهِ الأحوال امراً أساسيا لابد منه. ولذلك سندرس البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية لعصر إقبال .

ففي سنة ١٨٥٧ م حدثت ثورة الهند الكبرى المعروفة بثورة ( سباهي ) أي العصيان ،وكادت تفتك بالإنكليز لولا التفوق العسكري الذي كانت تمتاز به القوات البريطانية،وبعد فشل الهنود في هذهِ الثورة بدأ الانكليز بالقضاء على المسلمين ومصادرة أملاكهم ومنعهم من وظائفهم ومعاملتهم معاملة وحشية وقاسية .[١]

وقد حملَّ الإنكليز المسلمين مسؤولية تأجيج الشعب ضدهم وإضرام نار الثورة،غافلين عما كانوا يفعلونه بين الهندوس والمسلمين من نشر الشقاق والتفرقة بينهم، وعدَّ الإنكليز المسلمين العدو الأول لهم، ولهذا عملوا على إجهاض حركاتهم ودورهم الفعال في تنشيط الثورة.وأعترف (اللورد اللنبورو) بذلك فقال : ( ليس في وسعي أن اغفل ما أوقن به أن هذا العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا . وينبغي أن تتجه سياستنا إلى تقريب الهندوس )[٢] وقد أضطهد الانكليز مسلمي الهند أشد الاضطهاد ومارسوا معهم جميع ألوان العذاب ، وهذا ما أكده جواهر لال نهرو إذ قال: ( بعد سنة ١٨٥٧ م ،كانت اليد القوية للبريطان

---

(١) د. عبد القهار داود العاني. الفكر الإسلامي الحديث .ط ١ مطبعة عصام. بغداد، ١٩٨٦ م .ص ٦١ . وعبد المنعم النمر . تاريخ الإسلام في الهند . ط١، دار العهد الجديد . ١٣٧٨ هـ -١٩٥٩ م ،ص ٤٢٧ –٤٢٨ .

(٢) عباس محمود العقاد . الإسلام في القرن العشرين . ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت . ١٩٦٩ . ص ٧٦

أشد وطأة على المسلمين من الهندوس)[١].

ونتيجة تلك السياسة التي مارسها الإنكليز مع المسلمين في الهند، أُبعد المسلمون عن وظائفهم ، وسُدت في وجوههم السُبل.

فتخلفوا في ميدان الثقافة والتعليم كما تأخروا في ميادين الاقتصاد والسياسة ، بعدما كانوا أصحاب السلطة والقيادة الفكرية والشأن العظيم في المجالات السياسية والاجتماعية والإدارية كافة[٢] . وأخذ المفكرون المسلمون يَعون الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين من سياسة العزلة التي لمسوها في حياة المسلمين ، ورأوا أن طابع العزلة قد اظرّ َبهم وأبعدهم عن الحياة وعزلهم عن المجتمع الهندي ، وروا أن الحل الوحيد هو الاندماج في الحياة وممارسة العلاقات الحسنة مع الهندوس والاستفادة من مؤسسات التعليم الغربية .

وكان من أبرز الدُعاة لهذه الأفكار السيد أحمد خان * (١٨١٧ ــ١٨٩٨ م ) الذي عدُّه الباحثون بمثابة السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدة، لمسلمي الهند[٣].

فقد أستطاع هذا المُصلح بأفكاره وبسياستهِ إخراج الناس من سياسته العزلة والاغتراب،[٤] وإدخال أساليب جديدة في التربية والتعليم ، القائمة على أساس الأخذ بالحضارة والعلوم الغربية ، فكانت غايتة أن يوفق بين معطيات الحضارة الغربية والقيم الإسلامية [٥] فسعى احمد خان إلى تنفيذ فكرته والعمل على تحقيق كل ما يرفع

---

(١) د. احمد معوض. العلاقة محمد إقبال حياته وآثاره . الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٠ م . ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) محمد إقبال . ديوان والآن . . ماذا نصنع ؟ يا أمم الشرق ترجمه نشراً . محمود احمد غازي .وشعراً الصاوي علي شعلان .ط١،دار الفكر.دمشق .سوريا ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨ م . المقدمة بقلم د. أحسان حقي . ص ٦-٧.

* السيد أحمد خان ( ١٨١٧ – ١٨٩٨ م) مصلح شهير حاول بعد فشل ثورة الهند الكبرى عام (١٨٥٧ م) أن يبعث الأمل في صفوف المسلمين الهنود وان يقرب إليهم الحضارة الأوربية، وأسس عام ١٨٧٥ م في مدينة عليكرة، جامعة عليكرة التي شارك في التدريس بها الكثير من المستشرقين الغربيين .وكان له الدور الكبير في إغناء الحركة الفكرية والسياسية والتعليمية في الهند . بنظر : د. ماجد فخري . تاريخ الفلسفة الإسلامية تر : د. كمال اليازجي . الجامعة الأمريكية – بيروت . ١٩٧٤ . ص ٤٧٥ .

(٣) محمد الكتاني . محمد إقبال مفكراً إسلامياً . ط١ ، دار الثقافة الدار البيضاء . المغرب . ١٩٧٨ . ص ١٠ – ١١ .

(٤) ينظر : يوهان فوك . إقبال وحركة التجديد الإسلامية الهندية . مقال في مجلة فكر وفن . العدد ٣٢ . السنة ١٦ . ١٩٧٩ .ص ٣٣

(٥) محمد الكتاني . المصدر السابق . ص ١١ .

من مستوى ثقافة ووعي المسلم الهندي ، فأسس في عام ١٨٧٥ م في مدينة عليكرة ،الكلية المحمدية الأنجلو شرقية وكانت هذهِ الكلية تقدم للدارسين ثقافة حديثة على النسق الإنكليزي،[١] وسميت فيما بعد بجامعة عليكرة.

وأستقدم لهذه الكلية الأساتذة الإنكليز ومنهم السير توماس أرنولد*. وكان هدف السيد خان من كل ما قام بهِ هو جعل المسلمين على مستوى عالٍ من الوعي والثقافة ومواكبة عجلة التقدم التي أمتاز بها الغربيون ، وبدافع الأشفاق على المسلمين الذين كانوا ضعفاء في الثقافة والوعي السياسي، ومتخلفين في الحياة والاقتصاد والتعليم [٢].

وهكذا شعر المسلمون بغياب دورهم القيادي في الثقافة والسياسة والنواحي الأخرى التي كانوا يتمتعون بها سابقاً ، فأخذوا يجمعون قواهم ويوحدون صفوفهم فأسسوا الرابطة الإسلامية أو ما يسمى ( بجامعة مسلمي كل الهند ) في مدينة (دكا) عام ١٩٠٦ م[٣] وقد كان لهذه الرابطة الدور الكبير في الدفاع عن المسلمين وحقوقهم والدعوة إلى قيام دولة إسلامية مستقلة منفصلة عن الهندوس. وكان إقبال في لندن عند تأسيس الجامعة الإسلامية في الهند، وجرى تأسيس فرع للجامعة في لندن برئاسة أمير علي* وإختير إقبال عضواً في مجلس هذا الفرع، فكان هذا أول عمل سياسي يقوم به إقبال.[٤]

وتصاعد الوعي الفكري والغضب الجماهيري بضرورة رحيل الإنكليز عن الهند.

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م كان الحلفاء قد قرروا إنهاء الخلافة

---

(١) يوهان فوك . المصدر السابق . ص ٣٣ . و د . أحمد معوض العلاقة محمد إقبال .ص ١٢٠ –١٢١ .

*السير توماس أرنولد ( ١٨٦٤ –١٩٣٠ م ) مستشرق انكليزي كبير ، عمل مدرساً في كلية عليكرة بالهند ، وبعدها شغل منصب أستاذ للفلسفة في كلية لاهور وعميد لقسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن . وهو أحد أساتذة إقبال الكبار الذي كان لهُ الفضل الكبير في نبوغه وتشجيعه على أكمال دراسته العليا في أوربا ، ومن أبرز مؤلفاته كتابه الشهير ( الدعوة الى الإسلام ).

(٢) أبو الحسن الندوي . المسلمون في الهند . دار الفتح دمشق . ١٩٦٢ . ص ٩٤ –٩٥ .

(٣) د. أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ١٢٣ . وكذلك احمد عطية الله . دائرة المعارف الحديثة ، المجلد ٢ ،ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٩ . ص ٨٦٣

* أمير علي . ( ت ١٩٢٨ م ) مصلح اجتماعي وسياسي هندي كبير

(٤) د . أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ١٢٣ –١٢٤

الإسلامية في تركيا، فسخط المسلمون على هذا القرار وقامت عندئذٍ (حركة الخلافة)، بزعامة محمد على تأيداً للسلطان العثماني ودولة الخلافة الإسلامية.[١] وانفجرت الثورة الهندية مرة أخرى ضد الاستعمار الإنكليزي عقب الحرب العالمية الأولى ، بعد ما تبين للقادة الهنود ، مسلمين وهندوس كذب الوعود التي كان المستعمر قد أملَّهم بها فأندلعت الثورة الهندية سنة ١٩١٩ م وانتشرت عوامل الثورة والحقد في نفوس الهنود ضد الإنكليز، لما كانوا يعانونه من الذل والحرمان . فأتحد الهنود. مسلمين وهندوس . في الثورة ضد المستعمر مطالبين بالانجلاء عن أرض الهند وتحريرها وتحقيق استقلالها .[٢]

ومن أبرز قادة الحركة الثورية الهندية ، الزعيم الهندي غاندي ، زعيم الهندوس . ومحمد علي وشوكت علي ، زعيما المسلمين .

وأتفق هؤلاء الزعماء على مقاطعة المستوردات والبضائع الإنكليزية ،مما دعا الإنكليز إلى محاربة هذهِ الثورة وقمعها وسجن الكثير من المسلمين بتهمة التحريض على الثورة والعصيان.[٣] لقد شعر الإنكليز بخطورة الآمر فسعوا إلى إنقاذ أنفسهم قبل أن يفتك بهم الشعب الهندي ، فدعوا إلى ضرورة الأحياء الهندوسي وتنظيم شعبهم على أساس ديني قومي بدعوى أن القضايا التي تثير الجماهير في الهند هي قضايا إسلامية تتصل بالخلافة الإسلامية.[٤]

فنجح المستعمرون الإنكليز في خطتهم هذهِ وأحدثوا صراعات دامية بين المسلمين والهندوس. واستمرت سلسلة ومسلسل المستعمرين في تفكيك الوحدة الهندية، مما أضطرّ المسلمين إلى الدعوة للانفصال عن الهندوس ، وهذا ما نادى بهِ إقبال مراراً وتكراراً في خطبه ، داعياً إلى إقامة دولة أسلامية هندية مستقلة عن الهندوس.[٤]

---

(١) يُنظر : احمد معوض . العلاقة محمد إقبال . ص ١٢٧ –١٢٨ .
(٢) يُنظر : محمد الكتاني . محمد إقبال مفكراً إسلامياً . ص ١٢ .
(٣) المصدر نفسه . ص ١٢ –١٣ .
(٤) أبو الحسن الندوي . المسلمون في الهند . ص ٩٨ –٩٩ .
(٥) يُنظر : محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان . ص ٢٧ –٣٢ . ومحمد إقبال – ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق ؟ ص ٩. و د . علي حسون . فلسفة إقبال ط٢، دار السؤال للنشر .دمشق ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م . ص ١٩٨ –٢٠٠ .

وكانت غاية إقبال من أنشاء هذه الدولة غاية عظيمة، إذ يقول في خطبته التي ألقاها في الرابطة الإسلامية في مدينة الله أباد بالهند سنة ١٩٣٠: ( وأني لا أطالب بهذه الدولة الإسلامية إلا ويغمرني اعتقاد راسخ بأن هذا في مصلحة الإسلام والهند ).[١]

ثم أخذت القناعة بالانفصال تسري بفعل الظروف والأحداث إلى بقية زعماء الرابطة الإسلامية. بعدما أيقنوا أن المسلمين والهندوس لا يمكن أن يسيروا في قافلة واحدة، [٢] ومع أن إقبال نادى بالانفصال سنة ١٩٣٠ م إلا أن الرابطة لم توافق على الفكرة إلا سنة ١٩٤٠ م . وكانت قبل ذلك، تحاول أن تنتزع من حزب المؤتمر الاعتراف بحقوق المسلمين والتعهد بالمحافظة عليها، تحت راية حكم موحد يضم الجميع .ولكنها يئست من كل هذهِ المحاولات الفاشلة واتجهت إلى احتضان فكرة إقبال، وعملت على تحقيقها بالوسائل شتى وأصدر قرار تقسيم الهند إلى دولتين مستقلتين في عام ١٩٤٧ م.

وبذلك تحققت رؤية إقبال . الفردوس الإسلامي على يد القائد الأعظم محمد علي جناح،[٣] وإقبال هو الأب الروحي لهذا الفردوس – دولة باكستان .[٤]

## الحالة الاجتماعية:

المجتمع الهندي، مجتمع شعوب وطبقات، بل مجتمع مجتمعات، تكثر فيه الأديان وتتعدد فيه اللغات والألوان.[٥] فقد بلغت اللغات فيها نحو ٢٤٠ لغة و٣٠٠ لهجة ![٦] وله نظامه المتميز ، وعاداته وتقاليده وأساليبه في طرائق العيش والحياة، وأبرز ما فيه من نظام هو النظام الطبقي. ونرى أن هذا النظام نظام قديم جداً ابتدأ مع بداية

---

(١) محمد حسن الاعظمي والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان . ص ٣٦ –٣٧ . و د . علي حسون .فلسفة إقبال. ص ٢٠٠

(٢) محمد حسن الاعظمي . حقائق عن باكستان . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . ب . ت . ص ٣٧ .

(٣) عبد المنعم النمر . كفاح المسلمين في تحرير الهند . ط ١ ، مكتبة وهبة. عابدين – ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م . ص١٨٦ . و د . عبد العزيز سليمان نوار . الشعوب الإسلامية . دار النهضة العربية . ببيروت . ١٩٧٣ م ص ٥٧٤ .

ويُنظر : د . عمر فروخ . باكستان دولة ستعيش ، ط١ ، دار الكشاف للنشر .بيروت . ١٩٥١ م . ص ١٩ – ٢٠ .

(٤) أحمد عطية الله . دائرة المعارف الحديثة . المجلد الأول . ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٥ م ص ١٢٦ .

(٥) د . أحمد شلبي . أديان الهند الكبرى . ط ٩ ، مكتبة النهضة المصرية . ١٩٨٧ م ،ص٢٣.

(٦) غوستاف ( لوبون . حضارات الهند . تر : عادل زعيتر .ط١، دار إحياء الكتب العربية . ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ ص٤٧٧

الفكر الهندي القديم، الذي كان يقُسم الناس إلى أربع طبقات هي : البراهمة ، والجند ، والتجار والصناع ، والخدم والعبيد . وإن ثمة فئة وهم المنبوذون* لا يدخلون في ضمن هذا التقسيم.[١] ولكن دخول الإسلام الهند هذب أخلاقهم وأبدل نظام الطبقات بنظام العدل والأخوة والمساواة ، فلا منبوذ ،ولا نجس بالولادة ،ولا جاهل يُحرم من التعليم،[٢] فكان للإسلام كما قال نهرو أهمية عظيمة في تاريخ الهند الاجتماعي ، فقد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوسي.وأظهروا فروق الطبقات واحتقار المنبوذين ويستمر نهرو قائلاً: ( إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان يؤمن بها المسلمون أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً .وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرَّم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية )[٣] .

أذن كان الإسلام ثورة على كل الأنظمة الرجعية التي تُريد أن القضاء على وجود الإنسان وتعدمه من الحياة .

مَر بنا سابقاً –في حالة السياسية للهند – كيف كانت أحوال الهند سيئة، وكانت الفرقة تدب بين صفوفهم فتنخر كيانهم، والجهل والفقر والمرض كانت أبرز تلك المظاهر الاجتماعية التي كادت أن تؤدي بكيان الهيئة الاجتماعية إلى الاضمحلال.

وقد نجحت السياسة الإنكليزية بأن تنشر التفرقة والتعصب الديني بين الناس . وأتبعت سياسة عدوانية وهي سياسة فرَّق تسَّد ،وهذا ما أكده أحد الساسة الإنكليز،إذ قال: (فَرق تسد هو الشعار الذي ينبغي أن نلتزمه في إداراتنا الهندية)[٤].

---

* المنبوذون: هم سكان الهند الأصليون الذي لا يجري في عروقهم الدم التوراني أو الدم الآري، ويسمون ( زنوج الهند ) وقد حرمهم المجتمع الهندوسي من حقوق الإنسان ولم يسمح لهم باعتناق الهندوسية ، وكانوا في رأي الهندوس، ادنى من الحيوان . يُنظر : أحمد شلبي .أديان الهند الكبرى . ص ٥٧ .

(١) أحمد شلبي _ المصدر السابق . ص ٥٨ .

(٢) أبو الحسن الندوي . المسلمون في الهند . ص ٢٣ .

(٣) المصدر نفسه . ص ٢٣ –٢٤ وينظر كذلك . د . محمد أسماعيل الندوي . تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية .ط١ ،دار الفتح للطباعة والنشر .بيروت ص ٤٠

(٤) د . حميد مجيد هدو . إقبال الشاعر والفيلسوف الإنسان .ط١ ،مطبعة الغري الحديثة . النجف . ١٣٨٣ هـ –١٩٦٣ م .ص ٤٥ وكذلك – محمد عودة . رحلة في قلب نهرو. المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ١٩٧٣ م . ص ١١٤ - ١١٥

وأدت هذهِ السياسة إلى إحداث مشكلات كبيرة في البنية الاجتماعية الهندية. وشيوع كل أنواع وألوان الجور والتعسف وَتضَّييق سُبل الحياة على الشعب الهندي، مما أدى إلى سخط الجماهير وانفجار ثورة الهند الكبرى ـ ثورة سباهي ـ سنة ١٨٥٧م.[١]

ولم يكن حال المسلمين بأحسن من حال سائر الهنود ، بل كانوا أشد تعرضاً إلى الويلات ، والى حملات الاضطهاد والقتل والتشريد، وأقفلت أبواب الحياة بوجوههم من قبل المستعمرين [٢] ورأينا ـ فيما سبق ـ كيف أن الإنكليز حملّوا المسلمين مسؤولية انفجار ثورة ١٨٥٧ م وسخط وغضب الجماهير الهندية.فحرموا المسلمين من وظائفهم وطردوهم من أرضيهم وصادروا أملاكهم وقربوا إليهم الهندوس بحجة أن المسلمين يفسدون على الهندوس ممارسة طقوسهم وشعائرهم ويحدِثون الفرقة والشِقاق بينهم .

لقد تركت الأوضاع السياسية السيئة أثرها في الأوضاع الاجتماعية. إذ إن سوء الحكم والإدارة وسياسة القمع الاستعمارية في الهند أدت إلى انتشار المشكلات والأمراض الاجتماعية ، وإن معظم أفراد القارة الهندية كانوا يعيشون في بؤس وشقاء وُظلم وحرمان . وكانت مهنة الفلاحة هي المورد الوحيد لرزق الشعب وقوتهِ كان الفلاح الهندي مثقلاً بأعباء دفع الضرائب والرسوم التي كانت تقع عليه وحده دون غيره من طبقات المجتمع.[٣] فالإقطاعيون ( الراجات ) في الهند، كانوا يتبَّعون أنظمة إقطاعية قاسية جداً مع الفلاح ، ولم يكن هذا سوى أداة لجمع المال لهؤلاء الإقطاعيين المتُرفين الذين كانوا ينفقون الأموال الطائلة على ملذاتهم وملاهيهم ، غافلين فقر وحرمان وجوع ومرض وشقاء الشعب الهندي المُثقل بهموم الحياة وأعبائها.[٤]

وإذا كان حال الهنود هكذا فكيف أذن يتسنى لهم أن يُحسُّنوا أحوالهم الاجتماعية والثقافية، ما داموا يواصلون الليل بالنهار من أجل الحصول عل لقمة العيش لهم

---

(١) د . محي الدين الألوائي .الأدب الهندي المعاصر. ط١، القاهرة، ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ، ص ٦٣ ــ٦٤ .

(٢) د . محسن عبد الحميد . من أئمة التجديد الإسلامي . ط١، مكتبة أسامة بن زيد . الرباط . ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٦ . ص ٥٣ .

(٣) حميد مجيد هدو . إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان . ص ٤٧ .

(٤) د . محسن عبد الحميد . من أئمة التجديد الإسلامي . ص ٥٣ .وحميد مجيد هدو . أقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان . ص ٤٨

ولأطفالهم المساكين . فكان لا بد من أن يشيع التخلف والفقر والأمراض الاجتماعية بين الناس .فساءت حالة الشعب سياسياً، واجتماعياً ، واقتصادياً وثقافياً وفكرياً ولم يجدوا قاعدة قوية يستندون عليها وفقدوا كل مقومات الحياة، فما كان من إقبال أن يقف موقف الصامت المتفرج، بل راح ينشر بين صفوف الشعب من خلال قصائده وخطبه، روح الثورة وصوت الحرية ،ورشح نفسه لانتخابات الجمعية التشريعية في البنجاب سنة ١٩٢٦ م وفاز فيها بالعضوية بوساطة التأييد الذي حصل عليه من الجماهير التي أحبت فيه روح الجهاد والمجاهدين المسلمين الأوائل[١] فبيَّن في خطبه الحالة السيئة التي يعيشها الشعب الهندي عامة والمسلمون خاصة مطالباً المسؤولين بالإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي من اجل بناء الفرد والمجتمع . ولم يكن إقبال عنصرياً أو قومياً أو طائفياً في دعوتهِ الإصلاحية هذه ، بل كان إنساني النزعة، عالمي الروح ،معبراً عن إسلاميته تارة وإنسانيته تارة أُخرى ، ولم يكن يطالب بحق الهنود فحسب ، بل تراه يسعى إلى إيجاد حق وحل للإنسان أينما كان في الشرق أو في الغرب ، فكانت قضيته الأولى والأخيرة هي أيجاد الحلول للإنسان بوصفهِ كائناً اجتماعياً[٢] وكان يريد إنشاء مجتمعاً إسلامياً تختفي فيه الطبقات ويتساوى فيه الناس فوق أرض الله وتحت سمائه[٣].

## الحالة الثقافية والفكرية :

إن أبرز حركة فكرية ثقافية ظهرت في الهند هي حركة التجديد الإسلامي، وكان من ابرز قادتها : الشيخ أحمد السرهندي* ( ت ١٦٢٤ م ) والسلطان محي الدين أورنك زيب** ( ت ١٧٠٧ م ) وولي الله الدهلوي*** ( ت ١٧٦٢ ) وقد أثنى إقبال على

---

(١) شوكت عبد الوهاب . الداعية الإسلامي د. محمد اقبال . مجلة التربية الإسلامية . العدد ٢ ، السنة السادسة . بغداد –١٩٨٣ هـ – ١٩٦٤ م ص ١٠٠ . ومحمد حسن الاعظمي والصاوي علي شعلان . الإعلام الخمسة للشعر الإسلامي تحقيق د. مصطفى غالب . مسسة عز الدين . بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م . ص١٢ .

(٢) ينظر : يان مايك . الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال . مجلة فكر وفن . عدد ٣٢ السنة ١٦ . ١٩٧٩ . ص٧٠.

(٣) د. عبد العزيز المقالح . إقبال : شاعر الإسلام والثورة الاجتماعية . مجلة دراسات يمنية . العدد ٥٣ . ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م صنعاء . الجمهورية اليمنية . ص١٦.

* متصوف ومفكر هندي كبير ، كان من أتباع الطريقة النقبشبندية في التصوف ، ويُعد من رواد التجديد الإسلامي .

** سلطان عثمان ، حكم الهند بعد وفاة والده السلطان شاه جهان ودام حكمه خمسين عاماً فاضلاً ومؤمناً صادقاً .

*** قائد ومفكر مسلم هندي كبير ، ورائد من رواد حركة التجديد الإسلامية في الهند .

رجال هذهِ الحركة وقادتها في شعره ، فقال : ( أنني أقول دائماً : لولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهند وحضارتها وفلسفتها الإسلام ).[١] وقد ظل التصوف وعلم الكلام غالبين على كل نزعة ثقافية لدى علماء المسلمين في الهند، بحيث كان الدعاة والمصلحون يُركزون دعواتهم على خدمة العقيدة الإسلامية وتنقيتها من كل ما يُصيبها من إنحراف أو جمود . ورأينا فيما مضى ما لحركة السيد احمد خان من دور كبير في نشر الثقافة وأيقاظ الشعب الهندي من سباته وإنقاذهم من عزلتهم التي كانوا فيها نتيجة ثورة ١٨٥٧ م، وما قام بهِ الإنكليز من كبت الحريات وخنق الأفكار ، ففي تلك المدة لم تكن الحالة الثقافية بأحسن من الحالة السياسية والاجتماعية لأن حالة الأنحطاط والتأخر شملت كل نواحي الحياة، وقد وصف إقبال هذهِ الحالة بقولهِ: ( لقد أعتبر البريطانيون المسلم متسولاً)[٢] وبإنشاء السيد أحمد خان كلية ( عليكَرة ) أخذت الحياة تدب من جديد في الشعب والثقافة الهندية ، فقد أيقن السيد خان أن الحل الوحيد للنهضة وكسر أصنام التخلف والأمية هو التوفيق بين الدين الإسلامي والحضارة الغربية مما يتفق مع الشرع .

وأسس السيد خان أيضاً مؤتمر التعليم الإسلامي سنة ١٨٨٦ م وهو جمعية تعليمية كان لها الفضل الكبير في نشر الوعي الثقافي والسياسي[٢].

وانبثق عن هذهِ المدرسة الإصلاحية التيار الإصلاحي والتجديدي في الهند الإسلامي ومن أبرز رجاله، محمد علي، وفيلسوفنا محمد إقبال وغيرهما.

وبهذهِ الجهود وغيرها تحرر المسلمون من عقدة النقص، وبدأت بوادر نهضة علمية وثقافية جديدة بين المسلمين في الهند فظهرت فضلاً عن كلية عليكرة الإسلامية العديد من المدارس والمعاهد والجامعات الحديثة، كما برزت مؤسسات ثقافية والعديد من دور النشر والترجمة، والصحف والمجلات، ومن أشهر المدارس الإسلامية

---

(١) أبو الحسن الندوي . روائع إقبال، ط١ ، دار الفكر . دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ص ٧ .

(٢) د . محسن عبد الحميد . من أئمة التجديد الإسلامي . ص٥٢ .
(٣) أبو الحسن الندوي . المسلمون في الهند . ص ٧٠ – ٧١ .

الحديثة في الهند مدرسة ( ديوبند )، و( دار العلوم ) التابعتان لجمعية ندوة العلماء.[1] ومن المؤسسات الثقافية والعلمية في الهند دائرة المعارف بمدينة حيدر آباد التي اهتمت بأحياء كتب التراث ، ودار المصنفين التي كان يترأسها الأستاذ سليمان الندوي التي اهتمت بنشر كتب الدين والأدب والتاريخ وغيرها.[2] وقد كان لهذهِ النهضة الفكرية والثقافية الأثر الكبير في توجيه إقبال، وكان فيلسوفنا من أبرز نتائج وثمار وقادة هذهِ النهضة .في ظل هذهِ الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للهند عامة والمسلمين خاصة، عاش إقبال متأثراً،ومؤثراً، ولولا هذهِ الأوضاع لما كان إقبال الشاعر والفيلسوف والسياسي والمصلح الاجتماعي والمفكر الديني والإنساني. ويؤكد علماء الاجتماع إن الإنسان أبن بيئته ونتاج عصره فالشعراء والقاصون والمفكرون والمصلحون يتقمصون روح زمنهم فيتألمون ويترنمون بآلام أبناء قومهم ومَسارَّهم وأمانيهم ويترجمون عواطف أممهم وعقائد عصرهم ومشاعرهم ومحمد إقبال هو أحد هؤلاء .

(١) مسعود الندوي . تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند . دار العربية . ب ت . ص ٥٩ .
(٢) يُنظر : عبد الحليم الندوي . مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند . ص ١٠٥ وما بعدها .

# الفصــل الأول

# محمد إقبال حياته وآثاره وأفكاره

## المبحث الثاني: إقبال من المهد إلى اللحد

**حياة إقبال الشخصية والأسرية**
**حياة إقبال الدراسية والعلمية**
**نشاط إقبال الفكري والسياسي**
**مؤلفاته**
**مـرضـه ووفـاتــه**

# الفصـل الأول
# المبحث الثانـي
## محمد إقبال من المهد إلى اللحد

## حياة إقبال الشخصية والأسرية:

**ولد محمد إقبال في صباح يوم الجمعة الموافق ٣/ ذي القعدة/ ١٢٩٤ هـ ٩ /تشرين الثاني (نوفمبر ) ١٨٧٧ م،[١] في مدينة سيالكوت أحدى مدن البنجاب، وهذا هو التاريخ المعمول بهِ لدى أغلب الباحثين[٢] . وقد أثير الخلاف بشان تاريخ ميلاد إقبال، إلا أن التاريخ الذي ذكرناه كان المرجع لدى الكثير من الدارسين .**

**ولد إقبال في أسرة كريمة الأصل ومن أبوين فاضلين تقيين . استطاعا أن يغرسا في نفس إقبال الإيمان وحب الإسلام وعشق نبيه الكريم (ص). وكان والد إقبال (محمد نور) شيخاً تقياً ورعاً ومتصوفاً مسلماً كان يعمل لدينه ودنياه، وكان الموجه والمربي الأول لإقبال، فأخذ عن أبيه التربية الدينية، والأخلاق المحمدية، وكثيراً ما يتطبع الأنبياء الأبناء بسيرة الآباء، فكان محمد نور المعلم الأول الذي تخرج على يديه إقبال في**

---

(١) أختلفت أراء الباحثين والدارسين لحياة إقبال في تاريخ ميلاده فذهب فريق إلى أنه ولد في تاريخ ٢٢/شباط /١٨٧٣ م .يُنظر : د.عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ب. ت. ص .١٨. وذهب فريق إلى أنه ولد سنة ١٨٧٦ م .يُنظر :محمد حسن الاعظمي والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية . ص١٣

ويرى فريق ثالث بأنه ولد سنة ١٨٧٨ م .يُنظر : د . ماجد فخري . تاريخ الفلسفة الإسلامية . ترجمة كمال اليازجي . ص ٤٧٨ .

وكذلك جورج طرابيشي معجم الفلاسفة ص ٧٢ . والفريق الرابع والأخير الذي ذهب أليه أغلب الباحثين بشأن تاريخ ميلاد إقبال هو التاريخ المذكور أعلاه والذي أرتأينا أن نذكره . يُنظر : د . احمد معوض .العّلامة محمد إقبال . ص ٩ وما بعدها . وإسماعيل العربي . الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية . الدار العربية للكتاب . تونس ١٩٨٥ م . ص ٣٥٧ .

(٢) د . احمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ٩ . وكذلك :

The Encyclopedia Of Philosophy . Volume . 4 . N ew York . London . P . 212 وكذلك Anne marie Schimnel . G abriels W ing . Leiden . 1963 . P . 35.

مدرستهِ، مدرسة الإسلام. وقد قال ( شمس العلماء ) مير حسن، صديق محمد نور، وأستاذ إقبال، في حق والد إقبال أنه ( فيلسوف لم يتخرج في مدرسه )[١].

وعلى الرغم من عمل والد إقبال في التجارة لكسب عيشه، إلا أنه كان كثير المخالطة لرجال الصوفية وأهل العلم والمعرفة مما جعلتهُ عارفاً بدقائق الطريقة وعلوم العقيدة والسنة، متأدباً بآداب الإسلام كافة.

وقد أحب الأب أن يرى في أبنه شخصاً مرموقاً وعلماً من أعلام الفكر ورجلاً تقياً من رجالات الدين . وقد تأثر إقبال بأبيه أيما تأثير وقد ردد إقبال هذا الفضل في شعرهِ ونثره .

ذات يوم سأل العّلامة السيد سليمان الندوي إقبال عن سر بلاغته التي أكتشف بها أسرار الدين ومعالم الحق وارتقى بها إلى أعلى عليين، فقال إقبال ( يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعرٍ ونثر إلى توجيهات أبي رحمه الله فقد كنتُ تعودت أن اقرأ القرآن بعد صلاة الصبح وكان يراني والدي فيسألني ماذا أصنع فأجيبه بأني أقرأ القرآن ، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات، يسألني سؤاله فأجيبه جوابي،

وفي ذات صباح قلت بعد إجابتي ولكن لماذا تسألني عن شيء أنت بجوابهِ عليم فقال (أنما أردت أن أقول لك، أقرأ القرآن كأنهُ نزل عليك ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحرهِ ما نظمت)[٢].

ويروي لنا محمد حادثة كان لأبيه فيها موقف حاسم، أثرّ في نفسه أثراً باقياً صاغها شعراً في ديوانه ( أسرار الذات )[٣].

فقال ( وقع على بابنا سائل وقوع القضاء المبرم، ورفع صوته كأنهُ نعيب غراب ، وأخذ يهز الباب.. ولما آلمني تصايحه وإلحافه خرجتُ أليه، وأهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه . فلما رأى والدي تلك الحادثة أصفّر وجههُ الأحمر، وانحدرت الدموع نهراً على خديه وقال:

---

(١) د . احمد معوض . العّلامة محمد إقبال حياته وآثاره . ص ٢١ .

(٢) أبو الحسن الندوي . ورائع إقبال . ص٣١ . ومحمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية . ص١٤ . ود . أحمد معوض العّلامة محمد إقبال . ص ٢٢

(٣) محمد إقبال . ديوان الأسرار والرموز . ترجمة د . عبد الوهاب عزام . ص ١١٨ – ١١٩ .

تذَّكر يا بُني جلال المحشر
يوم تجتمع أمة خير البشر
وأرجع البصر كرة إلى لحيتي البيضاء
ونحول جسمي المرتعش بين الخوف والرجاء
كُن يا بُني من البراعم في غصن المصطفى
وكن وردة من نسيم ربيعه،
وأظفر من خُلق محمد ( ص ) بنصيب .

ما أعظم الآباء الأتقياء الذين هم لأبنائهم كالشمس للبشر ،يُنيرون لهم الطريق ، وينشئوهم على الخير والفضيلة ونبذ الشر والرذيلة. وقد عمَّر والد إقبال طويلاً،وشهد نجم إقبال يرتفع وأسمه يلمع بين العظماء والمرموقين في العلم والأدب والسياسة .. وقد شارف على المائة وتوفي بهذا السن، في سيالكوت في السابع عشر من أغسطس ( أب )١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م ودفن في ضريح الأمام صاحب .[١]

أما والدة إقبال فكانت من السيدات الصالحات ، تقية ورعة يملئ قلبها الأيمان والصلاح. وقد رثى إقبال والدته في الكثير من قصائده، فكانت لهُ نورٌ يستضيء بهِ وقد تألم لفراقها لأنها سهرت عليه كثيراً وربَّته وأوصلته إلى درجة عاليه من الخلق الرفيع والأدب السامي وقد تحسر كثيراً لأنهُ لم يعوضها عما قدمت لهُ ولو جزءاً من هذا العناء المضني.

فهو يخاطبها في قصيدة بعنوان ( في ذكرى المرحومة والدتي )

بعد رحيلكِ من ينتظرني في وطني، ومن يستبد بهِ القلق أذا لم يصل خطابي؟
وعندما آتي إلى تراب مرقدك سوف أصيح: من ذا الذي يذكرني في الدعاء في منتصف الليل ( في صلاة التهجد )؟

لقد كانت حياتك صفحة ذهبية في كتاب الحياة ، وكانت درساً متكاملاً في الدين والدنيا .

---

(١) د . أحمد معوض . العَلامة محمد إقبال . ص ٢٥
(٢) د . أحمد معوض . العَلامة محمد إقبال . ص ٢٨ – ٢٩ .

لقد رعتني محبتك طيلة عمري ،وعندما أصبحت قادراً على رعايتك رحلتي وبفضل حُبك أصبحت كالسرو عالياً، وأصبحت حكيماً. وكان حَبك رفيقي في مجالات الحياة، وكانت صورتك مثل يدي . لكني الآن طفل بلا معين ،لا أعرف كيف أصبر وأنوح عليكِ صبحاً ومساءً .[١] وتوفيت والدته وهي ابنة الثمانية والسبعين عاماً، سنة ١٣٣٣ هـ ـ١٩١٤ م.

أما عن حياة إقبال الزوجية فقد تزوج ثلاث مرات ولهُ منهن ولدان وبنت.[٢]

## حياة إقبال الدراسية والعلمية :

أهتم والد إقبال – كما أسلفنا – بتربية ولده تربية صالحة عامرة بالإيمان وبروح الإسلام، فكان معلمه الأول الذي يغذيه بالعلم والأخلاق، وكان شديد الحرص على أن يتعلم ولده الكتاب الكريم ويحفظ سوره وآياته وأراد لهُ أن يقراءه كأنهُ نزل عليه . وبعدها ادخل إقبال أحد الكتاتيب المعدة لتحفيظ القرآن في سيالكوت.[٣] وأراد الوالد لأبنه أن يتفرغ لدراسة الدين الحنيف ولكن صديقه مير حسن ( شمس العلماء ) لم يوافقه الرأي وقال لهُ : هذا الصبي ليس لتعليم المساجد،

وسيبقى في المدرسة .[٤] ودخل إقبال المدرسة الابتدائية في سيالكوت.وبعدها التحق بمدرسة البعثة الأسكتلندية للدراسة الثانوية ، إذ تلقى أصول اللغة العربية والفارسية على يد مير حسن[٥]

وبدأ إقبال في مرحلة مبكرة من حياته كتابة الشعر وشجعه أستاذه مير حسن على ذلك وحَثه على أن يكتب بالاردو بدل البنجابية . وأرسل إقبال بعضاً من أشعاره إلى شاعر الهند الكبير ميرزا داغ دهلوي ليقرأها ويُنقحها، فرأى أنها لا تحتاج إلى تنقيح وتصحيح.[٦]

---

(١) د.احمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص٢٨-٢٩ .

(٢) يُنظر : المصدر نفسه . ص ٩١ – ٩٢ وكذلك

The new Encyclopaedia Britannica .Voiume 9 . Knowledge in Depth . 1974 . P . 820

(٣) د . عثمان أمين . رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي . دار القلم . القاهرة . ١٩٦١ م . ص ١١٦

(٤) د . أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ٣٣ .

(٥) د . عثمان أمين . رواد الوعي الإنساني . ص ١١٦ . وكذلك د . عبد القادر محمود . مذاهب وأفكار في الفلسفة والفن . ط١ ، مطبوعات جامعة القاهرة . الخرطوم . ١٩٧٢ م . ص ٣٣١

(٦) يُنظر : د . عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص ٢١ .

وفرغ إقبال من الدرس في الكلية السكوتية سنة ١٨٩٥ م وعمرهُ أثنين وعشرين سنة ، وبعدها أنتقل إقبال إلى لاهور ودخل كلية الحكومة لهذهِ المدينة . وجَّد في الدرس والتحصيل العلمي كعادته . فكان موضع الإعجاب في علمه وذكائه وأدبه.

وتخرج من هذه الكلية حاصلاً على شهادة البكالوريوس في الأدب B.A وكان ذلك في سنة ١٨٩٧م.وفي سنة١٨٩٩ حصل على شهادة الماجستير . M . A [١]

ومن ابرز الذين تلقى إقبال على أيديهم العلم في جامعة لاهور الأستاذ توماس ارنولد (١٨٦٤ ــ١٩٣٠ م) الذي أعجب بفطنة إقبال وذكائه .وكذلك استفاد إقبال كثيراً من أستاذه في النصح والإرشاد .

وقد نال إقبال في دراسته الجامعية العديد من المداليات الذهبية والفضية.وبعد حصولهِ على درجة الماجستير في الآداب عُين إقبال معيداً للغة العربية في الكلية الشرقية بجامعة بنجاب، وكان يُلقي العديد من المحاضرات في مادة التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد. وأستمر في هذه الجامعة مدة أربع سنوات.[٢]

وقد جذب حُسن خلقه وسعة أدبه وعلمه التلاميذ والزملاء فأصبح بعدئذٍ أستاذاً مساعداً في الكلية الحكومية بلا هور. وذاع صيته وملأ الأفاق بشعره وفكره، فأُعجب الناس بهِ وراحوا يتناقلونه من نادٍ إلى نادٍ[٣] ولكن طموح إقبال وتطلعه إلى أثراء ثقافته وإغناء معارفه ومضاعفة معلوماته وتوسيع آفاقه ،كان يتطلب منه مواصلة مسيرته الدراسية . عزم إقبال على الرحيل إلى أوربا إتباعاً لمشورة أستاذه توماس أرنولد ، وعمره يومئذٍ اثنان وثلاثون سنة .ولكن إلى أيُّ بلد من بلاد أوربا الواسعة سيذهب إقبال ؟ لقد وقع اختياره على إنكلترا لتكون مكان دراسته .وبجامعتها الشهيرة كامبردج ، فألتحق إقبال بها ليدرس الفلسفة، وتم لهُ ذلك على يد الأستاذ ماكتجارب ( J.M . E . mctaggart) والأستاذ جيمس ورد (James Ward )[٤] ،وكان ذلك في سنة ١٩٠٥

---

(١) يُنظر : د . أحمد معوض .العلامة محمد إقبال . ص ٣٦ ــ٣٧

(٢) يُنظر : أحمد معوض . المصدر نفسه . ص ٤١-٤٢ .

(٣) يُنظر : محمد الكتاني . إقبال مفكراً إسلامياً. ص٢٠ وأبو الحسن الندوي. روائع إقبال . ص ١٦ .

(٤) The Encyclopedia of phi losophy . volume 4 . p . 212 . and Hafeez Malik .Iqbal poet—philosopher of pokiston . New york and London . 1971 . p . 19 .

وحصل على درجة في فلسفة الأخلاق من جامعة كامبردج على يد مكتجارت .

وقد عقد إقبال الكثير من العلاقات الحسنة مع الشخصيات الفكرية والثقافية في إنكلترا فتعَّرف على براون ونيكلسن، وهما من كبار المستشرقين في إنكلترا. ولهذهِ الصداقة المتينة جوانب إيجابية بين الطرفين. إذ كان إقبال يُحدث براون ونيكلسن عن الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الأوربية كما أنها كانت سبباً قوياً في تعريف إقبال إلى العالم الغربي ، فقد قام نيكلسن بترجمة ديوان إقبال ( أسرار خودي )(The secrets of the self) إلى الإنكليزية سنة ١٩٢٠ م، وقدم نيكلسن لهذا الديوان مقدمة عَّرف بها إقبال وفلسفته إلى العالم أجمع، وقد شاع ذكر إقبال بفضل نيكلسن وترجمته لأسرار الذات.

سافر إقبال من إنكلترا إلى ألمانيا للحصول على شهادة الدكتوراه، فتعلم اللغة الألمانية والتحق بجامعة ميونخ وحصل منها على شهادة الدكتوراه بأطروحته الموسومة ( تطور ما وراء الطبيعة في بلاد فارس ) (Development of Metaphysics in Persia ) التي جرت تحت أشراف الأستاذ الدكتور فراتز هومل ( Fritz Hommel)[1] (١٨٥٤ ــ١٩٣٦). وقد كتبها بالإنكليزية وقدمت لإقبال في هذهِ الجامعة الكثير من التسهيلات والمساعدات وبتوجيه من أستاذهِ مكتجارت في كامبردج .

وفي مكتبات ألمانيا وجامعاتها توسع إقبال في قراءة الفكر الغربي عامة الألماني خاصة، فعرف هيجل وجوته ونتشه وشوبنهور وغيرهم وبعد حصوله على الدكتوراه سافر إقبال من ألمانيا إلى لندن ليدرس القانون والسياسة ،وهي أمنية إقبال التي جاء إلى لندن ليحققها فحصل على إجازة الحقوق بامتياز من لندن.[2] ولم يقتصر نشاط إقبال العلمي والثقافي في أوربا على الدراسة فقط وإنما استطاع أن يجعل من نفسه داعية للثقافة الشرقية والفكر الإسلامي وتعاليمه بين الأوربيين، ففي أثناء إقامته في لندن قبل عرضاً من جامعتها لتعينه أستاذا للغة العربية خلفاً لأستاذه توماس أر نولد،

---

(١) Annemarie schimmel . Gabriel' s wing . p . 37- 38

(٢) يُنظر: د . أحمد معوض . العلامة إقبال . ص ٥١-٥٢ ــ ونجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر ط٢ ، الدار العلمية. ١٣٩١ هـ ــ١٩٧١ م . ص ٢٨ .

ولم يقتصر على ذلك بل راح يُلقي المحاضرات عن الإسلام في هذهِ الجامعة فكانت موضع اهتمام الطلبة، وقامت الصحافة بنشرها والتعليق عليها[١] وكان لإقبال دور بارز في المجال العلمي والتربوي، فقد أحبه الصغير والكبير، الشرقي والغربي ، وقد نجح في جذب الناس إليه بأفكاره وأشعاره، وحُسن خُلقه وأدبه، وهذهِ هي صفات الدعُاة والمصلحين الذين يسعون إلى نشر رسالتهم بين الناس أجمعين ومن أجل الإنسانية أجمع ، ولهذا أشتهر إقبال بين الناس بنزعته الإنسانية والعالمية.

## نشاط إقبال الفكري والسياسي:

قضى إقبال في بلاد الغرب ثلاث سنوات متتاليات بأيامها ولياليها طالباً للعلم ، ناشراً شريعة الإسلام وثقافته، داعياً إلى الوحدة والإخاء .

وقد عاد فيلسوفنا إلى وطنه في يوم الاثنين ٢٧ يوليو ( حزيران ) سنة ١٩٠٨ م وأستقبله أهله وأحباؤه وأصدقاؤه كما يسُتقبل القادة والزعماء ودعاة الفكر والإصلاح النجباء . وأقيمت لإقبال الاحتفالات بعد طوال غيبته وأُنشدت القصائد في حبهِ جاء في واحدة منها بيت معناه :

(( طال حنينا إلى شعرك يامن طبقَّ الأفاق صيته في الشعر ))[٢] وبعد عودته واستقراره في وطنه ابتدأ مرحلة جديدة من الجهاد الموفق المبرور، إذ أخذ ينشر أفكاره وآراءه الحكيمة بين الناس، ويحذرهم من بريق الحضارة الغربية الزائل، ودسائس الأوربيين ومكائدهم، وحثهم على التمسك بالدين الحنيف والجهاد في سبيل الله من أجل أعلاء كلمة الإسلام (لآله آلا الله )[٣] عُين إقبال سنة ١٩٠٩ أستاذا للفلسفة في كلية لاهور الحكومية، وبجانب ممارستهِ للتدريس أخذ يمارس وظيفته الجديدة وهي المحاماة، وأخذ يُدافع عن المظلومين إلا أنه لم ينجح في التوفيق بين الوظيفتين فاستغنى عن التدريس واستعاض عنها بالمحاماة، لأن فيها حرية في التعبير عن الرأي وبعيدة عن أنظار الإنكليز .

---

(١) يُنظر : مهدي حمود الفلوجي . إقبال شاعراً ومفكراً .مجموعة من الكلمات والخطب والمحاضرات ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد إقبال . ١٩٧٧ . ص ٤٦ .
و د . عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص ٢٨-٢٩ .
(٢) د . عبد الوهاب عزام . محمد إقبال . سيرته وفلسفته وشعره . ص ٣١
(٣) مسعود الندوي .تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند . ص ٢١٦ .

وكان إقبال في عون المظلوم، لا يقبل أن يُرافع عن قضية ما لم يجد فيها الصدق والأمانة والمظلومية، ولم يتخذ هذهِ الوظيفة تجارة لجمع المال كما يفعل الكثير من المحامين في كل مكان وزمان. إلا أن ممارسة إقبال للمحاماة واستقالته من الجامعة الحكومية لم تفصله تماماً عنها، إذ شارك في لجانها ومجالسها ، واستمرت صلته بالكلية الإسلامية بلاهور والجامعة الوطنية بدلهي . وعمل عميداً لكلية الدراسات الشرقية ورئيساً لقسم الدراسات الفلسفية سنوات عدة .[١]

كانت حياة إقبال مليئة بالنشاط الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والتربوي، إذ لم تقتصر حياته الثقافية والعلمية على التدريس والمحاماة بل سعى إلى تقديم كل ما فيه صلاح للإنسان والإنسانية . وحضر العديد من الندوات والمؤتمرات السياسية . ففي عام ١٩٢٦ رشح نفسه لانتخابات الجمعية التشريعية في البنجاب، وفاز بالانتخابات بتأييد جماهيري واسع[٢] وفي سنة ١٩٢٨ دعت ( جمعية مسلمي مدراس ) إقبال فلبى الدعوة في أواخر ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٢٨، وألقى ثلاث محاضرات عن الإسلام ،وهي جزء من محاضراته الست التي جمعت فيما بعد في كتاب ( تجديد التفكير الديني في الإسلام )[٣] ونشر باللغة الإنكليزية بعد أن أتم إلقاء محاضراته الثلاث الأخرى في مدينة ميسور بحيدر آباد، وفي عليكرة سنة ١٩٢٩م ونشر في لاهور سنة ١٩٣٠ م، وفي لندن سنة ١٩٣٤ م . تحت عنوان (The Reconstruction of Religious Thought in Islam) وكان هدف إقبال في هذا الكتاب هو بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءً جديداً ، أخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة. [٤] وفي سنة ١٩٣٠ أُنتخب رئيساً للاجتماع السنوي التاريخي

---

(١) د . عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص ٣٢ .

(٢) حميد مجيد هدو. إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان . ص ٥٠ .ومحمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان . الإعلام الخمسة للشعر الإسلامي . ص ١٢

(٣) تُرجم هذا الكتاب ( الذي يمثل خلاصة فكر وفلسفة ومذهب إقبال الفلسفي الإسلامي) إلى العديد من اللغات العالمية الحية ،وترجمه إلى اللغة العربية عباس محمود – وهوليس عباس محمود العقاد – كما يظن بعضهم.

(٤) محمد إقبال . تجديد التفكير الديني . ترجمة عباس محمود .طبعة جديدة ومنقحة . دار أسيا بيروت . ١٩٨٥ م المقدمة . ص ٢ .

للرابطة الإسلامية المنعقد في مدينة (الله آباد ) وألقى خطبة حماسية ووطنية تدل على نشاطه السياسي الواسع ،وأخذ يدعو فيها المسلمين الهنود إلى التمسك بالوحدة الإسلامية .كما دعا فيها إلى إقامة دولة مستقلة للمسلمين وفصلهم عن الهندوس. [١] ودعي إقبال لحضور مؤتمر المائدة المستديرة الثاني في لندن ليُمثل المسلمين فذهب سنة ١٩٣١ م ملبياً الدعوة.وجاءته الدعوة في لندن من حكومة فرنسا وأسبانيا وايطاليا[٢] فالتقى بالزعيم موسليني في إيطاليا وبالفليسوف الفرنسي هنري برجسون (ت ١٩٤١ م) في فرنسا وبـ (أسين بلاثيوس) في اسبانيا. وفي سنة ١٩٣٢ م حضر مؤتمر المائدة المستديرة الثالث في لندن وقام إقبال بالعديد من الرحلات والزيارات خارج الهند ،من بلاد العرب والغرب والدول الإسلامية، فقد ذهب إلى مصر وفلسطين وأفغانستان، وإيطاليا واسبانيا وفرنسا .

ورأس حزب مسلمي الهند وجمعية حماية الإسلام[٣] على الرغم من النشاط السياسي الواسع الذي أمتاز بهِ إقبال وعقده للمؤتمرات وحضوره للدعوات وترأسه للجلسات، إلا أن ذلك لم يمنعه عن الكتابة والتأليف بل كان على الرغم من هذهِ المشاغل دائم العطاء،فألف العديد من الدواوين الشعرية ،ونشر المقالات في الصحف . وألفّ الكتب العلمية والمنهجية .وأعظم هدية أهداها إقبال إلى الأمة الإسلامية الهندية هو دعوته لإقامة دولة باكستان، فردوس إقبال الدنيوي التي تحققت بعد وفاته أي سنة ١٩٤٧ م.[٤] على يد القائد الأعظم محمد علي جناح والى أخر لحظة في حياته ،كان إقبال موجهاً وقائداً وداعياً إلى الحرية والإصلاح ففي ١٤ أبريل (نيسان) ١٩٣٨ م قدمت إليه مجموعة من المناضلين ،كانوا قد عزموا للسفر إلى كلكته لأجراء مباحثات

---

(١) يُنظر : محمد حسن الاعظمي والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال . ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) أبو الحسن الندوي . روائع إقبال . ص ٢٠

(٣) محمد الكتاني . محمد إقبال مفكراً إسلامياً ص ٢٣ .وعن المناصب السياسية التي شغلها إقبال يُنظر : ستانلي ولبرت . محمد علي جناح موسس الباكستان .ترجمة وتقديم . د . سهيل زكار . دار قتيبة .دمشق . ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ص ١٧٤-١٧٥ .وأسماعيل العربي الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية . ص ٣٦٩ وما بعدها.

(٤) The Encyclo pedia of philosophy . vol . 4 . p . 212
ويُنظر : محمد عودة .دولة في قلب نهرو . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت لبنان . ١٩٧٣ . ص ١١٣ وما بعدها.

سياسية ،وقرروا أن يزوروا إقبال قبل سفرهم فزاروه في ذلك اليوم وألقى عليهم إرشاداته ونصائحه فقال لهم : (عليكم أن تذهبوا وتناضلوا من أجل حقكم حتى النهاية: فلقد وقع بنا حيف شديد)[1]، وقال لهم أيضاً لا تمكنوا أحداً منكم، وأستمر بنشاطه هذا حتى وفاته سنة ١٩٣٨ .

## مؤلفات إقبال الشعرية والنثرية:

ترك لنا إقبال العديد من الإنجازات الفكرية في مجال الشعر والأدب والفلسفة والسياسة والاقتصاد والتاريخ وغيرها من مجالات العلوم والتربية، وقد صبها إقبال في دواوينه الشعرية تارة، وفي كتبه ودراساته ومحاضراته تارة أخرى ومنها:

أ ـ في مجال الشعر:- وضع إقبال دواوين شعرية عَّدة وهي :

١. أسرار الذات ( أسرار خودي ) وهو أول دواوين إقبال كتبه بالفارسية ونشره سنة ١٩١٥ م، وفي هذا الديوان يعرض إقبال فلسفته فلسفة الذات، وترجمه للعربية شعراً . د . عبد الوهاب عزام ، ١٩٥٦ .
٢. رموز نفي الذات ( رموز بيخودي ) بالفارسية ،ونشره سنة ١٩١٨ م.وهو مكمل للديوان الأول ( أسرار خودي ) ترجمه للعربية شعراً، د . عبد الوهاب عزام، وصدر هو والديوان الأول ( أسرار الذات ) تحت عنوان ديوان (الأسرار والرموز) ، عام ١٩٥٦ .
٣. رسالة المشرق ( بيام مشرق ) بالفارسية ،نُشر سنة ١٩٢٣ م ترجمه للعربية شعراً د . عبد الوهاب عزام سنة ١٩٥١ م.
٤. صلصة الجرس ( بانك درا ) بالأردية ،نُشر سنة ١٩٢٤ م.
٥. زبور العجم ( زبور عجم ) بالفارسية ، نُشر سنة ١٩٢٩ م . ترجمه للعربية د . حسين مجيب المصري .
٦. رسالة الخلود ( جاويد نامة ) بالفارسية ، نشر سنة ١٩٣٢ م ترجمه للعربية نشراً د . محمد السعيد جمال الدين ١٩٧٤م، وشعراً د . حسين مجيب المصري بعنوان ( في السماء ) ١٩٧٣م.

٧. مسافر، بالفارسية ،نشر سنة ١٩٣٤ م، نظمه عند زيارته لأفغانستان سنة ١٩٣٣ .

---

(١) د. أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ٢٠٠ .

٨. جناح جبريل ( بال جبريل ) بالأردية ،نشر سنة ١٩٣٥ ترجمه للعربية .عبد المعين الملوحي، سنة ١٩٨٧ م.
٩. والآن .. ماذا نصنع ؟ يا أمم الشرق ، بالفارسية ، نُشر سنة ١٩٣٦ م ،وترجمه للعربية نثراً محمود أحمد غازي ، وشعراً الصاوي علي شعلان سنة ١٩٨٨ .
١٠. روضة الأسرار ( كلش راز جديد ) بالفارسية،ترجمه للعربية د. حسين مجيب المصري سنة ١٩٧٧ م .
١١. ضرب الكليم ،بالأردية ، نُشر سنة ١٩٣٧ م، ترجمه للعربية د. عبد الوهاب عزام سنة ١٩٥٢ .
١٢. هدية الحجاز ( أرمغان حجاز ) كتبه بالفارسية والأردية ،ونُشر بعد وفاته سنة ١٩٣٨ م، ترجمه للعربية شعراً ،د. حسين مجيب المصري سنة ١٩٧٥ .

ب ـ في مجال البحوث والدراسات : ألف إقبال العديد من الكتب التعليمية والتربوية والفلسفية ،وأهمها: -

١. كتاب علم الاقتصاد. كتبه بالأردية، نُشر سنة ١٩٠٣ م
٢. تطور ما وراء الطبيعة في إيران، وهو الرسالة التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ ،ونشر في كتاب بلندن بالإنكليزية سنة ١٩٠٨ تحت عنوان : The Development of Metaphysics in Persia وترجم هذا الكتاب للعربية د. حسين مجيب المصري .سنة ١٩٨٧ م.
٣. تجديد التفكير الديني في الإسلام ،وهو مجموعة محاضرات ألقاها إقبال في جامعات الهند ومدراس وحيدر آباد وميسور وعليكَرة سنتي ١٩٢٨ ــ١٩٢٩ م وجُمعت هذهِ المحاضرات في كتاب ونشرت باللغة الإنكليزية سنة ١٩٣٠ في لاهور تحت عنوان . The Reconstruction of Religious Th ought in Islam وترجم للعربية من قبل عباس محمود ،وهو غير العقاد.
ج- وهناك العديد من الرسائل كان إقبال قد بعثها إلى أصدقائه من القادة والزعماء والمفكرين وغيرهم ،وأبرز هذهِ الرسائل:

١ـ رسائل إقبال إلى القائد الأعظم محمد علي جناح أرسلها عام

١٩٣٠.[١]

٢ـ رسائل إلى الزعيم جواهرلال نهرو[٢]

٣ـ رسائل كان إقبال قد بعث بها إلى السيدة عطية بيكم .[٣]

## مـرضـه ووفـاتــه:

أصاب إقبال الوهن والضعف بسبب المرض الذي هجم عليه فأفقده قوته الجسدية لا الفكرية ،فكان يعاني من ضيق في التنفس ( الربو ) والتهاب الحنجرة، وفقد بصره لأصابته بالماء الأبيض ، وأصيب بتكلس الحصاة في أحدى كليتيه[٤]

وكـان هنـاك طبيـب فـي الهنـد يُـدعى ( حكـيم نابينـا الـدهلوي ) يُعالجـه مـرات عـدة بالعقاقير النباتية فيشفى من مرضٍ ويهجم عليه آخر .ولم يستطع الطبيب بعدئذٍ علاجه لسيطرة وهجوم الأمراض عليه. لكن المرض الذي أودى بحياتـه هو مرض عضال أصـاب القلـب فأفقده سيطرته وأضطرب عملـه، وانتشرت العلـة والمـرض فـي شـهر نيسان .وبلغت مبلغ الخطر في التاسع عشر من الشهر نفسه .

وكـان إقبال على يقين بـدنـو أجلــه غير يـأس ولا جـازع بـل كـان مـرحباً بـالموت، مبتسماً لهُ وكان يردد قبل موته ببضعة أيام : أنا لا أخشى الموت، أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً[٥].

وقـال قبـل وفاتـه بعشـر دقـائق :ليـت شـعري ! هـل تعـود النغمـة التـي أرسـلتها فـي الفضاء، وهـل تعـود النفحـة الحجازيــة. قـد أضلنَّي مـوتــي وحضرتـني الوفـاة فليت شـعري هـل حكيـم يخلفني؟ وقد ترجم عبد الوهاب عزام هذهِ الكلمات شعراً عن

---

(١) يُنظر : Hafeez Malik .Iqbal , poet –philosopher of pakistan . New york and London . 1971 –p 383-388 .

(٢) يُنظر : Syed Abdul Vahid Thoughts and Reflections of Iqbal . Lahor – Pakistan . 1964 . p . 304-305

(٣ ) يُنظر : د. أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ٢٩٢ .
وينظر : عن مؤلفات إقبال . د. علي حسون. فلسفة إقبال . ص ٢٢٥ ــ ٢٢٩ .

(٤) هانس هاسو فون فلتهايم . المقابلة الأخيرة مع إقبال . مجلة فكر وفن . عدد ٣٢ ، ص ٥٧ .

(٥) أبو الحسن الندوي . روائع إقبال . ص ٢١ .

الفارسية وترجمتها[1]

نغمـات مضـين لـي هـل تعـود ؟ أنسـيم مـن الحجـاز يعـود ؟

أذنـت عيشتـي بـوشـك رحيـل هـل لعلـم الأسـرار قلـب جديـد ؟

وأشتد المرض والألم على إقبال في العشرين من نيسان، وأيقن انهُ سيودع الحياة حياة الفناء إلى دار البقاء، فأمر بإحضار ابنه جاويد، وعمره حينذاك ثلاث عشر سنة فأجلسه إلى جانبه، وقال من يدري لعلَّي ضيف لبضع ساعات أو أيام، وأوصى بعائلته وأموره الخاصة صديقه جود هري محمد حسين[2] وفي الساعة الخامسة والربع من صباح يوم الاثنين ٢٠ /صفر/١٣٥٧هـ[3] ٢١/نيسان /١٩٣٨ م ،فاضت روح إقبال إلى بارئها وعلت شفتيه البسمة وكان كما قال :

آيـة المؤمـن أن يلقـى الـردى باسـم الثغـر سـروراً ورضـى

شاع خبر وفاة إقبال بين الناس، وأُذيع الخبر في الإذاعات ، ونُشر في الصحف والمجلات فَتألم الناس ألماً عظيماً وزلزلوا زلزالاً شديداً وأصعقهم نبأ رحيله ،فكان يوماً ثقيلاً على الشعب الهندي بأجمعهِ هندوساً ومسلمين . وعلى الأمة الإسلامية. فعُطلت الدواوين والمتاجر، وأُغلقت المدارس والجامعات والمحاكم والأسواق في جميع الهند، حداداً على وفاته، وتوجه الناس إلى منزل محمد إقبال ليودعوه إلى مثواه الأخير.

فشيع الناس إقبالاً، وأحتشد الألوف منهم لتوديع الأب الرحيم والقائد النبيل والشاعر الفيلسوف، وقد سار خلف جنازته زهاء أربعين ألف مُشيع[4] وقد بلغت الجنازة الطاهرة إلى فناء المسجد الجامع ( باد شاهي ) ليدفنوا إقبال في هذا المكان الشريف ،فدُفن في فناء هذا المسجد، وهو فناء واسع مُحاط بسور وتمتد معهُ أبنية

(١) د. عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص ٤٤

(٢) ينظر : د. عبد الوهاب عزام . المصدر نفسه . ص ٤٣ . ود. عبد القادر محمود . مذاهب وأفكار في الفلسفة والفن . ص ٣٧٧ .

(٣) اعتمدنا على كتاب التقويمان الهجري والميلادي . لمؤلفه فريمان جرنفيل .تر: د. حسام محي الدين الألوسي . ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٦ في استخراج التاريخ الهجري لوفاة إقبال . إذ لم يذكر الباحثون والدارسون التاريخ الهجري لوفاة إقبال .

(٤) ينظر : محمد حسن الاعظمي . والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال . ص ٢٥ .

كبيرة، وهو من أشهر المزارات والأماكن المقدسة في لاهور[١] وقبر إقبال اليوم من مزارات الصالحين والأولياء العارفين ، كيف لا يزار وقد بذل روحه ومهجته وكل ما يملك في سبيل الله ومن اجل شعبه وأمته الإسلامية، والله تعالى قال في كتابه المجيد (( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا ))[٢] وقد نعى وفاة إقبال القريب والبعيد، العدو والصديق ، القادة والأدباء ، الشرقي والغربي .

قال القائد الأعظم محمد علي جناح عن وفاة إقبال. ( كان شاعراً منقطع النظير، طبق صيته الأفاق وستبقى كلماته حية أبداً. وأن مساعيه لأمتهِ وبلده لتضعه في صف أكبر كبراء الهند. وأن وفاته اليوم لخسارة كبيرة للهند عامة وللمسلمين خاصة )[٣]

وقال الزعيم الهندي جواهر لال نهرو ( لقد دهتني وفاة إقبال بصدمة هائلة، شرفتُ بلقاء إقبال ومحادثته منذُ قليل، وكان مستلقياً على فراش المرض ، ولكن كان لفكره العالي ونزعته الحرة في قلبي اثر بليغ. لقد فقدت الهند بفقد إقبال كوكباً لآلاء مضيئاً ، ولكن شعره سيُخلد في قلوب الأجيال الآتية وذكراه العظيمة لن تموت)[٤]

وقد كان نبأ وفاة إقبال صاعقة وقعت على رأس الشاعر الهندي الكبير طاغور،فما كان منه إلا أن يُعبر عن آلمه الشديد فقال: ( تركت وفاة إقبال في أدبنا خللاً يشبه جرحاً مهلكاً ، ولن يُشفى هذا الجرح إلا بعد زمن طويل غير محدد . أن مكانة الهند في العالم غير مكينة ،فموت شاعر عالمي كإقبال مصيبة لا تحتملها البلاد )[٥]

ويقول الدكتور محمد عالم ( لا تستطيع أرض البنجاب أن تُخرج إقبالاً ثانياً في عصور طويلة )[٦]

أما عبد الوهاب عزام الذي كان محباً لإقبال، مترجماً لشعره، وكاتباً لسيرته

---

(١) يُنظر : د . فهمي هويدي . لاهور .بحث في مجلة العربي . العدد ٢٥٣ . محرم ١٤٠٠ هـ – ١٩٧٩ م .ص ٧٥ وما بعدها

وينظر : الموسوعة الثقافية بأشراف د. حسين سعيد . دار المعرفة .مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . القاهرة –نيورك ١٩٧٢ .ص١٠٣ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

(٣) مهدي حمود الفلوجي . إقبال شاعراً ومفكراً . ص ٦٢

(٤) محمد حسن الاعظمي . والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال . ص ٢٦ .

(٥) مهدي حمود الفلوجي . إقبال شاعراً ومفكراً . ص ٦١ .

(٦) الأعظمي . والصاوي .فلسفة إقبال . ص ٢٦ . وعلي حسون .فلسفة إقبال . ص ١٧ .

**وفلسفته، فقد قال ( مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللبشر أجمعين ، الرجل الذي يُخيل إليَّ وأنا في نشوة شعره أنهُ أعظم من أن يموت وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثماني )[1] وقال أبو الكلام آزاد ( نشعر بالصدمة على وفاة العلامة إقبال. لم تخلق الهند شاعراً أكبر منه، وفاته ليست خسارة الهند فحسب بل هي خسارة الشرق بأكمله وحزني شديد، لأننا كنا مربوطين برباط الصداقة )[2] وهناك العديد من الأدباء والعلماء والمفكرين الذين بينوا فضل شعر إقبال وفكره وفلسفته على الإنسانية أجمع، سنبينهُ فيما بعد.**

---

**(١) د. عبد الوهاب عزام محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره .ص٩**

**(٢) البرفسور عبد القوي دسنوي . ابو الكلام أزاد ومعاصرة شاعر الشرق محمد إقبال . مقال في مجلة ثقافة الهند . العدد ١-٢ . المجلد ٣٩ . ١٩٨٨ . ص١٦٨ .**

# الفصـــل الأول

# محمد إقبال حياته وآثاره وأفكاره

## المبحث الثالث: أضواء على فكر إقبال

**إقبال الفيلسوف**
**إقبال الصوفي**
**الفن عند إقبال**
**إقبال والمرأة**
**إقبال وحركة التجديد**
**الأدب الفلسفي عند إقبال**

# أضواء على فكر إقبال

يمكن القول أن إقبال فيلسوف من الطراز الأول إذ إنهُ خاض في كل مباحث الفلسفة وجوانبها ،وهذا ما تدل عليه مؤلفاته وكتاباته ،فأنك أن رجعت إليها وقرأتها تجد صدق كلامنا، وكأنك حين تقرأ له لأحد فلاسفة الإسلام الكبار فلإقبال آراء في الوجود والمعرفة ونظرية القيم والسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس والتصوف وعلم الكلام والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون .[1]

وقد خاض الفلاسفة العظام. في ميادين هذهِ العلوم والفنون ومباحث الفلسفة ، وإقبال أحد هؤلاء الفلاسفة العظام وهو فيلسوف الإسلام في الفلسفة المعاصرة . ونود أن نعرض لأبرز أفكار إقبال وآرائه في ميادين متعددة منها:

## إقبال الفيلسوف:

محمد إقبال فيلسوف مسلم، يسعى في فلسفته إلى التوفيق بين الدين والفلسفة وهذا الجانب التوفيقي نجده عند أغلب فلاسفة الإسلام قديماً وحديثاً، منذ الكندي حتى الفكر العربي والإسلامي المعاصر.

وإقبال لم يفصل بين الدين والفلسفة إذ انه يرى أن احدهما مكمل للأخر.لم يكن إقبال واضحاً في أيهما اسبق الدين أم العقل وهل هو أشعري أو معتزلي في هذهِ المسألة ؟

وفي كتابه (تجديد التفكير الديني في للإسلام) ينقد كلاً من الغزالي (٤٥٠-٥٠٥ هـ) وعمانوئيل كانت ( ١٧٢٤ –١٨٠٤ م) اللذين كانا قد قللا من دور العقل في المعرفة وقالا بمحدوديته ،وإن مالا ندركه عن طريق العقل ندركه عن طريق الدين. يقول إقبال

(١) أذا أردت معرفة كل ذلك ينظر : محمد إقبال .تجديد التفكير الديني في الإسلام . محمد إقبال ما وراء الطبيعة في إيران .

في هذا الشأن: (ولكن كنط والغزالي على سواء فاتهما أن يدركا أن الفكر في حركة إدراك المعرفة يتخطى حدود تناهيه . والمتناهيات الطبيعية متنافرة فيما بينها، وليست المتناهيات الفكرية كذلك، لان الفكر بجوهره لا يقبل التقيّد، ولا يستطيع البقاء حبيساً في نطاق ذاتيته الضيقَّ ... ومن الخطأ أن نحسب الفكر غير قادر على الوصول إلى أحكام قاطعة فانه هو أيضا على طريقة الخاصة تحية من المتناهي لغير المتناهي .)[١]
ويعظم إقبال دور الدين في إنارة النفس الإنسانية وبنائها بناءً شامخاً ،إذ يُعد الدين قوة حيوية خلاَّقة ويقول إقبال( إن الهدف الرئيس للقرآن هو أن يوقظ في نفس الإنسان شعوراً أسمى بما بينه وبين الخالق وبين الكون من علاقات متعددة ) [٢] كانت غاية إقبال أن يبني ويؤسس فلسفة أسلامية دينية قائمة على التراث والتجديد أو ما يسمى بـ(الأصالة والمعاصرة) وهو ما كان يطمح إليه، فيقول في مقدمة كتابه (تجديد التفكير الديني): (ولقد حاولت في هذهِ المحاضرات ... بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءاً جديداً، آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام،إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة )[٣]
هذا ونجد أن لإقبال- في مجال الفلسفة – نظرات وأفكار في الوجود والمعرفة ونظرية القيم .ويرى أن كل شيء في هذا الكون الواسع قابل للتطور،فهو ليس شيئاً ساكناً والدليل على ذلك آيات القرآن الكريم، قال تعالى ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾[٤] وقال تعالى ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعلهُ ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً . ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾[٥]
ويرى إقبال أن موقع الإنسان من الوجود، وطبيعة تكوينه معاً يهيئانه

(١) محمد إقبال . تجديد التفكير الديني في الإسلام . ص ١٣ .
(٢) محمد إقبال . تجديد التفكير الديني في الإسلام . ص ١٥ .
(٣) المصدر نفسه . ص ٢ .
(٤) سورة فاطر الآية ١ .
(٥) سورة الفرقان . الآيتان ٤٥ –٤٦ .

لأمـريــن أساسين:[١]

١- إدراك مـا يحيط بـه من الظواهر الكونيـة ،بحكم مـا زُود بـه من قدرة عقليـة، تمكنه من بناء صرح المعرفة أو العلم في مناحي وموضوعات شتى .

٢- اكتشاف الحقيقة الكلية وأدركاها مباشرة بحكم ما زُود به من قدرة على خوض التجربة الروحية التي تعتمد على البصيرة والإلهام .

ولا يفرق إقبال بين الفكر والبداهة ( البصيرة ) أو الحدس الوجداني وليس هنـاك من سبب يدعو إلى الظن بأن الفكر أو البداهة متضادان بالضرورة لأنهما ينبعثان من أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، فالفكر يدرك الحقيقة جزءاً والبداهة تدركها في جملتها ويتفق إقبال مع برجسون ( ١٨٥٩ – ١٩٤١ م) بأن البداهة ( الحدس أو البصيرة ) ليست إلا ضرباً عالياً من التفكير.[٢] ويعرض إقبال في كتابه ( تجديد التفكير الديني ) لمسائل فلسفية مهمة كالطبيعة والزمان والمكان ويعرض لأراء الفلاسفة بشأن هذه المسائل أمثال نيوتن ووايتهد ورسل وأنشاتين وغيرهم،[٣] ولديه آراء في فلسفة الحياة والموت.[٤]

## إقبال الصوفي:

إن فلسفة إقبال –فلسفة الذات –فلسفة صوفية أخلاقية تربوية ،تهدف إلى بناء شخصية الإنسان، فهو في نظرته للإنسان يمكن عده ـ كما يقول عباس محمود العقاد ـ رائداً من رواد الفلسفة الوجودية المتدينة. لأن فلسفته في الذات شبيهة بفلسفة الوجودية المؤمنة.[٥]

---

(١) محمد الكتاني. الإسلام والتطور في ضوء فلسفة محمد إقبال. مجلة الثقافة ( السورية ) كانون الثاني. ١٩٧٩ م . ص ٥ .

(٢) محمد إقبال .تجديد التفكير الديني . ص ٧

(٣) يُنظر : المصدر نفسه . ص ٣٦ وما بعدها .

(٤) يُنظر : د. رضا الدين الصّديقي . الحياة والموت في فلسفة إقبال تر : محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان . الأزهر .١٩٦٩

(٥) عباس محمود العقاد .تصوف إقبال من الهند أو من الإسلام .مجلة الوعي (الباكستانية ) العدد ٥ .السنة الأولى . ١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣ م .ص١٤

يقول د. كامل مصطفى الشيبي عن صوفية إقبال،انهُ (صوفي من طراز جديد وأصيل يتمثل في فلسفة الذات التي حاول فيها أن يجمع بين الفكر التطبيقي المجرد على صورة أقرب إلى التصوف وحاول أن ينفذ إلى أعماق الذات الإنسانية على الأسلوب الصوفي ويخضعها لبرنامج يزيل عنها تراكم السنين ويصّفيها من أشكال النقص الموروثة)[١] وإقبال نفسه يعترف بصوفيته إذ يقول: ( إني بفطرتي وتربيتي انزع إلى التصوف )[٢]

وكان إقبال قد وضع نظرية في التصوف يمكن أن نشبه هذهِ النظرية بالطريقة والسلوك، وهذه النظرية هي عينها فلسفة الذات، ومراحل تربية الذات التي توصل الإنسان إلى مرتبة الإنسان الكامل، وهي ما سنعرض لها لاحقا .وحارب إقبال التصوف السلبي (التصوف العجمي) لأنهُ يقتل في الإنسان الحيوية والإبداع ويحيل الإنسان إلى شخص عاطل بعيد عن الحركة والعمل. أما التصوف الذي يدعو أليه إقبال فهو التصوف الإسلامي الشرعي ( التصوف الايجابي ) الذي يدعو لبناء الذات الإنسانية وليبس هدمها .[٣] إذن ليس التصوف –عند إقبال – تقشفاً ولا تواكلاً ولا سلبية ولا أزياء غربية ولا فلسفات جامحة ولا تقاليد جامدة ولا إفراط ولا تفريط في الأشياء بل هو عبادة خالصة لله تعالى وعزيمة لا تضعف ولا تذل في الحياة، أنهُ قوة ونضال ضد الشر والانحلال والانحراف، وهو كما قال الشاعر :[٤]

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك أن غنى المغنونا

ولا اهتزاز ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد حرت مجنونا

بل التصوف أن تصفو بل كدر والدنيا وتتبع الشرع والقرآن

ويعرض إقبال للتصوف ونشأته وموقفه منهُ في كتابه (ما وراء الطبيعة في إيران) ورفض قول الذين يرون أن أسباب نشأة التصوف، أسباب خارجية، بل قال بأنها أسباب داخلية

---

(١) د. كامل مصطفى الشيبي. صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي.ط١، دار المناهل. بيروت ١٤١٨ هـ –١٩٩٧ م ص ١٨٣ .

(٢) محمد إقبال – ديوان الأسرار والرموز. تر: د. عبد الوهاب عزام. دار المعارف. مصر ١٩٥٦ م. المدخل ص ١١ .

(٣) د. عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص ٦٢ .

(٤) ذنون علي سوادي. التصوف الشرعي .مجلة الرسالة الإسلامية. العدد ٢٦٦ . بغداد . ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م . ص ٢١

نتيجة للأوضاع الفكرية والسياسية والاجتماعية التي أدت إلى نشوء التصوف الإسلامي.[١]

وتأثر محمد إقبال في صوفيته برسول الإنسانية محمد (ﷺ ) الذي ضرب أروع الأمثلة للأخلاق والسلوك،فهو (ص) الإنسان الكامل الذي كان يتخلق بأخلاق الله، والذي يطمح كل إنسان الوصول إلى مرتبته العليا وخلقهُ الانسى ( صلوات الله عليه وآله )[٢]كما تأثر إقبال بمتصوفة الإسلام ،كالحلاج وأبن عربي والرومي والجيلي وأحمد السرهندي وولي الله الدهلوي.[٣] وهذا ما جعل لويس رينو يقول إن إقبال وحَّد بين الميل الصوفي القديم والروم العصرية.[٤]

## الفن عند إقبال:

لم ينفك الفن – عند إقبال – عن فلسفة الذات، بل انهُ مرتبط أوثق الارتباط بها، وقد كان لهذه الفلسفة أثرها العميق في تصور الفيلسوف للفن والجمال . فقد رأى أن ذاتنا معيار القيم الإنسانية بوجه عام ، معيار الحسن والقبح بوجه خاص ، فالجميل عندهُ ما تدركه الذات في سموها واعتلائها، والقبيح ما تدركه في هبوطها وانحطاطها،

إذ يقول :[٥]

عالم الذات بهِ علو وسفل  واعتراك القبح فيه والجمال

في اعتلاء الذات ما يبدو جميلاً  وقبيح ما بدا في الاستفال

---

(١) محمد إقبال . ما وراء الطبيعة في إيران . تر: حسين مجيب المصري . ط١ مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٨٧ م ص ١٢٥ –١٢٦ .

(٢) د . عبد القادر موسى المحمدي . الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي الإسلامي . مجلة العلوم الاجتماعية . العدد ١١ . بغداد . ١٩٩٩ م . ص ١٧٧ .

(٣) د. أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص ٤٠٠ .

(٤) لويس رينو . الأدب الهندي . تر : بهيج شعبان. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت . ١٩٥٥ م . ص ١١٧ .

(٥) د. عثمان أمين. رواد الوعي الإنساني . ص ١٤٢ .وعثمان أمين أيضاً نظرية الجمال عند محمد إقبال. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ١٣،السنة الثالثة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤ م. ص ٨ .

ويرى إقبال أن الفن يجب أن يكون مقوياً للذات، وليس مضعفاً لها، وما يقوي الذات فهو خير وما يضعفها فهو شر.[١] وينادي بأن على الفن أن يكون معبراً عن حالات الإنسان والشرط الأساسي للفن أن يكون ملتزماً بالشريعة والدين .[٢]

وأن يوقظ رغبتنا وقوتنا النائمة ويثير أعصابنا لمواجهة تجارب الحياة ببسالة .[٣] وأن يكون باعثاً القوة في الذات والحرارة والعشق والنزوع إلى الترقي وتخليصها من قيود الخوف والتردد.[٤] ويشترط في رسالة الفن أن يكون رسالة شريفة ترفع من روح الإنسان وتقوي ذاته،وهذا هو الفن الحلال أما الفن الذي يضعف الذات ويميت القلب فهو الفن الحرام، وهذا الكلام يصدق على كل الفنون ( الشعر والموسيقى والغناء ) وغيرها [٥] يقول إقبال:

الدين والفن والتدبير والخطب والشعر والنثر والتحرير والكتب

إن تحفظ الذات هذي فالحياة بها أو لم تطبق ذاك فهي السحر والكذب

كم امة تحت تلك الشمس قد خزيت إذ جانب الذات فيها الدين والأدب

ولا ينفك الفن عن الدين عند إقبال، فقد رفض قول الذين يقولون بأن ( الفن للفن ) ومعنى هذا القول أن الفن يُقصد لجماله لا لشيء آخر، أما الحق والخير وما يتصل بهما فليس لهُ صلة بالفن، وليس للفن غاية إلا نفسه .[٦]

---

(١) محمد إقبال .ديوان أسرار الذات . ص ١٨ .

(٢) د. نجيب الكيلاني . الإسلامية والمذاهب الأدبية . ط١ مكتبة النور . طرابلس ليبيا . ١٩٦٣ م ص ٢٨ وما بعدها .

(٣) ممتاز حسن – إقبال ونظريته في الفن. مجلة الأديب ( اللبنانية ) العدد ٦ السنة التاسعة عشر . ١٩٦٠ م . ص ٣٢ .

(٣) عبد القدوس الأنصاري . مع شاعر الإسلام محمد إقبال . ظمن كتاب شاعر الإسلام محمد إقبال .مجموعة من الكلمات التي كتبها أدباء المملكة العربية السعودية . دار لأصفهاني . جدة ١٩٥٧ .ص ٣٣ .

(٤) محمد إقبال . ديوان أسرار الذات . ص ١٨ .

(٥) محمد إقبال . ديوان ضرب الكليم .تر : د . عبد الوهاب عزام . جماعة الأزهر للنشر والتأليف . القاهرة . ١٩٥٢ م . ص ٧٢ .

(٦) د . عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص ١٤٥ .

ويلتقي الفن بالدين ويسمو بالإنسانية نحو القمة المرموقة والأفاق الرحيبة التي تموج بما يسعد الحياة ويجعلها جديرة بالاحترام والحب .[١]

وكتب إقبال في الفنون الجميلة رسالة بعنوان ( بندكَي نامة ) أي رسالة العبودية، وشملت فنوناً عديدة كالموسيقى والتصوير والعمارة وفن صناعة الأحرار .[٢] وكانت نظرة إقبال للكون وما بهِ من جمال وكمال وجلال نظرة فنان ، لقد تعمق في أسرار هذا الكون فوجد أن كل شيء فيه لا يستقيم إلا إذا بُني على الحب،[٣] وهذا ما دعا جورج برناردشو (١٨٥٦ ــ ١٩٥٠ م ) إلى تسمية إقبال بالفنان الفيلسوف[٤]

## إقبال والمرأة:

نغمات المرء عزف المرأةِ ... هو من منحتها في عزةِ

كست الذكران رَباثُ الحجالْ ... أن ثوب العشق من نسج الجمال[٥]

عشق الحقّ ربَاهُ حجرها ... ذلك اللحن حواهُ صدرها

الذي قد بهر الكون سناه ... قرن الطيب إليها والصلاة[٦] [٧]

هكذا يصف إقبال المرأة في ديوانه (رموز نفي الذات ) فقد احتلت المرأة جانباً من تفكيره حتى عدها العنصر الأساسي في توجيه الجيل الصاعد وبناء المجتمع السليم فبصلاحُها يصلحُ المجتمع وبفسادها يُفسد، إذن هي ليست نصف المجتمع بل هي المجتمع بأكمله.

---

(١) د. نجيب الكيلاني . إقبال الشاعر الثائر . ص ٧٠ .
(٢) يُنظر : محمد إقبال . رسالة العبودية . تر : د. احمد معوض . ضمن كتاب العلامة محمد إقبال .ص ٤٠٢ وما بعدها .
(٣) شكيب الأموي . محمد إقبال . مجلة الوعي ( الباكستانية ) العدد ٢٥ . السنة الخامسة . ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م . ص ١١
(٤) ممتاز حسن . إقبال ونظريته في الفن . ص ٣٢ .
(٥) إكبار الرجل المرأة وحبها يدعو انه إلى الإقدام والعمل ، وكذلك تهدية وتلهمه .
(٦) أشارة إلى قول الرسول (ص) {حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة}.
(٧) محمد إقبال .ديوان رموز نفي الذات .ص ١٣٥ .

إنمـــا الأمُ علينـــا رحمـــة  والـــى الرُسـل لـــديها نسـبة

رأفـة المـرسـل فـي رأفـتـهـا  يـسرُ الأقـــوام مـــن صـنـعتهـا

ومـــن الأم عـلـت أقـدارنـــا  وبيـــسماهـا بـــدا مقِـدارنـا[1]

**فيرى إقبال أن الأمومة رحمة، أنها تُنسب للنبوة وهي التي تكتب سيرة الأمة. والأم هي الحجر الأول الذي يتربى فيه الإنسان ، فيصلح هذا بصلاح الأم وبالحنان والعطف والتربية الصحيحة، ويفسد أذا فقد الأمومة وحنانها وعطفها ورعايتها.**

إنمـا الأمة مـن وصل الـرحِـمْ  دونـــهُ أمـــرُ حيـاة لا يتـــم

قال خير الخلق، وهو الـحجةْ  تـحـت رجـل الأمهـات الجنـة

كُـشفت بالأم أسـرار الـحيـاة  بخـلال الأم تـسيار الحيـــاة

وبها فـي نـهـرنـا يعلـو الـعبـاب  ويـــدوم المـــوج فيـه والـحَبـابْ[2]

**ودافع إقبال عن المرأة، وراح يعلن عن دورها في المجتمع وفي بناء الإنسان ومشاركة الرجل في الحياة .**

**وقد فرض الله تعالى على المرأة واجبات خصها بها من دون الرجل .ومنها الحجاب. وكرامة المرأة في الحجاب وليس في السفور . لان في السفور فساد الشباب والمجتمع يقول إقبال: (السفور نور في العين لكنهُ ظلمة في الصدر )[3] وفي خطاب لإقبال إلى المرأة المسلمة يقول لها:[4]**

مُشَعلٌ مصباحُنا من نارِكِ  عِرُضنا في الصّون من أستاركِ

خُلقك الطاهُر فينا رحمة  قـــوي الـديـن بـهِ والأمـــــــة

طفلنـا علمتّهِ حـين الـفطـام  كلمة التوحيد من قبل الكلام

---

(١) محمد إقبال . المصدر نفسه . ص ١٣٥ .
(٢) محمد إقبال . ديوان رموز نفي الذات . ص ١٣٦ .
(٣) د. حميد مجيد هدو . إقبال الشاعر و الفيلسوف والإنسان . ص١٣٧ .
(٤) محمد إقبال . ديوان رموزنقي الذات ص١٣٩.

ويدعو إقبال النساء إلى الاتصاف بسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت نبينا الكريم ( عليهما السلام ) تلك المرأة التي كانت حياتها مثالاً للمرأة الفاضلة والزوجة الطاهرة والأم العظيمة في تربيتها لأبنائها وفي طاعتها لزوجها وحفاظها على عفتها وصيانة نفسها، تلك المرأة التي كانت أسوة حسنة للنساء المسلمات.

وفي قصيدة لهُ بعنوان ( فاطمة الزهراء ) يقول :[1]

نسبُ المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها

والمجدُ يُشرقُ من ثلاث مطالع ... في مهدِ فاطمة فما أعلاها

هي بنت من . هي زوج من هي أم من ... من ذا يداني في الفخار أباها

هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب أذا تروم هداها

## إقبال وحركة التجديد:

عُرف إقبال بين المفكرين والباحثين ،فضلاً عن كونه فيلسوفاً وشاعراً ومصلحاً بأنهُ مجدد، بل ومن أبرز رواد التجديد الإسلامي المعاصرين .[2]

وكانت نزعته التجديدية محط أنظار العديد من الباحثين والدارسين، وقد كُتبت العديد من الدراسات عن هذهِ النزعة.[2]

والذي نود معرفته هنا ما الذي يعنيه إقبال من حركة التجديد هذهِ ؟ وما هو الدافع الذي جعلهُ يذهب إلى سلوك هذا الطريق وهذهِ الحركة ؟

إن دعوة إقبال دعوة إنسانية عالمية وليست دعوة قومية محلية وهي تهدف إلى تحقيق أكبر عدد من المؤيدين والأنصار، وقد رأى أن هذا لا يكون إلا بالتوفيق

---

(١) محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال . ص ١٠٥ – ١٠٦ .وكذلك يُنظر : محمد إقبال . رموز نفي الذات .ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) يُنظر : Wilefred cantwell smith . Modern Islam in India . second edition . 1947 . Lahor – Pakistan . P . 114 - 116 .

(٣) يُنظر : ميلود خلف الله . النزعة التجديدية عند محمد إقبال . رسالة ماجستير .جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية . قسم أصول الدين .١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م .

بين حاجات الإنسان المادية والمعنوية ، الجسدية والروحية ،فلا بد من تحقيق هذا التوافق كي نُنشئ مجتمعاً مدرحياً.

لقد دعا إقبال إلى استحداث فلسفة إسلامية تفي بحق مقتضيات التطور العلمي ومتطلبات التجدد الفكري.[١] وهذا لا يكون إلا بالنظر إلى تراث الماضي الذهبي للإسلام والمسلمين، لأن من لا ماضي لهُ لا حاضر لهُ ولا مستقبل.[٢]

لقد كانت دعوة إقبال ردة فعل تجاه الأمور السيئة السائدة في عصره، فقد وجد أن من واجبه نقدها.

وإذا كان إقبال قد أهتم اهتماماً كبيراً في أشعارهِ وكتاباته بقضية التجديد فلأنه كان يؤكد نقطة البداية في فكره الفلسفي وهي الذات الإنسانية، ففلسفة الذات عند إقبال هي محور قضية التجديد.[٣]

أما دوافع إقبال نحو هذه النزعة، فأنه وجد بأن المجتمعات متباينة فيما بينها مادياً ومعنوياً. وان إطلاعه الواسع على الثقافات العالمية شرقها وغربها ورحلاته بين بلاد الشرق والغرب، جعلته يشعر بوجود هذا التباين، الشرق أرض الروحانيات والغرب أرض الماديات ففي الشرق غنى روحي، وفي الغرب غنى مادي، وهذا يفتقر لذاك، وذاك يفتقر لهذا، فعلى الطرفين أن يوفقا فيما بينهما من أجل الوصول إلى تحقيق مرحلة التوازن والاستقرار مادياً وروحياً وكان إقبال يسعى إلى تحويل الدين من مجرد معارف نظرية وطقوس عبادية إلى معرفة متطابقة مع الخبرة الدينية نفسها.[٤]

وكان إقبال كثيراً ما يركز على مسألة تمحيص الفكر الغربي لتحويل نتائجه إلى عامل ايجابي في تعميق الفكر الديني.[٥]

ولم تكن قضية التجديد عند إقبال مقتصرة على جانب واحد فقط من دون الجوانب الأخرى، بل شملت جميع ميادين الحياة.

---

(١) د. طه عبد الرحمن . سؤال الأخلاق .ط١، المركز الثقافي العربي .الدار البيضاء . المغرب ،٢٠٠٠ م .ص١٩٩ .ويُنظر :د. محمد البهي .الفكر الإسلامي الحديث . ص ٤٢٧ .

(٢) يُنظر : محمد إقبال .تجديد التفكير الديني . ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٣) يُنظر : . Alfred Guillaume . Islam . second edition . Edinburgh . 1956 . P .1 6 1 . 162 .

(٤) محمد الكتاني . محمد إقبال مفكراً إسلامياً . ص ٣٧

(٥) محمد إقبال . تجديد التفكير الديني . ص ١٤ .

## الأدب الفلسفي عند إقبال:

استطاع إقبال بما أوتي من ثقافة واسعة وموهبة في الشعر،أن يصب هذهِ الثقافة في قالبه الشعري ليخرج لنا أدباً فلسفياً خالداً، وهو واحدٌ من أبرز الذين أدبوا الفلسفة وفلسفوا الأدب. أمثال الكثير من الفلاسفة والأدباء في تاريخ الفكر والشعر .

واستطاع إقبال أن يُزاوج بين الشعر والفلسفة ،بين المنطق والعاطفة ، فكان شاعراً فيلسوفاً وفيلسوفاً شاعراً.[١]

والحقيقة- كما يذهب نجيب الكيلاني – إنها لمقدرة عظيمة أن تُثبت الأفكار في ثوب شعري جميل.[٢]

ولإقبال قصائد عديدة في هذا الجانب ،ففي قصيدة لهُ عنوانها (الحكمة والشعر) يقول فيها:[٣]

أبن سينا في غبار حائر ... ويد الروميّ في ستر الحبيب

غاص هذا يجتني دراً وذا ... كغُثاء دار في اللج المهيب

إن حقاً دونه نار حكمة ... وهو شعر إن يُصب نار القلوب

ولهُ قصائد تصف جمال الطبيعة ومخلوقاتها وتصف الإنسان وعظمة خلقه ، وفي قصيدة لهُ عنوانها ( النهر ) يقول:[٤]

أنظر النهر جارياً في هيام ... بين خُضر المروج مثل المجرةّ

كان في المهد في السحاب نؤوما ... شاقه السير في مروج وخضرة

يبعث اللحن جارياً فوق صخر ... صافي اللون في بهاء ونَضره

---

(١) يُنظر : نجيب الكيلاني . إقبال الشاعر الثائر .ص ٧٢

(٢) المصدر نفسه . ص٧٤

(٣) محمد إقبال . ديوان بيام مشرق . تر: د . عبد الوهاب عزام . مجلس إقبال . كراتشي . باكستان . ١٩٥١ . ص ٤٥ .

(٤) محمد إقبال . ديوان بيام مشرق .ص ٦٥ .

والشعر عند إقبال ليس مجرد كلمات تُنظم بأوزان شعرية ،وإنما هو رسالة شريفة يُريد أن يوصلها إلى الإنسانية أجمع ولهذا يقول :[١]

الشعر فيه من الحياة رسالة  أبدية لا تقبل التبديلا

أن كان من جبريل فيه نغمة  أو كان فيه نفخ أسرافيلا

وقد استطاع إقبال من خلال الشعر بناء فلسفة بجميع مباحثها يقول عنهُ عبد الوهاب عزام: ( ولا يروض الفلسفة للشعر، ويطوع الشعر للفلسفة إلا إقبال وأمثاله ـ وقليل ما هم ـ )[٢] وإقبال معروف لدى أكثر الباحثين والدارسين بأنهُ من أبرز الدعاة إلى الأدب الإسلامي الملتزم.[٣] ومهمة الشعر عندهُ أن يكشف عن حقيقة الإنسان وان يكون أداة يغير هذا الإنسان والاعتلاء به إلى أسمى مدارج الكمال الإنساني .[٤]

هكذا كان الشعر عند إقبال موقظاً للنفس الإنسانية من كل خمول وتكاسل معبراً عن واقع الإنسان، آخذاً بيده نحو بلوغ الكمال والسلام والعيش الهنيء، وكانت هذه الصفات تُصدق على شعره فقد كان هدفه الأول والأخير بناء الإنسان وتغيير واقعه نحو الأفضل .

---

(١) محمد إقبال .ديوان ضرب الكليم . ص٩٦ .

(٢) د. عبد الوهاب عزام . محمد إقبال .سيرته وفلسفته وشعره . ص ٦٧ .

(٣) يُنظر : نجيب الكيلاني . مدخل إلى الأدب الإسلامي .ط١ ، مطابع الدوحة الحديثة . ١٩٨٧ م . ص ٧٦ وما بعدها . ود. شلتاغ عبود . الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي . ط١ ،دار المعرفة .دمشق ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م . ص ٦٧ وما بعدها .

(٤) د. عبد العزيز المقالح . ملامح عن أراء محمد إقبال في الفن والأدب . مجلة دراسات يمنية . العدد ٥٧ . ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٨ م صنعاء . ص ١٧ .

# الفصــل الثانـي

# فلسفة الذات عند محمد إقبال

## المبحث الأول: الذات (خودي) عند إقبال

**الذات ودلالاتها**
**الذات في الفكر الفلسفي**
**دوافع فلسفة الذات لدى إقبال**
**المعنى العام لفلسفة الذات لدى إقبال**
**سبب اختيار إقبال لمصطلح (خودي ) ومعناه**
**أثبات الذات عند إقبال**
**ما الذي يقوي الذات، وما الذي يُضعفها؟**
**مراحل تربية الذات**

## الفصـل الثاني

# المبحث الأول

# فلسفة الذات عند محمد إقبال

## الذات ودلالاتها:

بما أن مصطلح الذات يشكل عنصراً أساسياً في بحثنا ومضمونه، فأنه من الواجب تعريف هذا المصطلح والوقوف على دلالاته من خلال القواميس والمعاجم المختلفة.

يعُرف الجرجاني الذاتي بأنهُ ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه، وقيل ذات الشيء نفسه وعينه[١].

ويعد مصطلح الذات من المصطلحات الأساسية في نظريات الشخصية فقد ناقشه الفلاسفة والعلماء، وكانت الذات في بعض الأحيان تُناقش بمعنى الروح وأحياناً بمعنى الشخصية وأخرى بمعنى الأنا، وكذلك جاء بمعنى العقل أو الفكر، وتحول هذا المفهوم من مفهوم ديني إلى فلسفي والى مفهوم نفسي في الوقت الحاضر[٢].

فالذات مقولة فلسفية غير محددة تحديداً دقيقاً ولها معانٍ عدة:

١- معنى فلسفي: تشير إلى الذات العارفة، ويقابلها (الموضوع) الشيء الشيء المعرف (الذي يوجه إليه النشاط المعرفي)[٣].

٢- معنى ميتافيزيقي: يقصد به حقيقة الموجود وهي ما تقوم بذاتها وتقابل العرض، وعند الكلام عن الله عز وجل يقال: الذات الآلهية[٤].

---

(١) السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني. التعريفات. المطبعة الحميدية المصرية. مصر ١٣٢١هـ ص ٧٣-٧٤.

(٢) غفوري عبد الجبار القيسي. قياس مفهوم تقبل الذات لدى معوقي الحرب. رسالة ماجستير.الجامعة المستنصرية .كلية الآداب. قسم علم النفس. ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م . ص١٢.

(٣) ينظر: الموسوعة الفلسفية. وضع لجنة من علماء السوفيت. أشراف روز نتال ويودين تر: سمير كرم. ط٦. دار الطليعة .بيروت.١٩٨٧م .ص٢١٦-٢١٧.

(٤) د. حسن حنفي. الموسوعة الفلسفية العربية، مادة ذات. المجلد الأول. رئيس التحرير د.معن زياده. ط١، معهد الإنماء العربي ١٩٨٦م. ص٤٥١. والمعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية. القاهرة عالم الكتب. بيروت. ١٣٩٦هـ-١٩٧٩م. ص٨٧.

**٣- في المنطق، تطلق الذات على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء ومنهُ الذاتي، وهو ما يخص الشيء ويميزه[١].**

**٤- يطلق مصطلح الذات على الماهية ( Quiddite) بمعنى ما بهِ الشيء هو هو ،ويراد بهِ حقيقة الشيء ويقابله الوجود ( Existence)[٢].**

**٥- في نظرية المعرفة، تعني الذات (Subject) ما بهِ الشعور والتفكير، فتقف الذات على الواقع وتستقبل الرغبات والمطالب، وتوجد الصور الذهنية، وتقابل العالم الخارجي[٣].**

**٦- في علم النفس، تشير الذات إلى الفرد بوصفه كائناً واعياً وكذلك إلى الأنا، والى الشخصية وانتظام ملامحها. والى تكامل الصفات السايكولوجية عند الفرد، وأستخدمه علماء التحليل النفسي على أنه يمثل طبيعة سلوكية الفرد في أثناء علاقاته بالآخرين[٤] ويقول علماء النفس أن التمييز القاطع بين الشخصية الإنسانية والشخصية الحيوانية، هو في احتواء الأولى على الذات[٥].**

**٧- في علم الاجتماع، تشير الذات إلى بناء نفترض وجوده بوصفهِ أساس تحقيق التكامل والاتصال بين خبراتنا جميعاً، أي الأساس الذي يجمع بينهما في كُل منظم ومتصل[٦] وكذلك تشير إلى ما يُشارك فيه الشخص عن وعيً فضلاً عن الأشخاص الآخرين، كما تشير إلى ما يختلف فيه مع شخصيات أخرى، ولذلك فالوعي هنا هو أدراك الشخص لما فيه من متشابهات أو مختلفات مع الآخرين[٧].**

---

(١) د.جميل صليبا. المعجم الفلسفي.ج١، دار الكتاب اللبناني. بيروت .١٩٨٢م. ٥٨٠.

(٢) د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي. ج١، ص٥٧٩. والشيخ محمد أعلى بن علي التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون. ج٢، خياط. بيروت ص٥١٩.

(٣) المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية. القاهرة.ص٨٧.

(٤) د. فاخر عاقل. معجم العلوم النفسية. إنكليزي-عربي.ط١، دار الرائد العربي.بيروت.١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.ص٣٤٥.

(٥) د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع.ج١، دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٠م. ص٣٦١.

(٦) معجم العلوم الاجتماعية . أعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين. الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٧٥. ص٢٧٧.

(٧) د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع. ج١، ص٣٦١. وينظر البروفسور دينكن ميشيل. معجم علم الاجتماع. تر: د. أحسان محمد الحسن. دار الرشيد للنشر. بغداد. ١٩٨٠. ص٢٦٧.

وإذا أرجع الفرد كل شيء خارج ذاته إلى ذاته يسمى (مركزية الذات) ( Egocentrism) ومثل هذا الشيء ما يقوم به الطفل الذي يرجع كل شيء إلى نفسه، ويجعل نفسه مركز العالم، فلا ينظر للأشياء إلا بمنظاره الخاص ولا يفكر إلا في ذاته.[١]

والمذهب الذاتي أو الذاتية ( Subject tivisme) يُطلق على الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل حكم، وجودياً كان أم تقديرياً، إلى أحوال أو أفعال شعورية فردية[٢].

ولمصطلح الذات مُرادفات عديدة، فهو يُطلق على النفس ( Self)[٣] وعلى الأنا (I,ego) [٤] وعلى الأنانية ( Egoisme) [٥] وعلى الشخص ( Person ) والشخصانية (Personalism) [٦] وقد فرق الجرجاني بين الذات والشخص، وقال بأن الذات أعم من الشخص لأن الذات تطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق ألا على الجسم [٧].أما فلسفة الذات التي هي موضوعنا عند إقبال، فيعني بها حقيقة الإنسان وذاته التي هي (نفس، وشعور، وشخصيه، وأنا)[٨].

والفلاسفة قديماً وحديثاً كانوا قد أشاروا إلى هذه المسألة وذكروا الذات بتسميات عدة كالنفس والروح والأنا والعقل والفكر، والشعور بالذاتية، والشخصية والشخصانية. وهذا ما سنعرض لهُ ونبينه في موضوع الذات في الفكر الفلسفي.ولعل سائل يسأل، أين إقبال من هذه التعريفات للذات وأيهما يعني من الذات؟

إن إقبال في تعريفه للذات إنما أراد التعريف الأول والخامس والسادس من هذه التعريفات، على أساس أن الإنسان بوصفه يمثل (ذاتاً عارفة ) و (كائناً واعياً) و(متفاعلاً مع الآخرين).

---

(١) د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي.ج١، ص٥٨٠-٥٨١.
(٢) المصدر نفسه. ص٥٨٣
(٣) ينظر: دا. فاخر عاقل. معجم العلوم النفسية. ص٣٤٥
(٤) محمد الزايد. الموسوعة الفلسفية العربية. المجلد الأول. ص١١٦.
(٥) أندريه لالاند. موسوعة لالاند الفلسفية. المجلد الأول. تعريب خليل أحمد خليل، ط١، بيروت- باريس ١٩٩٦م. ص٣٣٠.
(٦) ينظر: جميل صليبا. المعجم الفلسفي. ج١، ص٦٨٩-٦٩٠.
(٧) الجرجاني. التعريفات . ص٧٤.
(٨ ) - ينظر: إقبال .تجديد التفكير الدينى.ص١٢٤.وقبال أيضاً.ديوان الأسرار والرموز.ص١٧

وخلاصة القول أن إقبال أراد من كل ذلك أن يصب دراسته واهتمامه ومدار بحثه في الإنسان، بدمهِ ولحمه، بروحه وجسده، بعقلهِ وقلبه، أسوده وأبيضه.ذلك الإنسان المظلوم، المقتول، المشرد، المطارد، الجائع، العاري، المفترس من قبل أخيه الإنسان في كل آن.

## الذات في الفكر الفلسفي:

يمكن القول أن موضوع الذات لهُ بدايات تعود إلى ما قبل الفلسفة اليونانية، في الفلسفات الشرقية القديمة-العراقية والمصرية والهندية والإيرانية والصينية وغيرها. وقد عُرفت عندهم بمفاهيم ومعانٍ متعددة، كالأنا والنفس والروح والعقل والفكر والشعور بالذاتية[١].

وفي الفلسفة اليونانية كانت أحدى المفاهيم الرئيسة للوجود اللامادي، الذي وضعه سقراط (٤٦٩-٣٩٩ ق.م) بأنه ( الروح) وقد عُرف بمقولته الشهيرة (أعرف نفسك بنفسك) التي تعُد من أمهات الحكم في الفكر الإنساني[٢].

ومن هنا فقد عُد سقراط مؤسس الفلسفة الأخلاقية، لأنهُ أهتم بدراسة الإنسان وسلوكه ولم يوجه عنايته كسابقيه إلى الأبحاث الطبيعية والميتافيزيقية[٣].ولهذا جاء القول أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض.

أما أفلاطون (٤٢٧-٣٤٨ ق.م) فالذات عندهُ النفس التي هي جوهر مستقل عن الجسم، وهي أسمى من الجسم وخالدة وتطمح بالرجوع إلى عالمها الأول

---

(١) ينظر: محمد الزايد. الموسوعة الفلسفية العربية. المجلد الأول.ص١١٦.

(٢) ينظر: د.محمود قاسم. النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.١٩٤٩. ص٢٢.

(٣) د. ناجي التكريتي. الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام. ط٣. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٨م. ص١٨. و د.فيصل عباس. الفلسفة والإنسان. ط١، دار الفكر العربي بيروت. ١٩٩٦. ص٨٣.

الذي هبطت منهُ وهو (عالم المثل)[١].

والذات عند أرسطو (٣٦٧-٣٢٢ ق.م ) هي النفس أيضاً ويعرفها بأنها ( كمال أول لجسم طبيعي آلي ) وماهيتها تختلف عن ماهية الجسم، لأن طبيعة إدراكاتها لا تشبه طبيعة العناصر الأربعة التي تتكون منها الأجسام[٢] .
ومع ظهور الديانات أصبح مفهوم الذات جزءاً من التفسيرات الدينية، فالمسيحية تؤمن بأن الإنسان متكون من جزئيين متميزين، هما الجسم والروح، وأن الروح تسكن الجسم ومن ثم تنفصل عنهُ بعد الموت.

ومن أبرز فلاسفة المسيحية في العصر الوسيط الذين خاضوا في مسألة الذات، القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠ م) فقد رأى بأن الذات الإنسانية (النفس) صورة الله تعالى، فروحانيتها تجعلها واحدة غير منقسمة كما أن الله واحد، وهي جوهر مفكر تام في ذاته، والنفس عنده هي (الإنسان الباطن)، والجسم هو ( الإنسان الظاهر) ووجودها لازم من وجود الفكر، فما أن يدرك الفكر وجوده حتى يدرك ذاته كقوة حية[٣].

وقد بحث كلُ من القديس أنسلم (١٠٣٣-١١٠٩ م) والقديس توما الآكويني (١٢٢٥-١٢٧٤ م) في مسألة الذات الإنسانية[٤].
أما في الفلسفة الإسلامية فقد جاء ذكر الذات بمعانٍ عدة، فتاتي بمعنى الشخص، والروح، والنفس، والفكر، والعقل والشعور وقد أهتمَ فلاسفة الإسلام بدراسة الذات الإنسانية[٥].

فالكندي فيلسوف العرب (١٨٥-٢٥٢ هـ) يُعرف الذات –النفس بأنها جوهر إلهي روحاني، بسيطة، ذات شرف وكمال، عظيمة الشأن، جوهرها من جوهر الباري - عز

(١) ينظر: أفلاطون. محاورة فيدون. ضمن كتاب محاورات أفلاطون. تر: د. زكي نجيب محمود. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٦٦. ص١٥٠-١٥١.
(٢) ينظر: أرسطو. في النفس. تر: إسحاق بن حنين. تحقيق عبد الرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية القاهرة. ١٩٥٤. ص٢٩-٣٢.
(٣) ينظر: يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط. دار الكاتب المصري. القاهرة. ١٩٤٦.ص٣٢-٣٥.
(٤) المصدر نفسه. ص٨٥. وص ١٨٧ وما بعدها
(٥) ينظر: د.عرفان عبد الحميد. الفلسفة في الإسلام. دار التربية بغداد. ب.ت .ص ١٦٨ وما بعدها.

وجل ـ كقياس ضوء الشمس من الشمس، وهي استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة[١].

والذاتي عند الكندي ما هو مقّوم ذات الشيء، وهو الذي بوجوده قوام كون الشيء وثباته وبعدمه انتقاص الشيء وفساده[٢].

أما أبو نصر الفارابي (٢٥٧ ــ٣٣٩ هـ) فقد عرف النفس بأنها استكمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة [٣]. والفارابي يستخدم أحياناً كلمة الروح بدل النفس، وهما في حقيقة الأمر أسمان مترادفان لمعنى واحد في الفلسفة الإسلامية يعبران عن حقيقة الذات الإنسانية[٤] ويرى الفارابي أن كمال النفس الإنسانية ( المطمئنة ) معرفة الله تعالى[٥] .

والذات الإنسانية عند أخوان الصفا- القرن الرابع الهجري. هي فيض صادر عن النفس الكلية أو نفس العالم، فالعالم عندهم بمثابة إنسان كبير ، والإنسان عالم صغير[٦].

ولأبن سينا (٣٧٠ ــ٤٢٨ هـ) نظرية متكاملة في الذات الإنسانية بثها في مؤلفاته النفسية، والنفس الإنسانية عنده هي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختبار الفكري واستنباط الرأي، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية[٧].

---

(١) الكندي. رسائل الكندي الفلسفية. ج١، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط٢. دار الفكر العربي . القاهرة، ١٩٧٨. ص١١٣.

(٢) المصدر نفسه. ص٦١.

(٣) الفارابي. رسالة في مسائل متفرقة. ضمن رسائل الفارابي. طبعة الهند. ط١، حيدر آباد الدكن . ١٣٤٤هـ ــ ص١٨-١٩.

(٤) د. عرفان عبد الحميد. الفلسفة في الإسلام. ص١٦٦.

(٥) الفارابي. فصوص الحكم. تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. مطبوعات الجمعية الإسلامية. بغداد. ١٩٧٧. ص٦٥.

(٦) أخوان الصفا. رسالة جامعة الجامعة. تحقيق وتقديم عارف تامر. دار النشر للجامعيين. ١٣٨٨ هـ ١٩٥٩. ص٧٣-٧٤.

(٧) أبن سينا. رسالة أحوال النفس. تحقيق وتقديم د. أحمد فؤاد الأهواني. ط١، دار أحياء الكتب العربية. ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ . ص٥٦-٥٧.

والنفس عند أبن سينا هي مصدر الأفعال الحيوية[١]. وقد دُرست الذات الإنسانية في الفلسفة الإسلامية بصورة واسعة في المشرق والمغرب، وقد اقتصرنا على ذكر بعضها.

وفي الفلسفة الحديثة، وابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي، كانت الذات تقابل الموضوع،وكانت لها بعدا أبستسملوجيا (معرفي) كما نجد ذلك عند ديكارت (١٥٩٦ ــ١٦٥٠م) الذي جعل من الذات الجوهر الأساس في فلسفته، وإنما أراد في مقولته الشهيرة ( أنا أفكر أذن فأنا موجود) أن يؤكد أولوية الذات، وثانوية العالم الخارجي[٢] .

وعلى العكس من ديكارت، أراد سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧م) أن يرجع الحقيقة إلى اللا أنا أي العالم الموضوعي، إذ يجعل من الذات نتاج الموضوع[٣].

أما جورج باركلي (١٦٨٥- ١٧٥٢م ) فقد جعل الذات أساس الوجود الخارجي، فالوجود عندهُ فكرة ذاتية، وهو بهذا قريب من قول شوبنهاور (١٧٨٨ ــ١٨٦٠م) (العالم فكرتي ) ولكن على يد ديفد هيوم (١٧١١ ــ ١٧٧٦ م) أنهار صرح الذات، وجعل من العالم الموضوعي مداراً لتأملاته وأفكاره [٤].

وعند مجيء عمانوئيل كانت ( ١٧٢٤-١٨٠٤ م) أحدث ثورة سميت بالثورة الكوبرنيكية في الفلسفة، وجعل من الذات محور العالم، فالذات عنده هي ما بهِ الشعور والتفكير وهي مصدر الصور الذهنية وتقابل الواقع الخارجي، وهذا الخارجي لا وجود له من دون الذات، لأننا لا نستطيع معرفة الأشياء أل بوجود الذات العارفة[٥].

ومع فختة ( ١٧٦٢-١٨١٤ م) أخذت الذات ترتقي ويصبح لها مكانُ مرموقُ لا مثيل لهُ، فيقول: (أنك لا تعي في كل أدراك إلا ذاتك) فكل ما في العالم يرجع للأنا أو الذاتية[٦]. ويقول أيضاً (كل ما هو موجود، فهو موجود بقدر وضعه في الأنا وخارج

---

(١) أبن سينا. مبحث عن القوى النفسانية. ضبط وتصحيح أدوارد بن كرنيليوس فنديك الأمريكاني. ص٢٠

(٢) ينظر: حسن حنفي. مادة ذات. الموسوعة الفلسفية العربية. المجلد الأول. ص٤٥١. وتيسير شيخ الأرض. دراسات فلسفية. دار الأنوار ــبيروت. ص٢١٩.

(٣) ينظر: د. أمام عبد الفتاح أمام. مدخل إلى الفلسفة. دار الثقافة . القاهرة. ١٩٩٠. ص٣٠٥.

(٤) المصدر نفسه. ص٢٦٧.

(٥) ينظر: حسن حنفي. مادة ذات. الموسوعة الفلسفية العربية. المجلد الأول. ص٤٥١-٤٥٣.

(٦) المصدر نفسه. ص٤٥٤. وينظر: د. علي حسين الجابري. الإنسان والواجب. الموسوعة الصغيرة. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٨. ص١٤٩.

الأنا لا يوجد شيء)[١].

وفي الفلسفة الوجودية، الحديثة والمعاصرة أخذت الذات مساراً آخر، فالذات في الفلسفة الحديثة - كما عرضناها سلفاً - ذات معنى وبعدا أبستملوجيا ( معرفي ). أما هنا فهي ذات معنى وجودي، واقعي، شخصي وهو الإنسان بأكمله، جسداً وروحاً، دماً ولحماً، عقلاً وعاطفة.

يقول سورين كيركجارود (١٨١٣-١٨٥٥ م) : (ينبغي لي أن أسعى وراء حقيقة ليست بالحقيقة العامة، بل هي حقيقتي أنا... ينبغي لي أن أجد الفكرة التي من أجلها أحيا وأموت... أنني أستطيع أن أصرف نظري عن كل شيء، حتى عن الموت والجحيم، ولكنني لا أستطيع أن أصرفه عن ذاتي، حتى ولو كُنتُ في النوم)[٢].

والذات عند كل من كارل ياسبرز (١٨٣٣ –١٩٨٠ م) وجبريل مارسيل (١٨٨٩ – ١٩٧٣ م) أخذت تتفاعل مع الآخر، فلا سبيل أمام الإنسان إلى تحقيق ذاته ألا بالتآزر مع غيره من الناس، وأن الحرية لا تعيش ألا في عالم من الحريات، فمعرفة الذات لا يمكن أن تكون بطريق الاستغراق في التأمل، بل من خلال اتصالها ومشاركتها بالآخرين.[٣]

ويأتي جان بول ساتر (١٩٠٥-١٩٨٠م ) ليحطم هذا التآزر والتكاتف بين الآخرين ويعلن في أحدى رواياته قوله ( أن الآخرين هم الجحيم ) ولكنهُ على الرغم من هذا أعطى للذات أهمية كبيرة. وأعطاها مكانة متميزة وأكد حريتها، فالإنسان عند سارتر مجبور أن يكون حراً، لأن الحرية تعبر عن الشعور بالمسؤولية[٤].

كيف لا يكون سارتر من أشد المدافعين عن الذات الإنسانية وقد شهد ما شهد من الدمار والقتل وسفك الدماء في أثناء الحرب العالمية الثانية، فرأى الناس متعطشين للحرية،وإذ به يعلنها صرخة مدوية أن لا وجود إلا للإنسان . وجاء الاهتمام

---

(١) ولفنج شتروفه. فلسفة العلو. تر: عبد الغفار مكاوي. مكتبة الشباب. القاهرة. ١٩٧٥. ص١٥٨.

(٢) د. قيس هادي أحمد. دراسات في الفلسفة الإنسانية والعلمية. ط١، مكتبة المنصور العلمية. بغداد. ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م. ص١٩٨.

(٣) د. قيس هادي أحمد. المصدر نفسه. ص٢٤٤ و ص٢٥٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه. ص٢٧٠ وص٢٧٦.

بـالـذات الإنسانية في الدراسات النفسية والفلسفية تأكيداً للجانب الإنساني [١].

## دوافع فلسفة الذات لدى إقبال:

لكل فكرة تخطر على بال أي إنسان دوافع، ولكل فلسفة تظهر إلى الوجود من عقل، أي عبقري بواعث وأسباب، فلا شيء يأتي من لا شيء، وهذا ما جعلنا نتسائل عن الدوافع والأسباب التي دعت محمد إقبال إلى القول بفلسفة الذات، وهل هي فلسفة مثالية إيحائية إلهامية قذفت في قلبه، أم هي فلسفة واقعية نابعة من الواقع المعاش ؟

ما من شك بأن إقبال في فلسفة الذات كان واقعياً أشد الواقعية بعيداً عن المثالية، والدليل على ذلك أن فلسفته هذه كانت ردة فعل ضد الواقع السيئ المعاش في عصره، فأراد أن يعالج واقعه المريض ويشخص لهُ العلاج الناجح.

كما كان لكتاباته الشعرية والنثرية وخطبه السياسية صدى قوي في أرجاء الهند، وملأت حكمه الآفاق، وقد عرفه الصغير والكبير بحركته الإصلاحية التجديدية النهضوية التي تدعو إلى مواكبة حركة التقدم والازدهار في الميادين كافة، مع الالتزام بالشريعة الإسلامية السمحاء. فالإسلام دين حركي يدعو إلى التطور والاجتهاد وليس ديناً سكونياً منغلقاً[٢].

أشرنا في الفصل الأول إلى البيئة التي عاش فيها إقبال- سياسياً واجتماعياً وثقافياً- وكما هو معروف أن الإنسان أبن بيئته. فإذا كانت بيئة الشخص مضطربة مفككه فسيكون الشخص إما قانعاً تابعاً لهذه البيئة السيئة، أو ثائراً عليها نابذاً كل الظروف والأمراض الاجتماعية التي تسود محيطه، وإقبال أحد الثائرين على واقعه المريض، لقد نظر لواقعه ومحيطه فما ذا رأى؟

١- رأى الجهل والمرض والتخلف، الجهل بالعلوم العملية وبأساليب المدنية والتنظيم الاجتماعي. والإسلام الحي الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور صار عنواناً للذلة والفقر والضياع في نظر المسلمين المتزمتين، والفهم الخاطئ للإسلام من قبل المسلمين.

---

(١) خمائل خليل إسماعيل العبيدي. الجاذبية الشخصية وعلاقتها بتقسيم الذات. رسالة ماجستير. جامعة بغداد .كلية الآداب. قسم علم النفس. ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م. ص٣٠.

(٢) ينظر: محمد إقبال . تجديد التفكير الديني . ص١٦٨ وما بعدها.

٢- رأى فساد العقيدة وتحول التوحيد الإسلامي إلى وثنية مستترة وراء عبادة الأهواء والحكام والأصنام البشرية، ولهذا يقول إقبال : أن الأصنام ما زال المسلمون يعبدونها حتى اليوم، وأن أدّعوا الأيمان بالله ، وأن لهذهِ الأصنام صوراً عديدة وألواناً شتى.

٣- رأى الزهد في الحياة وانتشار الرهبنة بانتشار الروح الجبرية والتواكلية، وهناك التصوف العجمي السلبي. كما يقول إقبال الذي أبعد الناس عن العمل، فاستسلموا للأقدار، وقالوا ماذا نعمل أمام قضاء الله وقدره. أنثور ونتمرد على سُنن الله وأرادته ؟ فكل شيء آتٍ منهُ ولا مرد لقضائه، ولكن إقبال رأى أن هذا التواكل أنسى المسلمين أن لهم أرادة مضمونها الحرية والاختيار لا الجبر والقهر، وأن الإنسان مخير وليس مسيراً.

٤- رأى محمد إقبال، إقبال الشباب المسلم على الحضارة الغربية، مبهورين بمفاتنها ومباهجها البراقة الزائفة إذ لم يجدوا في واقعهم سوى المرض والتخلف والرجعية، فأقبلوا على حضارة الغرب من دون نقد أو تمحيص، واعتقدوا أن كل ما يأتي به الغرب هو الدواء الشافي المعافي لأمراضهم، مما جعلهم يفقدون الثقة بأنفسهم، وأصبحوا مقلدين ومتبعين لا يعرفون أي معنى للإبداع والإنشاء بعد ما كانوا هم المبدعون المنشئوون. فالإسلام ليس مجرد غذاء روحي للإنسان فحسب كما يظن بعضهم، بل يمثل أيضاً حاجة يومية وعملية للحياة أجمع[١].

٥- رأى إقبال بأن المسلمين ليسوا كما كانوا سابقاً يتحملون المصاعب والمشاق من أجل الوصول إلى الأهداف والغايات السامية، فهم اليوم ينشدون السكون والدعة ولو عاشوا في أكناف العبودية وخمول الذكر، وإقبال يرى أن السعادة والنجاح لا تأتي ألا بعد شقاء وعناء وألم، ومن طلب العُلى سهر الليالي[٢] .

لقد رأى إقبال كل ذلك أمام عينيه، مما دعاه إلى وضع العلاج الناجح والدواء الشافي وتحسين واقعه السيئ كي ينهض بالأمة الإسلامية نحو الجد والاجتهاد والعمل المتواصل، لأنه من دون عمل وسعي جاد لا تكون هناك ثمرات، والعمل

---

(١) هيام الملقي . التجارب الروحية بين التأصيل الإسلامي والاغتراب الثقافي. ط١، دار الفكر. دمشق. ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. ص٥٠.

(٢) ينظر: محمد الكتاني. الإسلام والتطور في ضوء فلسفة محمد إقبال. مجلة الثقافة (السورية ). ص٤.

أساس فلسفة الذات عند إقبال[1] .

ولا بد للناس أن يعودوا لرشدهم ووعيهم عن طريق ذواتهم لأنها مصدر الحركة والعمل ومصدر النور والحياة ومركز الإنسانية ومدار الخلود.يجب أن يرجع الإنسان إلى ذاته، فيعرف ما يضعفها فيتركه، وما يقويها فيعمله وينفي عنها الخوف والجبن، وعليه أن يتخطى العقبات في سبيل الحياة، وهي المادة، ولكن المادة في نظر إقبال ليست شراً كما يقول حكماء الإشراق بل هي تُعين الذات على الرقي، فأن قوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذهِ العقبات[2].وهكذا آمن إقبال بالإنسان ووجوده أشد الأيمان فذات الإنسان في نظر إقبال هي أصل الكون، وإهمال الذات وعدم الشعور بها وعدم وعيها الوعي التام هو الجهل والبلاء المؤدي إلى خراب العالم.وكان إقبال يرى أن ذلك لا يكون ألا من خلال فهم الإسلام فهماً صحيحاً وتدبر آياته ومعرفة أوامره ونواهيه، فيقول إن (العالم اليوم أصبح مفتقراً إلى تجديد بسيولوجي والدين الذي هو في أسمى مظاهره ليس عقيدة فحسب أو كهنوتاً أو شعيرة من الشعائر، هو وحده القادر على أعداد الإنسان العصري أعداداً خُلقياً يؤهّله لتحمل التبعة العظمى التي لابد أن يتمخض عنها تقدم العلم الحديث، وأن يرد إليه تلك النزعة من الأيمان، التي تجعله قادراً على الفوز بشخصيته في الحياة الدنيا، والاحتفاظ بها في دار البقاء)[3].

ويقول إقبال أن الإنسانية تحتاج اليوم إلى ثلاثة أمور[4] :

١- تأويل الكون تأويلاً روحياً.

٢- تحرير روح الفرد.

٣- وضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحي.

---

(١) ينظر: محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٣-١٤. ود. حسن حنفي. الموسوعة الفلسفية العربية. المجلد الأول. ص٤٥٥. ود. طه عبد الرحمن . سؤال الأخلاق. ص١٩٨-١٩٩.

(٢) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٧.

(٣) محمد إقبال. تجديد التفكير الديني. ص٢١٧.

(٤) محمد إقبال . تجديد\ التفكير الديني. ص ٢٠٧.

## المعنى العام لفلسفة الذات لدى إقبال:

قبل الولوج في بيان فلسفة الذات عند إقبال لا بد من تقديم عرض عام يُسلط الضوء على معنى هذهِ الفلسفة، وبيان مقصد إقبال منها.

لقد توهم بعض الفلاسفة والمتصوفه بأن المثل الأعلى للإنسان هو في سلب الذات وأماتتها وإذلالها حتى تؤهل للفناء في ذات الله، وأصحاب وحدة الوجود -في نظر إقبال – يرون أن مقصد حياة الإنسان أن يفني نفسه في الحياة المطلقة أو (أنا) المطلق، كما تفنى القطرة في البحر[١].

ويرى إقبال أن أصل هذِه الأفكار ومصدرها هو التصوف العجمي (التصوف السلبي) كما يُسميه، الذي يدعو إلى إماتة الذات وليس أحياءها، وعكس هذا التصوف، التصوف الإسلامي ( التصوف الايجابي) الذي يُحي (خودي) الذات، ويبلغ بها إلى أعلى المقامات[٢].

يقول إقبال: أن التصوف العجمي الذي شاع بين المسلمين أخذ من رهبانية كل أمة، وجهد أن يجذب إليه: كل نحلة، حتى القرمطية التي قصدت إلى التحلل من الأحكام الشرعية[٣].

ويقول أيضاً: ( كما أن أمم الشرق المتفلسفة تميل إلى أن تعتبر (أنا) أي الذات، في الإنسان من خداع الخيال. وتُعد الخلاص من هذا الغُل نجاة... واختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم،النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً ودقق حكمائهم في حقيقة العمل، وانتبهوا إلى نتيجة مفادها: أن حياة ( أنا ) الذات أصل المصائب والآلام )[٤].

كُل هذِه السلبيات دعت إقبال إلى توخي الحذر من هذِه الفلسفات ، والعمل على أيجاد فلسفة جديدة نابعة من الدين الإسلامي، تؤدي إلى كمال الإنسان والإنسانية

---

(١) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٦. ومحمد إقبال. ديوان جاويد نامة- رسالة الخلود –تر: د. محمد السعيد جمال الدين. مطابع سّجل العرب. القاهرة. ١٩٧٤. ص١٧.

(٢) د. عبد الوهاب عزام. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص٦٢. ود. حسين مجيب المصري. إقبال والقرآن ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات. ص٧٣-٧٤.

(٣) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز .ص١١.

(٤) المصدر نفسه. ص: ١٣.

وخلودهما، وهذا لا يُنال ألا بالعمل، وفلسفة الذات هي الفلسفة الجديدة التي جاء بها إقبال، معارضاً ورافضاً بها كل الفلسفات السلبية، السكونية الجامدة[١].

وتعني هذِه الفلسفة أن الحياة كلها فردية، وليس للحياة الكلية وجود خارجي، وحيثما تجلت الحياة تجلَّت في شخصٍ أو فرد أو شيء، والخالق كذلك فرد، ولكنُه فرد لا مثيل لهُ[٢].

ويرى إقبال أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي هو في أثبات ذاته وليس نفيها، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف.

قال رسول الله (ﷺ) ( تخلقُّوا بأخلاق الله ) فبقدر اتصالنا بالله تعالى، وبقدر تخلقنا بأخلاقه وتشبهنا به سبحانه، ننال السمو والكمال ويصير الواحد منا فرداً بغير مثيل، كما أن الخالق فردُ لا مثيل لهُ، وليس هذا القرب- كما يقول إقبال- هو أن يُفني الإنسان وجوده في وجود الله، كما تقول فلسفة الإشراق، بل هو على عكس هذا يُمثل الخالق في نفسه[٣].

وإنما كان اعتراض إقبال على أفلاطون هو في أصلهِ اعتراض على كل النظم الفلسفية التي تهدف إلى فناء الذات لا إلى بقائها[٤].

ويرى إقبال أن الحياة رقي مستمر ونشاط متجدد، تُسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها، وحقيقتها أن تخلق مطالب ومثلاً جديدة. وقد خُلق من أجل أتساعها وترَّقيها وقهر العقبات والمشقات، الحواس الخمس والعقل[٥] .

وليست المادة والطبيعة شراً، بل هي تعين الذات (خودي) على الكفاح والجهاد، وتتجلى قوى الذات الخفية في مصادمة هذِه العقبات[٦].

---

(١) عصام الدين حواس. ثورة الأخلاق . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. دار الكتاب العربي. القاهرة. ب.ت. ص١٦٨.

(٢) محمد إقبال. ديوات الأسرار والرموز. ص١٦.

(٣) Muhammad Iqbal. The pilgrimage of Eternity. ( Javid nama ) Translation : Muhmud Ahmad . Lahore. 1961 . The iutroduction. P.Xviii. وينظر Shaikh

(٤) عبد الوهاب عزام. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص٥٧.

(٥) المصدر نفسه. ص٥٦.

(٦) أحمد حيدر. إعادة أنتاج الهوية .ط١، دار الحصاد. دمشق .١٩٩٧. ص١٦٦.

وتبلغ الذات منزلة الاختيار بهذا الجهاد والعمل المتواصل الذي فيه ديمومة الذات وخلودها لا في الاسترخاء فالذات – كما يقول إقبال - فيها اختيار وجبر، وتنال الحرية الكاملة أذا قاربت الذات الآلهية المطلقة، والحياة جهاد لتحصيل الاختيار، ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها[١].

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يتمتع بالحرية والمسؤولية تجاه ما يفعل، قال تعالى ﴿أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحمِلنَّها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، أنهُ كان ظلوماً جهولاً﴾ [٢]. ويفسر إقبال هذهِ المسؤولية والأمانة بأنها تشكيل الإنسان لمصيرهِ بمحض أرادتهِ[٣].

وفي ذات الإنسان قوة خلاقَّه وحيوية تدفع بالإنسان نحو الكمال وهي قوة العشق التي تحول القطرة إلى دُرة، يقول إقبال للإنسان ( أخرج النغمة التي في قرار فطرتك. يا غافلاً عن نفسك. أخلها من نغمات غيرك[٤]. فالإنسان في صميم كيانه يُمثل قوة مبدعة وروحاً متصاعدة تنمو في سيرها من حالة وجودية إلى حالة أخرى[٥].

ولم يترك إقبال الفرد غافلاً عن مجتمعه، ويعمل كل ما ذكرناه بمعزل عنهُ. بل بتوثيق العلاقة وتوطيدها بين الفرد والمجتمع يحصل الكمال التام للإنسان والإنسانية معاً. وهذا ما أقره إقبال في الشق الثاني من فلسفة في الذات وهو ما أسماه بـ ( بيخودي ) أي المجتمع الذي يقابل (خودي) الذات.

## سبب اختيار إقبال لمصطلح ( خودي ) ومعناه:

لعل سائل يسأل ماذا يقصد إقبال بكلمة (خودي ) ؟ ولماذا أستخدم هذا المصطلح

---

(١) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٦-١٧.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢.
(٣) محمد الكتاني. محمد إقبال مفكراً إسلامياً. ص٨٠.
(٤) د. عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص٧.
(٥) ينظر :محمد إقبال .تجديد التفكير الديني. ص١٩.

الفارسي من دون غيره من المصطلحات ؟ وما هو معنى هذا اللفظ في اللغة الفارسية ؟*.

كان من العسير على إقبال أن يتخذ لفظاً ومصطلحاً لفلسفته في الذات وكان اختياره للفظة (خودي) اختياراً شاقاً، وقد تعرض للنقد الشديد من المثقفين لاختياره هذِه الكلمة التي تعني لدى عامة الناس الأنانية والفردية ولكن إقبال لم يقصد بها هذا المعنى الشائع.

ويحدثنا إقبال عن سبب اختياره لهذَه الكلمة في بناء فلسفته فيقول: (أُختيرت كلمة (خودي) بصعوبة بالغة وبجهد شديد. فمن وجهة النظر الأدبية فيها العديد من المثالب ونواحي النقص، ومن الناحية الأخلاقية تُستعمل عادة في كل من الفارسية والأردو بمعنى سيء. كذلك الحال مع الكلمات الأخرى للحقيقة الغيبية لكلمة (أنا ) فكلها على نفس الدرجة من السوء، ومثل أنا، شخص، نفس. وكلمة (مين) على نفس القدر من السوء. ومع ذلك وحرصاً على متطلبات الشعر، فقد الفيت أن كلمة (خودي) أكثرها مناسبة[١].

ولم يقصد إقبال بكلمة (خودي) المعنى العام المعروف لدى الجميع (الفردية والأنانية والأثرة) وإنما يعني بها الإحساس بالنفس أو تعيين الذات،[٢] ومن الناحية الأخلاقية يقصد بها الاعتماد على الذات، واحترام الذات، والثقة بالذات، والحفاظ عليها وتأكيد وجودها.

وإقبال يعني بـ (خودي)أيضاً ( الشخص والشخصانية) وهذا ما ارتآه محمد عزيز

---

* رجعنا إلى معاجم وقواميسس اللغة الفارسية لنتعرف على معنى كلمة (خودي) فوجدنا أن مصدرها هو (خود) وهو ضمير بعنوان الضمير المشترك للمتكلم والمخاطب والشخص الغائب. ويعني به النفس والذات للشخص. حسن عميد. فرهنك عميد. قاموس فارسي- فارسي . مطبعة سبهر ١٣٤٢ شمسي- ١٩٦٣م. ص٥٤٨.
وكلمة ( خودي) تدل بالعربية على معنى ( معرفة . أنانية. وجود ). محمد التونجي. المعجم الذهبي ( قاموس فرهنك طلائي ) فارسي- عربي. ط١، دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٦٩م. ص٢٤٦.

(١) ينظر: محمد إقبال . ديوان الأسرار والرموز. ص١٤-١٥. و د. أحمد معوض. العلاقة محمد إقبال. حياته وآثاره. ص٣٣٠.
Syed Abdul Vahid.Thoughts and reflections of,Iqbal .Lahore –Pakistan. 1964. P.243.:ينظر

(٣) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٥.

**الحبابي في كتابه ( الشخصانية الإسلامية ) ونحن نتفق معه في هذا الرأي[١] .**

**ونرى أن السبب الرئيسي في اختلاف الباحثين والدارسين بشأن فلسفة إقبال، أهي فلسفة الذات أم فلسفة الأنا أم الفلسفة الشخصانية، يرجع إلى صعوبات النقل والترجمة من لغة إلى أخرى[٢].**

**وهذا ما أكده الباحثون أيضاً[٣].كما أن مصطلح الذات بحد ذاته يعَّد من المشكلات الفلسفية[٤]. إذ أن أصحاب المعاجم والقواميسس الفلسفية اختلفوا في تعريفه، وهذا ما عرضنا لهُ في موضوع (الذات ودلالاتها).**

**أما عن سبب اختيار إقبال للمصطلح الفارسي واللغة الفارسية وسيلة لنشر فلسفته وشعره، فأنه يرجع إلى أن الكثير من المسلمين المتعلمين في الشرق الإسلامي يقرأون الفارسية، فهو أراد أن يحقق أكبر قدر من المؤيديين والتابعين لفلسفته ليس في الهند وحدها بل وفي العالم الإسلامي أجمع[٥].**

**ولا ننسى أن نشير إلى أن إقبال فضلاً عن استخدامه اللغة الفارسية وسيلةً لنشر فلسفته وشعره كتب بالإنكليزية والأوردية.**

---

**(1) يقول الحبابي ( أن كلمة شخص في نظرنا أقرب إلى الصواب من الذاتية. ألسنا نرى أن لفظ " شخص" ينحصر في الدلالة على الإنسان، في حين أن كلمة "ذات" يشترك فيها الإنسان والحيوان بل حتى الأشياء، نقول الرجل "ذاته" والحصان "ذاته" والورقة "ذاتها" ) الشخصانية الإسلامية. ط٢، دار المعارف .القاهرة. ب.ت. ص٢١-٢٢.**

**(2) يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون (١٨٥٩ –١٩٤١م) لو أن قصيدة من الشعر تُرجمت إلى جميع اللغات الممكنة، فجميع تلك الترجمات مهما نبذل فيها من محاولات لحسن السُبك والصياغة، ومهما نزد عليها من محسنات وتنقيحات لكي تعطي صورة تزداد أقتراباً من القصيدة فما هي بمعطية أبداً المعنى الباطن للأصل الذي نُقلت عنهُ. هنري برجسون. الفكر والواقع المتحرك. فصل المدخل إلى الميتافيزيقا. ت: سامي الدروبي. طبعة الأوابد . ب.ت. ص١٧٧-١٧٨.**

**(3) ينظر: د. عبد العزيز المقالح. إقبال ومعركة التحديث والتواصل. مجلة دراسات يمنية. العدد.٥٤. صنعاء. ١٤١٨-١٩٩٧. ص٩. والمقالح أيضاً . نماذج من شعر إقبال. مجلة دراسات يمنية. العدد ٥٨. صنعاء. ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م . ص١٢.**

**(4) ينظر: أحمد حيدر. نحو حضارة جديدة. ط١، مطبعة الإنشاء. ١٩٦٩. ص٢١٤.**

**(5) د.أحمد معوض. العلاقة محمد إقبال.ص٣٢٩. وأحمد عبد الستار الجواري. محمد إقبال الشاعر الفيلسوف الخالد.ضمن كتاب إقبال شاعر الإسلام وفيلسوفه الخالد. مجموعة من الخطب والكلمات. بغداد. ١٩٥٠. ص٣٣.**

## إثبات الذات عند إقبال:

ذكرنا فيها سبق أن هدف إقبال في بناء فلسفته هو في إثبات الذات وتحقيق وجودها وتحصينها، لكي تبلغ أعلى المنازل، وتصل إلى درجة الكمال متمثلة بمرتبة ( الإنسان الكامل )، وليس بإماتتها وأفناها في الذات الآلهية. فقد رفض إقبال هذا الرأي الذي جاء به أصحاب وحدة الوجود من اتباع محي الدين بن عربي ( ت ٦٣٨ هـ ) وسبينوزا ( ت ١٦٧٧ م) وهيجل ( ت ١٨٣١ م)[١] .

ويرى إقبال بأن على أمم الشرق والأمة الإسلامية أن تنهض إلى العمل، لأن الإسلام يرى أن خلود ( أنا ) الذات في العمل[٢]. وعلى أمم الشرق أن تفهم أسرار الحياة، وأن تنظر إلى أمم الغرب التي امتازت بين الأمم بالعمل.

وتأكيد إقبال إلى العمل نابع من تأكيد الدين الإسلامي له. قال تعالى " وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسولهُ والمؤمنون[٣].

وقال تبارك وتعالى " وأبتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك "[٤].

ولا بد أن يقوم هذا العمل على تقوية الذات التي هي مركز الكون، فيقول إقبال في ديوانه ( أسرار الذات ) عن الذات[٥]:

هيكل الأكوان من آثارها  كُل ما تبصر من أسرارها

نفسها قد أيقضت حتى أنجلى  عالم الأفكار ما بين الملا
ألف كون مختفٍ في ذاتها  غَيرها يَثبت من إثباتها

ونظرة إقبال هذِه في تأكيد الذات وجعلها أصل الكون، وبوجودها توجد الأشياء، قريبة من نظرة الفلسفة المثالية الذاتية، التي تؤكد أولوية الذات وأنها مصدر الوجود

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة. المجلد الأول. أشراف محمد شفيق غربال. دار نهضة لبنان. بيروت. ١٩٨٠م. ص١٨٣-١٨٤.
(٢) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٣-١٤.
(٣) سورة التوبة . الآية ١٠٥.
(٤) سورة القصص. الآية ٧٧.
(٥) محمد إقبال . ديوان أسرار الذات . ص١٣.

والمعرفة، ولولاها لما عُرفت الأشياء[١]. وأبرز من أكد أولوية الذات الفلاسفة العقلانيون والوجوديون، كديكارت وكانت وفختة وبركلي وكيركجارد وهيدجر وسارتر وغيرهم.

ونتفق مع إقبال بأن الإنسان هو أصل الكون، وهو صانع لأفعاله وهو مبدع وخالق، ولا يُفهم من هذا الكلام أن الإنسان خالق ومبدع بمعنى الخلق والصنع والإبداع الذي ينسب لله تعالى، بل أنهُ يعني أن الإنسان بما أوتي من قوة خلاَّقه وطاقة مبدعة ومواهب عجيبة، قادر على أن يخلق ويصنع مصيره ومصير العالم، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع، وإذا فُسد، فَسد. وهذا القول شبيه بقول الشيخ الرئيس أبن سينا في رسالته ( أحوال النفس) عندما يتكلم عن الكمال البشري والنفس الإنسانية، إذ يقول: ويكون لقوتهِ النفسانية –أي الإنسان –أن تؤثر في عالم الطبيعة[٢].

ويقول إقبال مؤكداً ما قلناه ( ولما كانت حياة العالم من قوة الذات. فإنما تكون الحياة بقدر استحكام هذِه الذات وصلابتها )[٣].

فدعوة إقبال هذِه ترشدنا وتحثنا على معرفة النفس معرفة دقيقة وصحيحة، فألف باء السلوك الحسن والأخلاق العملية هو أن تعرف نفسك بنفسك، فتعرف مواضع النقص لتكملها، وأن تعرف حسناتها فتنميها، وسيئاتها فتقلع عنها، فمعرفة النفس مبدأ كل علم وفضيلة، ومعرفة النفس مفتاح معرفة الله الحق المبين[٤].

ويدعونا الدين والعلم والفلسفة إلى أن نعرف نفوسنا. قال الله تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهُ الحق "[٥]. وقال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) " من عرف نفسه فقد عرف ربه "[٦].

وكانت آية سقراط التي يرددها على الدوام تلك الحكمة الخالدة " اعرف نفسك بنفسك".

---

(١) ينظر : الموسوعة الفلسفية. وضع لجنة من علماء السوفيت. ص٢١٦-٢١٧.
(٢) أبن سينا. رسالة أحوال النفس. ص١٢٥.
(٣) ينظر: محمد إقبال. ديوان أسرار الذات. ص١٣ –١٤ . ود. أحمد معوض. العلاَّمة محمد إقبال. ص٣٤٢.
(٤) منصور رجب علي. تأملات في فلسفة الأخلاق. ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٦١. ص ٨ – ٩.
(٥) سورة فصلت . الآية ٨٣.
(٦) أبن سينا. مبحث عن القوى النفسانية. ص١٩.

وأن تلك الدعوة لمعرفة النفس التي أهتم بها إقبال في فلسفة الذات أنما هي بالأصل دعوة لسمو الأخلاق، وبناء الشخصية الإسلامية الصحيحة كي نصل إلى مرحلة الإنسان الكامل الذي يرتفع من حيوانية الدنيا إلى إنسانية العليا[١].

ولا يستطيع الإنسان بلوغ درجة الكمال واستحكام الذات- عند إقبال – إلا بتوليد وخلق المقاصد، فأن حياة الذات عنده أنما تكون بهذِه المقاصد، إذ يقول : ( إن بقاء الحياة أنما يكون بالأهداف، وجرس قافلتها أنما هو من المقاصد. فالحياة كامنة في البحث. وأصلها خاف في الأمل. فأحفظ الأمل في قلبك حياً نابضاً، حتى لا تستحيل حفنة ترابك
مزاراً، وتكون حياتك موتاً)[٢].

ويؤكد إقبال أهمية الأمل في استحكام الذات واستمرار الحياة، فطالما كان هناك أمل كانت هناك حياة، وعلى العكس من ذلك لا حياة بلا أمل، فيقول:[٣].

إنما يحيا الفؤاد الأملُ  وإذا حيّ يموت الباطل
أمل الذات لهيب يستعر  أو هو الموج الذي لا يستقر

ويدعو إقبال، الإنسان إلى أن يكون قوياً، لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ويقول عن القوة ( عندما أقول ( كن قوياً كالماس) فلا أعني ما يعنيه نيتشه في الصلابة أو قسوة الفؤاد أو انعدام الرحمة، وإنما أعني تكامل عناصر قوة الذات بحيث يمكنها أن تسد الطريق على قوى التدمير بوسائلها تجاه الخلود الذاتي)[٤].

والذات تضعف وتقوى وكل ما يقويها هو خير وكل ما يضعفها هو شر، وليست هناك أعمال تورث اللذة وأعمال تورث الألم. بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء أو تكتب لها الفناء، ومبدأ العمل الذي يكتب للنفس البقاء- كما يقول إقبال – هو

---

(١) د. ماهر كامل. وعبد المجيد عبد الرحيم. مبادئ الأخلاق. ط١، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٥٨. ص٤.
(٢) د. أحمد معوض. العلامة أحمد إقبال. ص٣٤٣.
(٣) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات. ص١٦ –١٧.
(٤) د. أحمد معوض . العلامة محمد إقبال. ص٣٣٢.
وكذلك : Syed Abdul Vahid. Thoughts and reflections of Iqbal . P .96 and P. 244.

**احترامي للنفس فيَّ وفي غيري من الناس[١].**

**ولعل سائل يسأل ما الذي يُريده إقبال منا باختصار؟**
**يُريد إقبال القول إن منتهى غاية الذات ليس أن ترى شيئاً، بل أن تصير شيئاً، والجهد الذي تبذله الذات لكي تكون شيئاً هو الذي يكشف لها فرصتهما الأخيرة لشحذ موضوعيتها، وتحصيل ذاتية أكثر عمقا[٢]. وإن على المسلم في كل زمان ومكان أن يقّدر موقفه وأن يعيد بناء نفسه، وبناء حياته الاجتماعية في ضوء المبادئ الدينية والأخلاقية.**

## ما الذي يقوي الذات وما الذي يضعفها:

**ذكرنا فيما سبق أن إقبال يهدف إلى تقوية الذات وتحصينها واستحكامها، وقال إن كل ما يقوي الذات هو خير، وما يضعفها هو شر، في الدين والفن والأخلاق.**
**وقبل أن نصل إلى عرض مراحل تربية الذات لابد أن نمهد لهذِه المراحل ببيان ما هي الأمور التي تدعم الذات وتقويها، وما هي التي تضعفها.**
**أ- ما يقوي الذات:**
**١- الحب والعشق: تُستحكم الذات بالمحبة والعشق، ويحذر إقبال من أن يُفهم من هذين المفهومين بأنهما يعنيان جلب السرور الفردي، وإنما يمثلان قوة روحية حيوية خلاقة تدفع الفرد لأن يُحيي الحياة[٣].**
**وكثيراً ما كتب إقبال عن دور الحب والعشق شعراً ونثراً، والعشق كما يصفه أبو النحر الهندي (هو الشيء الذي يقوي الذات وينميها، ويدفعها إلى الكمال الخالد. والعشق ومعناه جذبك الشيء أو طلبك إياه لتجعله جزءاً من نفسك، وأسمى صور هذا العشق وأعلاها وأفخمها هو توليد المقاصد والآمال[٤].**

---

**(١) محمد إقبال . تجديد التفكير الديني . ١٣٧.**
**(٢) المصدر نفسه. ص٢٢٦.**
**(٣) Khawaja Abdurrahim . Iqbal The Poet Of tomorrow . Majlis – Iqbal . Lahore . P.74**
**(٤) د. حميد مجيد هدو. إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان. ص١٥٩. ود. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر . ص٥٦.**

قال ديكارت ( أنا أفكر أذن فأنا موجود)[١] . ولكن إقبال لا يقر هذا الرأي فيقول (أنني عاشق أذن فأنا حي)[٢]. والعشق عند إقبال يتمثل بعشق الأمل، وعشق المثل الأعلى الذي يُنير الذات ويظهر ما فيها من قوى، ومثل المسلم العاشق الرسول الكريم (ص)، ويقول إقبال في العشق[٣].

العقل يُحرق عالماً ... في جَلوة منهُ تُغير
لكنهُ بالعشق يعرف ... كيف في الدنيا يُنير
العشق في الأرواح يخلق ... كَلَ لون أو يثير
بالعشق ترتاح القلوب ... وأنه فيها سعير

إذن، فالعشق والمحبة يمثلان شحنة وطاقة روحية للذات، تدفعها نحو الأمام، ونحو العلو والارتقاء، ولولا العشق لما بقيت الحياة.

٢- الفقر:- لقد أكثر إقبال من ذكر كلمة الفقر في كتاباته، وعدَّها صفة من صفات الإنسان المؤمن، ولا يقصد بها المعنى الدارج المعروف وهو عدم امتلاك المال وقلته (الفقر المادي) وإنما يقصد بها الترفع عن مكافآت هذا العالم، وخلاص النفس من قيد التمَّلك والطمع[٤].

وهذا المعنى شبيه بتعريف المتصوفة للفقر، يقول إقبال في قصيدة لهُ عنوانها ( فقر الصالحين )[٥].

(١) ديكارت. مبادىء الفلسفة. تر: د. عثمان أمين. دار الثقافة. القاهرة. ١٩٧٥. ص٥٦.
(٢) محمد حسن العظمي والصاوي علي شعلان. فلسفة إقبال الثقافة الإسلامية. ص٤٩.
(٣) محمد إقبال. ديوان بيام مشرق. رسالة الشرق .ص٦٩.
(٤) د. حميد مجيد هدو. إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان. ص١٤٦-١٤٧ و , Khawaja Abdrrahim Iqbal the poet of tomorrow . P.74.
(٥) محمد إقبال .ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق. ترجمه نشراً محمود أحمد غازي. وشعراً الصاوي علي شعلان. ط١ دار الفكر .دمشق.١٤٠٨ هـ .١٩٨٨م . ص٧٢.

يـا عبيد المـاء والطـيـن أسـمعوا  مـا هـو الفقـر الـغنـي الأرفـع
هـو عرفـان طـريـق العـارفيـن  وارتـواء القلـب مـن عين اليقين
ذلك الفقـر عزيـزٌ فـي عنـاه  هامـة الجوزاء مـن أدنـى خُطـاه

**٣- الشجاعة: ليست البطولة الجسدية تجاه الأشياء هي الشجاعة فحسب، وإنما تكون الشجاعة روحية ومعنوية أيضاً، فقد يكون الإنسان شجاعاً بقوته الجسدية ولكنهُ ضعيف معنوياً. فلا بد للمؤمن الحقيقي أن يقوي ذاته بالشجاعتين لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، كما قال رسول الله ( ﷺ) في المجالات كافة.**

**والشجاع عند إقبال هو الذي يناضل من أجل الحياة ويسعى إلى مرتبة الكمال، إذ يقول[١] .**

أقـو يـا مـؤمـن بـالله القـويّ  تحكمُّـن فـي ذلك البكـر الأبـيّ

**بالصبر والقوة وخوض الصعاب يعلو من سفل، وبالضعف والجبن يدنو من علا وأن كان الجبل[٢].**

**٤- النشاط الخلاَّق: كان إقبال يبث في الناس روح القوة والعشق والسعي الجاد من أجل بناء الذات والحياة، فالدنيا وأن هي ليست بدار القرار ولكنها مزرعة الآخرة والجسر الموصل أليها. فحذَّر إقبال الناس من تواكلهم وعدم سعيهم الجاد لكسب الرزق الحلال، فيقول للإنسان: ( لا تبغ رزقك من نعمة غيرك، ولا تستجدِ ماءً ولو من عين الشمس، وأستعن الله، وجاهد الأيام، ولا تُرِق ماء وجه الملة البيضاء. طوبى لمن يحتمل الضُر من الحرور والضمأ، ولا يسأل الخضر كأساً من ماء الحياة)[٣]. يقول إقبال في ديوانه ( بيام مشرق )[٤].**

ونفـسك فأشـحذن فـي كُـلِ آنٍ  وعش أمضى مـن الـسيف اليمانـي
ففـي الأخطـار للهمـم اختبـارُ  لأرواح وأجـساد عيـارُ

---

(١) محمد إقبال .ديوان أسرار الذات .ص٤٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه. ص٣٨.
(٣) د. عبد الوهاب عزام. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص٧٨. و . khawaja & Abdurrahim . Iqbal the poet of , tomorrow . P.75.
(٤) محمد إقبال . ديوان بيام مشرق . ص٦٠.

ويذُّكرنا إقبال هنا بالفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، صاحب نظرية التطور الخالق الذي يجعل من الوثبة الحيوية دافعاً ومحركاً قوياً لبلوغ الكمال وتخطي مرحلة الأخلاق المغلقة إلى مرحلة الأخلاق المفتوحة بهذهِ الوثبة، وهذا ما سنبحثه عند بيان أثر برجسون في إقبال.

## ب- ما يُضعف الذات :

١- الخوف: يُعد عامل الخوف من العوامل القوية المضعفة للنفس (الذات) التي تذهب بهيبتها وكرامتها، فأكد علماء النفس أن معظم حالات الاختلال العقلي التي تصيب البشر أصلها الخوف، وهو بعكس عامل الشجاعة والقوة الخلاَّقة، ويصف إقبال الخوف قائلاً[١]:

إن الخوف من أي شيء سوى الله أمر يدعو للسخرية.

فهو لص في قافلة الحياة.
ومن أدرك سر المصطفى.
يرى الكفر مختفياً في الخوف.

وقد بيَّن علماء النفس أن للخوف تأثيرات سلبية في شخصية الإنسان، وقد أثبتوا أن معظم الشواذ من البشر نشأوا أصلاً بدافع الخوف المكبوت[٢].

٢-التسول: لا يفهم من هذه الكلمة المعنى المعروف لدى العامة وإنما يقصد بهِ إقبال كل ما يُنال بغير جُهد شخصي، فالذي يرث مال غيره يُعد في نظر إقبال سائلاً، والذي يتّبع أفكار غيره أو يدّعيها لنفسه سائل أيضاً[٣] . ويحذر إقبال المسلم المؤمن من هذِه الرذيلة فيقول[٤] :

---

(١) مهدي حمود الفلوجي . إقبال شاعراً ومفكراً. ص٨١.
(٢) Khawaja Abdurrahim . Iqbal the poet of , tomorrow . P. 75 -76
(٣) محمد إقبال . ديوان الأسرار والرموز . ص١٩.
(٤) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات . ص٢٣.

أيهـا الجابـي مـن الأسـد الخـــراج صـرت كالثعلب خباً بـاحتياج
ذلـك الأعـــواز أصـــل العـــلل كـــلُ آلامك مـن ذا المعضـل
وعـــن الـرحـلِ تـرّجـل كعمـــر أحـذرن مـن منّةِ الناس الحـذر
فـرقَّ الـذات ســؤال واجتـــداء فبـدت سـيناؤها دون ضيـــاء

**٣-العبودية: الاستسلام للآخرين، وإخضاع النفس لهم، وطلب الحوائج من غير أهلها، هي العبودية، ولا عبودية إلا لله الواحد الأحد.ولإقبال في العبودية منظومة بعنوان ( بندكَي نامة ) رسالة العبودية، يقول فيها[١].**

**إن القلب يموت في الجسد بالعبودية، وتستحيل الروح عبئاً على الجسد بالعبودية.وبالعبودية يَحل ضعف الشيخوخة في الشباب، وبالعبودية تسقط الأنياب من أسد الغاب.**

**وبالعبودية يتفرق محفل الأمة فرداً فرداً، ويكون هذا وذاك في صراع مع هذا وذاك.**

**٤-إنكار الذات: سعى بعض الأشخاص إلى ممارسة الطرائق الصوفية العتيقة ووسائلها البالية، كالتقشف المفرط، وحرمان النفس من أبسط متطلباتها، وإذلالها، وفقدها عزتها كي تصل إلى مرحلة الفناء في ذات الله كما يدّعون،فرفض إقبال هذا اللون من هذِه الممارسات والطقوس، لأنها في نظره من اختراع الأمم المغلوبة التي خدعت الأمم الغالبة عن نفسها وزينت لها نفي الذات.**

**ويضرب لنا إقبال مثلاً على ذلك، أن هناك قطيعاً من الغنم هاجمته الأسود وتسلطت عليه، ففكر كبش في أمر جماعته، فأتته فكرة هي في أن يضعف قوة الأسود وسلطانها، فأدعَّى أنهُ نبي مرسل للأسود، ويصوَّر إقبال هذا الحدث في قوله[٢]:**

قـد سـمعنا أن فـي عصـرٍ قديـــم جمـع ضـأن كـان في مـرعى يُقيـم
وفـرت نـسلاً بذا المرعى الـخصيب فـارغـات الـبال مـن ليـثٍ وذيـبٍ

(١) محمد إقبال. رسالة العبودية. تر: د. أحمد معوض. ضمن كتاب العلامة محمد إقبال . ص٤٠٤.
(٢) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات. ص٢٧ –٢٨.

دهمتهـــا الأســـد مـــــن أجامهـــا ناشـــرات الـــذعر فـــي أيآمـــــها

أيـــــة القـــوة حكـــم قاهـــــر ســـــُرها الظـــاهر فتـــح ظـــافرُ

وأنبـــرى كـــبش ذكـــي ذو عمـــر جـــرب الأحـــداث مـــن حلـــوٍ ومُـــرّ

فـــأدعى فـــي القـــوم دعـــوى مُلَهـــم مرســـــلٍ للأســـد شُـــرابّ الـــــدم

أنمـــا الـقـــوة خـــسران مُبـيـــن خُصـت الجنـة بـــالمـــستضعفيـــن

**ويقول عن نفي الذات: ( وعندما لم أشجب نفي الذات، فلا أعني نفي الذات بالمعنى الأخلاقي، لأن نفي الذات بالمعنى الأخلاقي مصدر لقوة الذات، لكني بنفي الذات أدين تلك الأنماط السلوكية التي تؤدي إلى القضاء على الأنا كقوة غيبية، لآن ذلك يعني تحلل الأنا وعدم قدرتها على الاستمرار الأبدي الذاتي)[1].**

**إذن فدعوة إقبال هي دعوة أخلاقية، تربوية، عملية، تدعو الإنسان إلى بناء شخصيته (ذاته) وتنظيم سلوكه، فنظريته هي نظرية في بناء السلوك الفردي السليم المؤدي إلى سلامة الإنسانية أجمع.**

## مراحل تربية الذات:

**لعل سائل يسأل ما الغاية التي كان ينشدها إقبال من أثبات الذات ؟**

**لقد أراد إقبال أن يصل إلى حقيقة عالية وغاية عظمى من أثبات الذات ألا وهي الوصول إلى درجة الإنسان الكامل، هذا الإنسان ذو الشخصية القوية، والطاقات الخلاَّقة المبدعة، الذي يكون نائب الحق- سبحانه وتعالى- فيكون يد الله وسمعه وبصره، ويكون جارحة من جوارحه تعالى.**

**ولعل سائل آخر يسأل كيف يتسنى لنا الوصول إلى هذا المقام السامي وبأي وسيلة نبلغه؟**

**يكون ذلك بالتربية الإسلامية الصحيحة، وبالمراحل التي حددها إقبال، إذ يقول**

---

**(١) د. أحمد معوض . الخلاقة محمد إقبال . ص٣٣٢.**

**فـي مقالـه الـذي بعثـه إلـى الأسـتاذ المستشـرق نيكلسـن: أشـرت فـي فصـول هـذا المثنـوي لأسـرار خـودي، إلـى أصـول فلـسفة الأخـلاق الإسـلامية، وبينـت أن لكمـال الذات ثلاث مراحل[١]:-**

**١- إطاعة القانون الألـهي.**
**٢- ضبط النفس.**
**٣- النيابـة الألـهية.**

**١- إطاعة القانون الألـهي :**

**يوجَّه إقبال حديثه للإنسان ويدعوه إلى إطاعة الله تعالى التي هي أول مراحل تربيـة الذات. وإنما تكون الطاعة بالانقياد للأوامر الإلـهية ونواهيها. وعلى المؤمن أن يعلم أن كل ما أتى بهِ الله تبارك وتعالى، أنما هو لمصلحة البشر والإنسانية أجمع.**
**ومـن واجـب العبـد، المملـوك، المخلـوق، إطاعـة السيد، المالـك، الخـالق الـذي يُريـد صلاحه في الدنيا والآخرة. ومهما كانت شدة هذهِ الواجبات فأنـها لصلاح الإنسان، ولا يحمّل الله، الإنسان ما لا طاقة لهُ به، قال تعالى " لا يكلف الله نفساً ألا وسعها"[٢] وقال تعالى " من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها"[٣].**
**ويضرب إقبال مثلاً عن الإنسان المطيع، بالجمل الذي يسير بأثقالـه صـابراً محـتملاً، ولا يحسب ذلك ألماً بل هو لـذة، ويقول إن الطاعـة تجعل في الجبر الاختبـار، ويكـون الإنسان حراً عندما يُقيد نفسه بالشريعة، يقول إقبال[٤].**

**ألفـــــه الكـــــدّ شـــــعارُ الجمـــــلِ  شـــــيمة الصـــــبر وقـــــارُ الجمـــــلِ**

**صـــامت الإخفـــاق يمشـــي ماضـــياً  زورقـــاً فـــي البيـــد يســـري هاديـــاً**

**فأحمـل الفـرض قـويـاً لا تهـــاب  وأرجَـون مـن عنـدهِ حـسن المـآب**

**أجهـدن في طاعـةٍ يـاذا الخـسار  فمـن الجبر سـيبدوا الاختيـار**

**بامتثـال الأمـــر يعلـوا مـن رســـب  وهـوى الطاغـي ولـو كـان اللهـــب**

---

**(١) محمد إقبال . ديوان الأسرار والرموز . ص١٩.**
**(٢) سورة البقرة . الآية ٢٨٦.**
**(٣) سورة فصلت. الآية ٤٦.**
**(٤) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات. ص٣٧ –٣٨.**

ولاشك أن طاعة المولى تبعث في النفس النور والقوة وتغمرها حيوية وطاقة لا توصف.

وإن المجتمع الذي يتمسك أفراده بطاعة الله تعالى والعمل في حدود شرائعه وأحكامه سيكون مجتمعاً عادلاً متفاهماً يعيش في ظل المودة والسلام، ويدعو الإسلام إلى بناء المجتمع الفاضل الذي تسود فيه القيم الأخلاقية التي تضبط سلوك الإنسان وتبقيه في إطار إنسانيته[١].

٢- ضبط النفس :

المرحلة الثانية بعد طاعة الله تعالى، هي ضبط النفس الإنسانية ،وردعها عن كل ما حرمه الله، فالنفس لها نوازع وأغراض وتحتدم فيها مشاعر ومطالب وتعتمل فيها شهوات ورغبات، فلو سارت وراء هواها لأُلقيت في التهلكة، لهذا فمن الضروري ضبط النفس وكبح جماح شهواتها ونوازعها الشريرة، بالرياضة الروحية وممارسة السلوك الحسن وتهذيب الأخلاق[٢]. يقول إقبال بخصوص ضبط النفس مشبهاً إياها بالجمل[٣].

جملُ نفسك تربو بالعلف ... في إباء وعنادٍ وصَلف

فكن الحرَّ وقدها بزمام ... تبلغن من ضبطها أعلى مقام

من تمسّك بعصا من " لا إلاه" ... فلتحطم طِلسم الخوف يداه

كُل من بالحق أحيا نفسهُ ... لا ترى الباطل يُحني رأسهُ

وخير سبيل لضبط النفس هو في الحفاظ على الفرائض الدينية فالصلاة درة التوحيد والحج الأصغر لقلب المسلم، وهي تعبر عن مكنون شوق الإنسان إلى من يستجيب

(١) د. محسن عبد الحميد. منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام. مطبعة الزمان. بغداد. ١٩٨٦. ص١٠٧.
(٢) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر. ص٦٣.
(٣) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات . ص٣٩.

لدعائه في سكون العالم المخيف[١].

والصوم وأن كان فيه جوع وعطش إلا أنهُ خير ضابط للجسد . والحج على أنهُ هجرة عن الأهل والوطن، فهو نور لقلب المؤمن . والزكاة وأن كان فيها أنفاق المال، إلا أنها درس في التعاون والمساواة ومحبة الآخرين[٢]. قال الله تعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون "[٣].

ويُعد ميدان ضبط النفس وتربيتها من أصعب الميادين، وليس كل إنسان يقدر على ذلك إلا بالطاعة والصبر ولأيمان بقيمة الأهداف والمقاصد،وما تتركه العقيدة الإسلامية من دور تنموي وبناءي على الذات الإنسانية[٤].

٣- النيابة الألهية ( الخلافة ):

إذا تمكن الإنسان بطاقاته التي وهبها له الله تعالى من طاعة المولي وضبط النفس، فقد صار أنساناً بمعنى الكلمة، بحيث أنهُ أصبح سيد نفسه وليس عبداً لها، فهو الذي يقودها وليس هي. فعندئذٍ يبلغ الإنسان المرحلة الثالثة وهي النيابة الآلهية (الخلافة) ويصير الإنسان مدلول الآية القرآنية الكريمة " وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة"[٥].

وهذهِ المنزلة أسمى منازل العارفين الذين يتخلقون بأخلاق الله والذين " يحبهم ويحبونه"[٦]. والذين " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون"[٧]. ويصف إقبال هذا الإنسان الكامل، المتعالي على هواه وشهواته بقوله:[٨]

---

(١) محمد إقبال. تجديد التفكير الديني. ص١٠٧.

(٢) د. أحمد معوض. العلامة محمد إقبال. ص٣٥٢ –٣٥٣ . ومحمد شلبي الفيلسوف محمد إقبال والإسلام. ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات . ص٨٥.

(٣) سورة آل عمران . الآية ٩٢.

(٤) د. محمد فاروق النبهان. أبحاث أسلامية في التشريع والفكر والحضارة. ط١، مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٦هـ _١٩٨٦م.ص١٥٩.

(٥) سورة البقرة. الآية ٣٠.

(٦) سورة المائدة. الآية ٥٤.

(٧) سورة الأنبياء . الآية ٢٧.

(٨) محمد إقبال . ديوان أسرار الذات .ص٤١.

نائـــب الحـــق علـــى الأرض ســـعيد  حكُمـــه فـــي الكـــون خُلـــدُ لا يبيـــد

هـــو بالجـــزء وبالكـــل خبيـــر  ويـــأمر الله فـــي الأرض أميـــر

هـــو فـــي الناس بـشير ونـــذيـــر  وهـــو جُنـــديّ وراع وأميـــر

ويقول إقبال أيضاً في ديوانه ( جاويد نامة ) رسالة الخلود عن رجل الحق (الإنسان الكامل): ( وهو كليم وهو مسيح وهو خليل، وهو محمد، هو الكتاب، هو جبريل،ففيه تنعكس صفات الأنبياء جميعاً، ولكنهُ ليس بنبي. (هو شمس كائنات أهل القلوب، من شعاعه حياة أهل القلوب ) فأولياء الله يتلّقون منه الفيوضات الروحانية)[١].

ورأى بعض الباحثين أن إقبال تأثر بفلاسفة الإسلام ( بفكرة الإنسان الكامل) ومنهم الحلاج وجلال الدين الرومي وعبد الكريم الجيلي والشيخ أحمد السرهندي وغيرهم[٢]. وبفلاسفة الغرب أيضاً ومثلهم جوته وفخته ونيتشه وبرجسون[٣]. وهذا ما سنبحثه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

وخلاصة القول إن نائب الحق (الإنسان الكامل)، هو من ائتمر بأوامر الله تعالى وانتهى عن نواهيه، بإخلاص نية وطهارة ضمير. وهو مثال " الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا "[٤] .وأي جهاد أفضل من هذا الجهاد، وأي سبيل أفضل من هذا السبيل الذي يوصلنا لمعرفته تعالى[٥].

ويقول أبو الحسن الندوي : ( أخاف أن أفاجئكم بما لا تقدرونه ولا تنتظرونه أذا أخبرتكم أن الإنسان الكامل الذي وجده محمد إقبال، فوجد فيه ما كان ينشده، من معاني الإنسانية والقوة والحياة والجمال والكمال هو " المسلم " لا أقل ولا أكثر[٦].

---

(١) محمد إقبال. ديوان جاويد نامة. رسالة الخلود. ص٣٣٥.
(٢) د. أحمد معوض. العلامة محمد إقبال . ص٤٠٠.
(٣) ينظر: ميلود خلف الله . النزعة التجديدية عند محمد إقبال . ص١٢١ –١٢٢.
(٤) سورة العنكبوت. الآية ٦٩.
(٥) سلمان الخاقاني. طريق المعرفة. مطبعة الآداب. النجف الأشراف. ١٩٧٢م ص١٩. وينظر : د. عبد القادر موسى المحمدي. الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي الإسلامي . ص١٧٧.
(٦) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال . ص٥٢.

# الفصــل الثانـي

# المبحث الثانـي

## اللاذات – نفي الذات – ( بيخودي ) عند إقبال

**نشأة الأمة الإسلامية وكمال تربيتها بالنبوة.**
**أركان الأمة الإسلامية.**
**لا تنتظم الأمة إلا بشريعة، وشريعة الأمة المحمدية القرآن.**
**حاجة الأمة لمركز محسوس، ومركز الأمة الإسلامية البيت الحرام.**

## اللاذات – نفي الذات – ( بيخودي ) عند إقبال:

بعد أن سعى إقبال في فلسفة الذات، إلى بناء الإنسان بناءً عالياً، وأقام لهُ شخصية صلبة، ومنزلة، متمثلة بالإنسان الكامل، ينتقل إلى القسم الثاني من فلسفته، وهو اللاذات ( بيخودي) المجتمع، ليتمم بناء فلسفته بناءً تاماً. فهذا القسم يُعد ضرورة مكملة للقسم الأول، فالفرد لا يستطيع العيش بمفرده بمعزل عن الآخرين.

فإقبال وأن آمن أشد وأعمق الأيمان بذات الإنسان. إلا أنهُ لم يهمل دور المجتمع وأثره في هذا البناء. فالمحيط لهُ دور كبير في تربية الإنسان وبنائه ـ وهذا ما أكده في ديوانه (رموز بيخودي) رموز نفي الذات الذي يُعد الجزء المتمم للديوان الأول (أسرار خودي ) أسرار أثبات الذات.

تُعد مسألة العلاقة بين الفرد والمجتمع من المسائل التي أهتم بدراستها علما النفس والاجتماع. ولا سيما علم الاجتماع الذي يدرس السلوك الجمعي (الاجتماعي)، الإنساني للأفراد، وتأكيد أهمية التفاعل الإنساني الذي يُعبر عن سلوك الإنسان في علاقته بإنسان آخر[1].

وينقسم الباحثون بشأن مسألة العلاقة بين الفرد والمجتمع إلى فريقين: فريق يدعو أو يناصر الفردية، ويرى أن لا علاقة للفرد بالمجتمع. وفريق آخر يعطي الأولوية للمجتمع ويعدّ الفرد نتاجاً للمجتمع[2].

ولكن لدى كلا الفريقين نصف الحقيقة، لأن الحياة لا تقوم إلا بالتوفيق بين الفرد والمجتمع، لأن حاجة الفرد إلى المجتمع ليعيش، وحاجة المجتمع إلى الفرد ليستمر في الوجود.

---

(١) د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع . ج١، ص١١٣.

(٢) ينظر: د. محمد عاطف غيث. المصدر نفسه. ص٢٠٠ –٢٠١ . ود. سيد أبراهيم الجيار. التوجيه الفلسفي والأجتماعي للتربية . مكتبة غريب . القاهرة. ١٩٧٧ . ص٧٩.

وهذا ما ذهب أليه إقبال في القسم الثاني من فلسفته ( نفي الذات )، فأنه وأن جعل الفرد مركز الحياة إلا أنهُ لم يهمل دور المجتمع في تربية وترقية وبناء الذات (الفرد) لأن الإنسان كائن اجتماعي ثقافي يعيش في مجتمع، وهو لذلك يجد نفسه مرتبطاً بعلاقات متعددة مع الآخرين. أو كما يقول محمد عزيز الحبابي. (الشخص واقع يتمتع باستقلال ذاتي، وباستقلال ترابطي،لأن (الأنا) في الإسلام – معشري)[١].

إن الذوات (الأفراد) وأن تباينت فيما بينها، إلا أن الترابط بينهم يكون عن طريق الألفة والمحبة التي تقوم بين (الأنا) و(الغير) كما يقول الفلاسفة المعاصرون أو بين (المؤمنين).كما عبر الرسول الكريم (ﷺ) في قوله ( والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا)[٢].

ويؤكد إقبال في كتاباته أهمية الجماعة ( الأمة) للفرد ولا سيما في ديوانه ( رموز نفي الذات) الذي عرض فيه هذِه المسألة فيقول:[٣]

رحمة للفرد حجر ... كاملُ جوهرهُ في الملّة الأمة

فألزمَن الجمع جهد المستطاع ... في ذرا الأحرار كن مثل الشعاع

وأحَفظن ما قاله خير البشر ... كل شيطانٍ من الجمع نفر

فرُدنا مرآته أمته ... وكذا مرآتها صورتهُ

ويرى إقبال أن المسلم الملتزم بالشريعة هو الوحدة التي يقوم عليها رقي الجماعة الإسلامية. وأن ارتقاء الجماعة لا يكون إلا بارتقاء الأفراد، ويقول في ديوانه (بانك درا) أي صلصلة الجرس: ( إن وجود الفرد قائم بارتباطه بالملة أما وهو منفرد فليس هو بشيء. فمثله كمثل الموج، يكون في البحر، أما في خارج البحر فلا وجود له)[٤].

---

(١) د. محمد عزيز الحبابي. الشخصانية الأسلامية. ص٢٨.

(٢) د. عثمان أمين. الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة. دار القلم. ١٩٦٤. ص١١٤ –١١٥. وينظر : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) الشخصية الأسلامية. ط٣، دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٨٠. ص١٨٥.

(٣) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات: تر د. عبد الوهاب عزام. ص٨١.

(٤) محمد إقبال. ديوان بانك درا. صلصلة الجرس. ص١٩٠. نقلاً عن د. أحمد معوض. العَلامة محمد إقبال . ص٣٦٠.

فالفرد عند إقبال وأن كان مستقلاً بشخصيته وذاته، إلا أنهُ غير منفصل عن المجتمع. فأنا وأنت –في نظر إقبال – لُبنه مميزة في بناء الوجود الكبير، وكل لبنه تتعاون مع أختها من أجل بناء الفرد والمجتمع، وبقوة وكمال تربية الفرد لذاته واستحكامها تقوى الأمة وبعدل ونظام الأمة يقوى الفرد ويسمو بذاته فوق السماء، وجوهر فلسفة إقبال إن غاية الجماعة سعادة الفرد. وأن الفرد لا يفنى من أجل الجماعة[١].

ويقول إقبال عن أهمية الجماعة : ( وأنها لحقيقة سيكولوجية أن الاجتماع ينمي قوى الإدراك عند الرجل العادي، ويعمَّق شعوره، ويحرك أرادته إلى درجة لا يعرفها في عزلته ووحدته )[٢].

وغايته هي أنشاء الفرد الفاضل في ظل المدينة الفاضلة التي لا تكون إلا بجهود الصالحين والخيرين، الذين يسعون إلى نشر الخير والفضيلة، ويحاربون الشر والفساد والرذيلة. وحينيذٍ ينشأ جيل قرآني فريد- كما يُسميه سيد قطب-[٣].

ويقَّدر إقبال كثيراً عبارة البرفسور (ماكنزي) في كتابة ( مدخل لفلسفة الاجتماع)، إذ يقول ماكنزي: ( لا يمكن أن يوجد المجتمع المثالي بدون وجود الرجل المثالي)[٤].

ويرى آرثر آربري بأن إقبال كان يسعى إلى أنشاء المجتمع المثالي وتطوره، وهذا المجتمع لا يكون إلا بالاهتمام بأفراد المجتمع، إذ أن الأفراد هم اللبنة الأولى التي ينبني عليها المجتمع[٥].

## نشأة الأمة الإسلامية وكمال تربيتها بالنبوة :

الأمة المسلمة في نظر إقبال هي تلك الأمة التي تتكون من مجموعة من الذوات الكاملة أو التي في طريقها للكمال، وهذِه الأمة سيدة الأمم، وجديرة بقيادة الأمم نحو

---

(١) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. هامش ص٨٤.

(٢) محمد إقبال. تجديد التفكير الديثني. ص١٠٧.

(٣) سيد قطب. معالم في الطريق. ط١٠، دار الكتاب الإسلامي. ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م. ص١٤.

(٤) SYED Abdul Vahid . Thoughts and Relections of Iqbal . P.95.
وينظر – Mazheruddiu siddiqi . concept of Muslim culture in Iqbal. Islam abad Pakistan 1970 . P.75 -76

(٥) Muhammad Iqbal . The Mysteries of selfessess . Thranslded . Arthur J. Arberry . First edition . London . 1953 . P. Xi.

مصدر النور والمحبة والسلام، قال تعالى " كنتم خير أمة أُخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله "[١].

ويصف إقبال هذِه الأمة المثالية بقوله :( إنها تعلو فوق الأمم لأنها أمة نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة، فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق، لأن النوم والتعب محرمان عليها)[٢].

وعلى الأمة الإسلامية أن تسعى إلى الطاعة والتربية، ولا بد لها أن تعرف هدفها والمقصد الذي تبغيه، فالأمة الغافلة عن المقاصد، جاهلة، حتى يبعث الله تعالى إليها هادياً يخرجها من الظلمات إلى النور.

يجذب الإنسان شطر المقصدِ  جاعل الشرع زماماً في اليدِ

نكتة التوحيد يوحيها إليه  أدب الطاعة يمليه عليه[٣]

وتنتعش الأمة بمجيء الهادي، فيمّدها بالعدل والإحسان والطاعة والانضباط، ويوقظها من سباتها العميق ويحرر الناس من عبادة الأوثان والبشر، ويعيدهم للقانون والسُنن:

ويفكّ العبد من أغلالهِ  ويُجير القنِ من أقيالهِ

قائلاً أن لست عبداً فأعلمِ  أترى قدرك دون الصنمِ[٤]

ويدعو إقبال الأمة إلى الوحدة الإسلامية، فقد ناضل من أجل هذا الهدف نضال الأبطال، ورأى أن في تحقيق الوحدة الإسلامية سعادة الأمة المحمدية.

وينعى على الأمة تحطم هذه الوحدة ويقول: ( أنظروا لقد تحطمت حلقه الوحدة وفقد آل إبراهيم (المسلمون) لذة العهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم يوم(ألست)[٥]. أن وحدتهم مبعثرة، فكأسهم تحولت إلى شظايا تافهة، أولئك الذين كانوا تُملى بخمر جبريل (القرآن)، لقد انقسموا على أنفسهم وأصبح لكل منهم هدفه

---

(١) سورة آل عمران . الآية ١١٠.

(٢) نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر. ص٦٧. ونجيب الكيلاني أيضاً. الطريق إلى إتحاد أسلامي. ص ١٨٥.

(٣) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. ص٨٦.

(٤) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. ص٨٦.

(٥) أشارة إلى قوله تعالى " ألست بربكم قالوا بلى " سورة الأعراف . الآية ٧٢.

وأسلوبه المستقل في الحياة )[١].

- أركان الأمة الإسلامية :

يهدف إقبال إلى بناء أمة مثالية كاملة، وهذا لا يتم إلا بوضع أُسس وأركان ومقومات تقوم عليها هذِه الأمة كي تصل إلى غايتها العظمى وهو الكمال، وهذِه الأركان هي:

١- التوحيد :

هو جوهر العقيدة، ليس إلا رفضاً لعبودية البشر في مختلف ضروبها وأشكالها، وهذا تحرير للإنسانية من مهانة الرق والاستعباد[٢].

والتوحيد هو روح الدين الإسلامي والديانات السماوية الأخرى. وهو الإكسير الذي يُحيل التراب ذهباً والسر الذي يتجلى منهُ الدين والشرع والحكمة والقوة والسلطان .وهو الدواء الذي يُميت الخوف والشك ويُحيي العمل والأمل[٣]. ونحن في ظل التوحيد كما يقول إقبال[٤].

نحنُ فكر وخيالُ واحدُ ورجاء ومآل واحدُ

نحنُ من نعمائه حِلفُ إخاء قلبنا واللفظ والروح سواء

ويرى إقبال أن سر نجاح المسلمين يكمن في إيمانهم العميق بمبدأ وركن التوحيد الذي هو أساس وحدة الدين والمسلمين[٥].

وأن السبيل الوحيدة لاستئصال العلل الخبيثة التي تعوق تقدمنا وتسد علينا مسالك الحياة وتعطلها، هو في التوحيد. ويُعين إقبال هذِه العلل وهي اليأس والحزن والخوف. ويعدّها من أمهات الخبائث[٦]، وعلاج هذه الخبائث هو التوحيد:

---

(١) محمد إقبال. ديوان جاويد نامة- رسالة الخلود. ص١٧٨.
(٢) د. بنت الشاطئ. الشخصية الإسلامية. ص١٨٤. وينظر: سيد قطب. معالم في الطريق. ص٩٢.
(٣) د. عبد الوهاب عزام. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص٩٦.
(٤) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. ص٨٩.
(٥) ينظر: محمد إقبال . تجديد التفكير الديني . ص١٦٩.
(٦) ينظر: محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. ص٨٩.

خــوفُ غيـر اللــه قَتـل الـعمــلِ وهــو للأحيــاء قطــعُ الْــــسُبلِ[1]

**ويخاطب إقبال المسلم مذكراً إياه بحقيقة التوحيد وتأثيره في صياغة روحه وكيانه الذي هو أساس الفرد والدين، يقول في قصيدة (جواب شكوى):[2]**

أعد من مشرق التوحيد نـوراً يـــتم بـــه إتحـــاد العـــالمينا

وأنتَ العطر فـي روض المعالــي فكيـــف تعـــيش محتبـــساً دفينـــا

وأنتَ نـسيمهُ فـأحمـل شــذاه ولا تحمـــل غبـــار الخـاملينـــا

**فبغير الإيمان بالتوحيد لا يكون للفرد ولا لأمته ثبات، فكلاهما يحصل على كمالهِ من التوحيد.**

**٢- الرسالة:**

**هي الركن الثاني للأمة الإسلامية، ورسالة الإسلام قائمة منذُ بعث الرحمن، خليله إبراهيم (عليه السلام) أبو الأنبياء ودليلهم إلى الطريق، ومنذُ أوحى الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) أن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والقائمين والركع السُجود، توالت الرسالات الآلهية، حتى خُتمت برسالة الإسلام، الرسالة المحمدّية، وأعلن رسول الله (ﷺ) أن ( لا نبي بعدي)[3].**

**ودور الرسالة عظيم، فيها تُجمع أشتات الأفراد، وتنتظم الأمة، فيوَّحد كثرتها، وتحُكم ألفتها، ولولا الرسالة لما كان هناك مجتمع صالح، لأن الرسالة للأفراد وللأمة كالروح للجسد، فيقول إقبال[4]:**

بـالرســالاتِ بــدا تكـــويننا شُـــرعنا منهـــا، ومنهـــا دِيُننـــا

**وإن مقصد الرسالة المحمديةَ، المساواة والأخوة والحرية، فقد كان الإنسان قبل ذلك عبداً للملوك والقسيسين من النصارى والمجوس والبراهمة حتى بُعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأعطى كل ذي حقٍ حقه، وحرر الناس من أغلال الذل والعبودية،**

---

(١) المصدر نفسه . ص٩٠.
(٢) محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان. فلسفة إقبال . ص١٠٣.
(٣) د. أحمد معوض . العلامة محمد إقبال . ص٣٦٧.
(٤) محمد إقبال . ديوان رموز نفي الذات . ص٩٥.

وأخرجهم من ذل معصية الله إلى عز طاعته. وفي ذلك يقول:

عزمـهُ هـدّ قديمـات الصُـور وبنـى حصـناً جـديداً للبشـر

بثَّ روحـاً حَّيت المـوتى بهـا وأفتـدى الأعبـدُ مـن أربابهـا

مولـد مـات بـهِ العصـر القديـم وبيـوت النـار والـوثنِ حطـيم[1]

ورسالة الأمة الإسلامية ليس لها نهاية زمانية ومكانية، إذ إنها رسالة لكل زمان ومكان، إنها خالدة، يقول إقبال[2] :

قلبنـا الخفـاّق يـابـى موَطنِـا ريحُـه العاصـف تـأبى مسِـكنا

ليـس مـن روم وهنـد قلبنـا مـا سـوى الإسـلام فيـه أرضـنا

ولا يمكـن لآي مجتمـع أن يقـوم مـن دون رسـالة، وأن الإنسـان علـى وجـه هـذِه البسيطة يبقى في حاجة إلى الإسلام، بقيمه ونظمه وسلوكه لكي يفقه وجوده ويكون لهُ معنى[3].

والإنسان على وفق هذا النظام وهذِه العقيدة سيبلغ أعلى مستويات الرقي والإبداع والسمو الروحي والأخلاقي والفكري.

- لا تنتظم الأمة إلا بشريعة وشريعة الأمة المحمدية القرآن:

على الأمة التي تبغي وجه الله تعالى ومرضاته أن تلتزم بشريعة الملة الإسلامية. القرآن الكريم- لأن نظام الأمة يكون بالشريعة التي تهدي الإنسان إلى سواء السبيل، ويكون كمال الأمة بأتباع الشرع الآلهي، يقول إقبال:[4]

ليـس علـمُ الحق غيـر الِشـرعـة لـيس غيـر الحـب أهـل الـسنة

شـرعنـا للـفـرد مرقـاة اليقـين ترتقـي منـهُ مقامـات اليقـين

شِـرعـهُ الـحـق نظـام الأمـم ومـن الـنظـم دوام الأمـم

(١) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات . ص٩٨.
(٢) المصدر نفسه. ص١٠٢
(٣) محمد محفوظ. الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل. ط١، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ١٩٩٩. ص٢٢١.
(٤) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. ص١١٥.

ويقول عن دين المصطفى (ﷺ):[1]

إن ديـن المصطفى ديـن الحيـــاة  شـــرعه للنـــاس قـــانون الحيـــاة

وإن غرض القرآن الأساسي – كما يقول إقبال – هو أن يبعث في نفس الإنسان أسمى مراتب الشعور بما بينه وبين الله، وبينه وبين الكون من صلاتٍ[2].

ويؤكد إقبال بأن على الأمة الإسلامية أن تتمسك بالشريعة الغراء وبالكتاب الكريم، لأن فيه من مراقي الكمال والعلو والسمو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد، ولا يكون كمال الأمة وشموخها وعزتها إلا بهذا التمسك والاستنارة الروحية الدائمة، وهذا لا يتم إلا لأفراد منضبطين ملتزمين، فمن الفرد دوام الأمة، فالفرد مرآة الأمة، والأمة مرآة الفرد.

وتُعدّ العقيدة الإسلامية من أكثر العقائد الدينية تأثيراً في من يؤمن بها لأنها تعتمد على منهج عقلي في الإقناع وتسعى إلى بناء الذات الإنسانية وتنميتها، وترتقي بالإنسان عن تطلعاته الجشعه لتجعل منهُ أنساناً، سوي النفس، مستقيم الخُلق، متعاوناً مع أخيه الإنسان، يحب لهُ ما يحب لنفسه[3].

## - حاجة الأمة لمركز محسوس، ومركز الأمة الإسلامية البيت الحرام :

يُبين إقبال أن حياة الأمة تتطلب مركزاً محسوساً لها، ومركز الأمة الإسلامية، الكعبة، البيت الحرام، إذ يقول:[4]

هكـذا سنّـة ميـلاد الأمـــم  مـــــركزُ فيـــه حيـــاةٌ تنـــتظم

إنمـا المركـــز روح الـدائـــرة  نقطـــة، فيهـــا محـــيط ضـــامره

ومـــن المركـــز للقـــوم نظـــام  ومـــــن المركـــــز للقـــــوم دوام

نقطـــة المركـــز منّـــا الحـــرمُ  لـــــحُننا والوجـــد فينـــا الحـــرمُ

---

(١) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات. ص١١٦.

(٢) محمد إقبال. تجديد التفكير الديني. ص١٩٠ .

Wilfred cautwell smith .Islam in Modren history .Second printing . U.S.A. 1961. P.255.

(٣) د. محمد فاروق النبهان. أبحاث أسلامية. ص١٥٨ –١٥٩.

(٤) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات . ص١٢٣.

ولا يكون الاجتماع الحقيقي للأمة إلا بالتمسك بالأحكام الإسلامية، وبهدف تضعه نصب عينيها، وهدف ومقصد الأمة الإسلامية هو الحفاظ على التوحيد، يقول إقبال[1]:

إنما يبُقي الحياة المقصُد  هو أشتات قواها ينضُد

ويقول أيضاً:[2]

كلمة التوحيد منك المقصدُ  أنت للتكبير فيها توجدُ

ويوصي إقبال المسلمين بالتوجه نحو مركزهم الكعبة المشرفة، لأن في ذلك قوة للفرد والمجتمع، فيقول: (فلو أنكم – أيها المسلمون – ركزتم جهودكم وأنظاركم ووليتم وجوهكم شطر كعبة الإسلام وجعلتموه رائدكم وقائدكم واقتبستم مشاعركم واتجاهاتكم من عناصره التي تصب القوة والحياة لتجمعت قواكم المتفرقة وتوحدت مواهبكم المنتشرة من جديد ولوضعتم لوجودكم التأمين والضمان الوثيق ضد عوامل الدمار والهلاك)[3].

ويكون توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم، فكلما سّخَر المؤمن العالم المحسوس لنفسه أدى به ذلك إلى معرفة أكبر لعالم الغيب.

ويرى إقبال أن اختيار قبلة واحدة للمسلمين أُريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة[4].

---

(١) محمد إقبال. ديوان رموز نفي الذات . ص١٢٥.
(٢) المصدر نفسه. ص١٢٧.
(٣) محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان. فلسفة إقبال . ص٤١. وكلام إقبال هذا مأخوذ من خطبته التي ألقاها في الرابطة الإسلامية بمدينة الله أباد بالهند. في ٢٩/كانون الأول. ١٩٣٠م.
(٤) محمد إقبال. تجديد التفكير الديني . ص١٠٨.

**وذهب بعض الباحثين إلى القول أن إقبال أراد بذلك أن يضمن تحقيق التضامن والوحدة الإسلامية، التي لا تكون إلا بالانطلاق من الذات نحو الآخرين، وهذا لا يكون إلا بالتغير الايجابي[1].**

**(١) د. فهمي جدعان . أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث. ط٣، دار الشرق . عمان- الأردن. ١٩٨٨ – ص٤٢٣.**

# الفصــل الثانـي

## المبحث الثالث:

### مصدر فلسفة الذات الاقبالية

**الفلسفة الهندية**
**التصوف الإسلامي**
**الفلسفة الغربية**

## مصدر فلسفة الذات الإقبالية

أثيرت العديد من الشبهات والمسائل والردود بشأن أصالة فلسفة إقبال في الذات، فالدارسون ينقسمون إلى فرق عده من أصالة ومصادر فلسفة إقبال هذه.

ففريق ذهب إلى القول بأنها مستورده من الغرب، وهي أمشاج من فلسفة جوته وفخته وهيجل ونيتشه وبرجسون وغيرهم من فلاسفة الغرب[١].وفريق أخر ذهب إلى القول بأن إقبال في فلسفته كان متأثراً بفلاسفة ومتصوفة الإسلام أمثال الحلاج وأبن عربي والرومي والجيلي وأحمد السرهندي[٢].وكان للإسلام الدور الأكبر في أقامة مذهب إقبال الفلسفي[٣].وذهب فريق إلى القول بأن إقبال استمد فلسفته من منابع عدة شرقية وغربية وإسلامية وغير إسلامية ، وصب هذه الأفكار والفلسفات في قالبه الخاص ، فأخرج لنا مذهباً وأسلوباً وفلسفة خاصة به تحمل روح وفكر وأسلوب إقبال لا غير[٤]

ونتفق مع الفريق الثالث فيما يذهبون إليه بشأن فلسفة إقبال وأصالتها، فإقبال نهل من جميع المناهل، شرقية وغربية ودرس وقرأ الفكر الإسلامي والعالمي، بعلومه وفنونه وآدابه. مثله مثل النحل الذي يأخذ غذاءه من أنواع وألوان مختلفة من الزهور، ولكنه في النتيجة يعطينا عسلاً صافياً، شافياً، حلواً، طيباً.

---

(١) ينظر :د. محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث. ص٤٧٧. وما بعدها، ود. عثمان أمين. رواد الوعي الإنساني. ص١٢٩. وأصف علي فيضي. القانون الإسلامي واللاهوت في الهند. بحث ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة- أعمال مؤتمر برنستون. جمع ومراجعة وتقديم. محمد خلف الله. مكتبة النهضة المصرية .القاهرة. ص٤٠١.

(٢) ينظر: د. أحمد معوض – العلامة محمد إقبال. ص٤٠٠. ود. حميد مجيد هدو، إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان. ص٦٤ –٦٥.

(٣) ينظر: أحمد خالد . شخصيات وتيارات. ط٢ منقحة. نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله. ص٢١٠. ود. حسين علي محفوظ. نظرة في تراث إقبال. ضمن كتاب إقبال شاعراً ومفكراً . أعداد وتقديم مهدي حمود الفلوجي. ص١٤٩. ود. جورج طعمة . فلسفة إقبال مجلة الفكر (التونسية) عدد٢، السنة ١٠، ١٩٦٤م . ص١٦.

(٤) د.علي زيعور . الفلسفات الهندية . ص٤٢٢.

ولا بد من تقديم عرض لأبرز الفلسفات والاتجاهات. والفلاسفة والمفكرين الذين تغذى إقبال منهم وتأثر بهم، وبيان مدى التشابه أو الاختلاف بينهُ وبينهم، وهناك ثلاثة مصادر اغترف إقبال منها ثقافته وفكره وفلسفته الذاتية وهي:-

أ- الفلسفة الهندية :

درس إقبال الفلسفة والفكر الهندي دراسة عميقة ولا سيما أثناء عمله لأعداد رسالة الدكتوراه ( ما وراء الطبيعة في إيران) فتسنى لهُ الخوض في حقائق الفلسفة الهندية والإلمام بكتب الهند المقدسة كالويدانت والفيدا والأوبانشياد، وقد أفاد إقبال كثيراً من فلاسفة الهند وحكمائها، وكتبها المقدسة التي تعرضت لذكر مسألة الذات

الفردية (الأتمان) والذات المطلقة (براهمن)[1].

ونلاحظ أن الشبه كبير بين إقبال وفلاسفة الهند ومفكريها والكتاب المقدس (الأوبانشياد) في فلسفة الذات، ومن أبرز فلاسفة الهند الذين خاضوا في مسألة الذات وطبيعتها شانكارا (٧٨٨ – ٨٢٠ م)* .فمن المؤكد أن إقبال قد أطلعّ على فلسفتهِ وحكمهِ وآفاد منهُ كثيراً.

وشانكارا يرى بأن وجود الذات ومعرفتها تعُدُّ من أمهات المسائل في فلسفته، وهو لا يسمح بالشك في وجودها حتى ولو أعلنًا أن العالم بأسره مجرد فراغ وباطل إذ يفرض هذا الفراغ- سلفاً- وجود مدرك وعارف لهُ وهو الذات[2].وهذا يذكرنا بقول ديكارت ( أنا أفكر إذن فأنا موجود).

---

(١) ينظر: سيد مظفر حسين برني. تأثير الفلسفة والفكر الهنديين في شعر إقبال. تعريب د. فيضان نوري بك. مجلة ثقافة الهند . العدد٣. المجلد ٥١. ٢٠٠٠م . ص٣٥ –٣٦. ون .ك . ديفارجا. عنصر الإنسانية في الفكر الديني الفلسفي الهندي. تعريب د. زبير أحمد الفاروقي مجلة ثقافة الهند. العدد ٣-٤ المجلد ٣٤ . ١٩٨٣. ص٢٦ –٢٨.

* شانكارا ( ٧٨٨ – ٨٢٠ م) فيلسوف وشاعر وباحث في العلوم كما أنهُ قديس وصوفي ومصلح ديني، هندي، ويطلق عليه لقب " أبو الفلسفة الهندية " ولد سنة ٧٨٨م بناحية (كالادي) على الشاطئ الغربي لشبه جزيرة (مالابار) وينتسب إلى فرع (نامبوري) . وتوفي سنة – ٨٢٠ م عن اثنتين وثلاثين سنة. ومن أبرز أنجازاته الفكرية شرح رسائل الأوبانشياد والتعليق عليها. وأهتم بدراسة الذات وطبيعتها، كما بحث في مباحث الفلسفة كافة ينظر : فؤاد محمد شبل. شانكارا أبو الفلسفة الهندية . مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٥. ص٧ –١٠.

(٢) فؤاد محمد شبل. المصدر نفسه. ص٨٣.

ويذهب أحد الباحثين إلى القول بان أبرز الذين تركوا أثراً في فكر إقبال وفلسفته في الذات وفي مسألة العمل، من مفكري وفلاسفة الهند، بوذا، وبهاغوات غيتا، وبهارتاري[١].

وإقبال – شانه شأن فلاسفة ومفكرين الهند –أهتم بالجانب الجواني للأنسان، وهذا ما أكده الباحثون[٢]. فالفلسفة الهندية أهتمت بالجانب الجواني للإنسان، فجاءت ملازمة للسرانية الباطنية في الكثير من تعاليمها، كما ركزت على مسألة فهم الذات ومحاولة ضبطها ومحاربتها وترويضها لجعلها تنتظم في مستويات تفكيرها[٣] .

٢- التصوف الإسلامي :

لقد أطلّع إقبال على الفلسفة الإسلامية إطّلاعاً واسعاً، وشاملاً، منذُ بدايتها حتى يومه – فلسفه عصره- وأتفق مع بعض الفلاسفة وأختلف مع آخرين بشأن مسائل عدة، وهناك بعض الشخصيات الصوفية الإسلامية التي كانت قد أثرت في إقبال وبناء فلسفته، ومن المتصوفة الذين لهم ذكرُ ومنزلة عنده.

أ-الحُسين بن منصور الحلاج*:

في ديوانهِ ومعراجه (جاويد نامة) رسالة الخلود، يلتقي إقبال بثلاث أرواح من المفكرين الذين أتُهموا في دينهم وعدّهم معاصروهم من الزنادقة، أحد هؤلاء الثلاثة الحلاج. التقى إقبال به في فلك المشتري وقد أثار أسئلة عدة في غاية الأهمية تتعلق بالوجود والعدم وبالقدر وبالحقيقة المحمدية وإبليس، وأجابه الحلاج عنها، وأتفق إقبال معه في بعضها وأختلف في بعضها الأخر[٤].

(١) سيد مظفر حسين برني. تأثير الفلسفة والفكر الهنديين في شعر إقبال . ص٣٨. و ص٤٥ . وص٥٣.
(٢) د. عثمان أمين. رواد الوعي الإنساني . ص١٢٠.
(٣) محمد حسن. تيارات الفلسفة الشرقية. دار علاء الدين. دمشق ١٩٩٩. ص١٤٠.
* أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاج، متصوف كبير، وشاعر عربي من أصل فارسي، ولد بالطور بفارس سنة ٢٤٤هـ –٨٥٧م، كان لهُ مقام محمود بين المتصوفة، وقد انقسم أصحاب التراجم إلى فريقين بشأن عقيدته وأيمانه، ففريق ذهب الى القول بأيمانه وإسلامه وفريق ذهب إلى القول بزندقته وكفره، توفي في بغداد ٢٤/ ذي القعده، ٣٠٩ هـ –٢٧/ آذار، ٩٢٢م. وكان مصلوباً على جذع النخل، من أشهر مؤلفاته كتاب الطواسين. جورج طرابيشي معجم الفلاسفة. ط١، دار الطليعة. بيروت.١٩٨٧. ص٢٤٧.
(٤) ينظر: محمد إقبال. جاويد نامة. تر: د.محمد السعيد جمال الدين. ص٢٠٤ وما بعدها.

ومما أتفق إقبال مع الحلاج فيه، قول الحلاج (أنا الحق) ففلسف إقبال هذِه العبارة وتبناها ودافع عن الحلاج في مقولته هذه ورأى أنها مماثلة لنظريته الذاتية. والحلاج أنما أراد القول إن ذاتي حق لا باطل، ونجد إقبال يشبه نفسه بهذا الولي الشهيد[١].

ويرى إقبال أن معاصري الحلاج ومن جاءوا بعده فسروا هذه العبارة بأنها تتضمن الشرك، ولكن الولي الشهيد لم يكن يقصد من عبارته أن ينكر على الله صفة التنزيه، والتفسير الصحيح لتجربته أن القطرة لا تنزلق في البحر[٢]. ولكنهُ أدراك حقيقة النفس الإنسانية وتأكيد جرئ لدوامها في شخصية أعمق[٣].

وكما رأينا فأن إقبال يدافع عن مقولة الحلاج (أنا الحق) التي كانت سبباً لإعدامه، ففهمها الآخرون بأنها تعني الكفر والإلحاد والحلول والاتحاد، ولكن إقبال لم يرَ في الحلاج ما رآه هؤلاء، وعدّه مؤمناً، آمن بالله، كما أمن في الوقت نفسه بالذات الإنسانية، وأتفق لويس ماسينون* . (١٨٨٣-١٩٦٢) مع إقبال في الحكم على الحلاج وجعلهُ أحد الدعاة المعبرين بدقة عن العقيدة التوحيدية[٤].

فالحلاج يُعظِم الذات الإنسانية ويراها أساس العالم، وقد أُسس العالم على الذاتية. وقد خلق الله هذا الكون ليكون ميدانياً لصراع الذات الأنسانية، كي تترقى من خلال هذا الصراع إلى مدارج الرقي. والذاتية نقطة من النور، في نورها نيران كثيرة خفية. وأهل الذات نور، وخواصها نار، فبنور الذات يصبح الإنسان خليفة لله في الأرض،

---

(١) المصدر نفسه. ص٢٠٧. وينظر:د. كامل مصطفى الشيبي . الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً.ط١، مطبعة المعارف.بغداد.١٩٧٦. ص٦٧-٦٩. والشيبي أيضاً. شرح ديوان الحلاج.ج١، ط١، مكتبة النهضة. بيروت- بغداد. ١٣٩٤هـ ــ١٩٧٤. ص٩٧.

(٢) أي فناء الذات الإنسانية في الذات الآلهية.

(٣) محمد إقبال تجديد التفكير الديني . ص١١٠.

وينظر K.G.Saiydain. Iqbals Education Philosophy . Sixth edition. Lohor .Pakistan. :. 1965.P.9.

* مستشرق فرنسي أهتم بالتصوف الإسلامي.

(٤) اليكسي جور أفسكي. الإسلام والمسيحية. تر:د. خلف محمد الجراد.ط٢، دار الفكر. دمشق. ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠ م. ص١٢٢-١٢٣.

وبنـور الـذات يُسيطر على الكون[١].

ويحَّذر الحلاج إقبال، ويقول لـهُ أنك تسير مسيري، وتحاول أن تُحي موتى هذِه الأمة، في حديثك عن الذات وإثباتها ولكن أحذر أن يحيق بك مثل ماثلَ بي[٢].

هكذا نرى أن إقبال قد تأثر بالحلاج، ورأى فيه الولي الشهيد الذي أثبت الذات الإنسانية ودافع عن أثبات حقيقتها.

كما ترك الحلاج أثراً في إقبال بشأن مسألة العشق، الذي كان لدى إقبال يمثل قوة حيوية خّلاقة.

وفي معراجِه (رسالة الخلود) يتحدث إقبال مع الحلاج عن نظريةِ الحقيقية المحمدية ويدعوه ليُبين لهُ ماذا تعني هذه النظرية عنده. فأجاب الحلاج إقبال عن سؤاله هذا وقال لهُ: إن المصطفى (ص) هو غاية الخلق وذروة الكمال في كُل عالم، فكيف يتسنى لنا أن نُنشر كمالاً بعده. ويصف الحلاج نور المصطفى (ص) الذي خُلق قبل الموجودات بقوله: (همتهُ سبقت الهمم. ووجوده سبق العدم، وأسمه سبق القلم، لأنهُ كان قبل الأمم، ما كان في الأفاق ووراء الأفاق، أظرف وأشرف وأنصف وأرأف وأخوف وأعطف من صاحب هذِه القضية، وهو سيد البرية، الذي أسمهُ أحمد ونعته أوحد وأمرهُ أوكد، وذاته أوجد، وصفته أمجد، وهمتّهُ أفرد...)[٣].

ويدعو الحلاج إقبال إلى التمسك بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الإنسان الكامل الذي بهِ استنارت الظُلم، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وخلاصة القول إن موقف إقبال من الحلاج كان موقفاً ايجابياً، وكان يراه في مقولته السابقة بأنهُ مفرط الحب في الذات الآلهية.[٤] ومما قاله إقبال في أمر الحلاج ومقولته الشهيرة قولهُ في ديوانه (هدية الحجاز) ما ترجمته:[٥]

---

(١) محمد إقبال. ديوان رسالة الخلود. ص٢٢٥.
(٢) المصدر نفسه . ص٢٢٦.
(٣) الحلاج. كتاب الطواسين. تحقيق لويس ماسنيون. باريس. ١٩١٣. طاسين السّراج. ص١١.
(٤) لجراهام بيلي. الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية. تر: د.حسين مجيب المصري. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٨٨. ص٢٢٣.
(٥) محمد إقبال. ديوان هدية الحجاز. تر: د. حسين مجيب المصري. مكتبة الأنجلو البمصرية . القاهرة. ١٩٧٥. ص٩٢.

(أنـــا الحـــق) ذي مقـــام الكبريـــاء أكـــان لهـــا الصـــليب مـــن الجـــزاء

فهـــذا جـــائز فـــي عـــرف قـــوم ويبطـــل عنـــد قـــوم بتالأبـــاء

**ب-جلال الدين الرومي:***

لم يكن الرومي متصوفاً وفيلسوفاً عادياً لدى إقبال بل كان رائده ومرشده في بناء صرح أفكاره، فكان إقبال نعم مريد لنِعم المرشد. وأثر الشيخ الرومي واضح وكبير في المريد الهندي، ونرى ذلك بوضوح في دوواين إقبال (رسالة الخلود) و (جناح جبريل) و (رسالة العبودية) ففي ديوان جناح جبريل- قصيدة بعنوان (المرشد الرومي والمُريد الهندي) وقد تُرجمت هذِه القصيدة إلى اللغة العربية[١].

وكان لمثنوي جلال الدين الدور الكبير في البناء الفكري والروحي لإقبال، ذلك الثنوي الذي قال عنهُ عبد الرحمن جامي( ت ٨٩٨هـ) أنهُ القرآن في اللسان الفارسي[٢].

والسبب الأساسي الذي دعا إقبال إلى التمسك بالرومي ومثنويه أنهُ رأى فيه صرخة مدّوية ضد العقليين الذين تمسكوا بزمام العقل وأهملوا الجانب الروحي. فالرومي كان قد كتب مثنوية ضد الموجة العقلية الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره، مما دعا إقبال إلى مواصلة هذِه الثورة والتمسك بالجانب الروحي والوجداني من دون إهمال العقل[٣].

---

* جلال الدين محمد، متصوف وشاعر وعارف كبير، ولد في بلخ عام ٦٠٤ هـ – وأشتهر بلقبه الذي عُرف به وهو (مولانا جلال الدين الرومي) نسبة إلى بلاد الروم أو آسيا الصغرى، إذ قضى الشطر الأكبر من حياته ويُعَد أشهر شعراء الصوفية في إيران. توفي عام ٦٧٢هـ . ومن أهم أعماله ديوانه ( المثنوي المعنوي) وديوان (شمس تبريز). ينظر: د. محمد عبد السلام كفافي. مثنوي جلال الدين الرومي. ط١، بيروت. المكتبة العصرية. ١٩٦٦. المقدمة، ص١ ما بعدها. وأدوارد جرانفيل بروان. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي. تر: د. إبراهيم أمين الشواربي. مطبعة السعادة. مصر. ١٣٧٣هـ –١٩٥٤م. ص٦٥٤.

(١) ينظر: محمد إقبال. ديوان جناح جبريل. تر: عبد المعين الملوحي.ط١، دمشق دار طلاس. ١٩٨٧م. ص٢٠٩-٢١٧.

(٢) د. عبد القادر محمود. الفلسفة الصوفية في الإسلام. ص٥٣٤.

(٣) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال .ص٣٨. وينظر عن الجانب الذوقي عند الرومي.د. رينولد.أ. نيكلسون. في التصوف الإسلامي وتاريخه.تر: أبو العلا عفيفي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٣٨٨هـ. ١٩٦٩م. ص١٥١-١٥٢.

وكان إقبال يرى – كما رأى الرومي – انهُ بالمحبة والعشق تدوم الحياة وتسمو الذات وتعلو، وأنهُ لا يحدث تطوراً إلا بهما.

وأثرت نظرية الرومي عن التطور في إقبال كثيراً في بناء فلسفته الذاتية، وعرض إقبال لهذِه النظرية في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام)[١].

وأعترف إقبال صراحة بتأثير الرومي فيه إذ يقول في بيتُ يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب: ( قد سحر عقلك سحر الأفرنج، فليس لك دواء إلا لوعة قلب الرومي، وحرارة أيمانه. لقد استنار بصري بنوره ووسع صدري بحراً من العلوم)[٢].

ويقول في قصيدة لهُ بعنوان (في مدينة الرسول (ص)): ( لقد أذنتَ في الحرم، كما أذن بالأمس جلال الدين الرومي، فقد تعلمّت منهُ أسرار الروح والحب. لقد كان ثائراً على فتن عصره، وكنتُ ثائراً على فتن عصري)[٣].

ويقول إقبال عن أثر الرومي فيه[٤].

صيَّر الروميُّ طيني جوهراً  من غُباري شاد كوناً أخرا

ويشكو لافتقار العالم إلى رومي آخر يبعث فيه قبساً من الأمل والرجاء ويشعل فيه نار التحمس للحياة.

ويلاحظ خليفة عبد الحكيم أن هناك تشابهاً كبيراً بين الرومي وإقبال، فكلاهما شاعر على أعلى مستوى، وكلاهما شاعر أسلامي، والشعر عند كليهما فلسفي، وكلاهما يعمل على دعم الذات بدلاً من إنكار حقيقتها، وكلاهما أقتنع بأنهُ لا تعارض مطلقاً بين إثبات الذات ونفيها، وكلاهما يؤمن بأنهُ لا حدود لرقي الإنسان[٥].

ج- عبد الكريم الجيلي:*

يعد عبد الكريم الجيلي من أبرز المتصوفة الذين إتبَّعوا مدرسة أبن عربي، وقد طور فكرة الإنسان الكامل التي كانت موجودة لدى الحلاج وأبن عربي التي تسمى بالحقيقة المحمدية أو النور المحمدي. والتي نود أن نعرضها هنا لأننا نرى أن هُناك تشابها

---

(١) ينظر: محمد إقبال. تجديد التفكير الديني. ص١٣٩-١٤٠.

(٢) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال . ص٣٩.

(٣) محمد غقبال. ديوان رسالة الخلود. ص٢٧. وأبو الحسن الندوي. روائع إقبال. ص١٢٤.

(٤) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات . ص٩.

(٥)Khalife A.H. Runi, Nietzsch, and Iqbal. In book ( Iqbal as a thinker ) Printed. Sh. Muhammad Ashraf. 1952. Lahore. P.141-142.

* متصوف عربي ولد في بغداد نحو ٧٦٦هـ – ١٣٦٥م من أسرة جيلانية الأصل، ولذلك يُعرف باسم الجيلاني والكيلاني، عاش في اليمن، وسافر إلى الهند وكان من أتباع الطريقة القادرية، توفي عام ٨٠٥هـ –١٤٠٣م. ومن أشهر مؤلفاته كتابه الذي عُرف به ( الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) وغيرها من المؤلفات القيمة، جورج طرابيشي .معجم الفلاسفة. ص٢٤٠.

في هذِه الفكرة بين إقبال والجيلي، وكما ذكر إقبال ذلك في رسالته (ما وراء الطبيعة إيران)[١].

يقول الجيلي عن الإنسان الكامل ( إن الحق أذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه قامت فيه لطيفه الهبة، فتلك اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية، فإذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الإنساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع، عليه يدور أمر الوجود ولهُ يكون الركوع والسجود وبهِ يحفظ الله العالم، وهو المعبر عنهُ بالمهدي والخاتم وهو الخليفة[٢]. ولهذا الإنسان صفات عدة منها : الحياة والمعرفة والإرادة والقوة والجمال والكمال[٣].

ولو سألنا الجيلي من هو هذا الإنسان الكامل الذي يستحق هذِه الصفات؟ فُيجيب الجيلي بأن هذا الإنسان الكامل هو الرسول محمد (ﷺ)، فهو (ص) (الإنسان الكامل، والباقون من الأنبياء والأولياء هم الكُمل صلوات الله عليهم، ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ومنتسبون أليه أنتساب الفاضل إلى الأفضل. ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي أنما أُريد به محمد (صلوات الله عليه وأله وسلم) تأدباً لمقامه الأعلى ومحله الأكمل الأسنى)[٤].

فالجيلي ينفي أن يكون أحدُ أنساناً كاملاً إلا نبي الله محمد (ص) أما غيره فهم أفراد كُمل فليس لأحدٍ من الكمال مهما كان لهُ من صفات وأخلاق.

---

(١) ينظر: محمد إقبال. ما وراء الطبيعة في إيران. ص١٦٤ وما بعدها حيث يقوم إقبال بدراسة فكرة الإنسان الكامل عند الجيلي ، دراسة تحليلية نقدية.

(٢) عبد الكريم الجيلي. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. ج١، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده. الأزهر. ١٣٨٣هـ –١٩٦٣م. ص٤٤.

(٣) محمد إقبال. ما وراء الطبيعة في إيران. ص١٧٧-١٧٨.

(٤) عبد الكريم الجيلي. الإنسان الكامل.ج٢. ص٤٤.

إلا أن يوسف زيدان يقول بأن الجيلي رأى في نفسه ( إنسان كامل عصره)[١].

ويرى الجيلي أن الإنسان الكامل هو المركز ( القطب، الذي تدور حوله أفلاك الوجود من أوله إلى أخره، وهو واحد منذُ كان الوجود إلى أبد الأبدين)[٢].

ويتفق إقبال مع الجيلي في أن رسول الله (ﷺ) هو الإنسان الكامل الذي يجب علينا التخلق بأخلاقه، ذلك الذي خاطبه المولى تبارك وتعالى " وأنك لعلى خُلقٍ عظيم "[٣].

ولكن إقبال لا يرى في نفسه إنسان عصره الكامل، وإنما كان يرى بأن المسلم الحقيقي، الذي يأتمر بأوامر الله تعالى وينتهي عن نواهيه هو ذلك الإنسان الكامل، ويقول عن المسلم الحق: (وأنك أيها المسلم في العالم وحدك، وما عداك سراب خادع ودرهم زائف) ويقول أيضاً ( أن أيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق، وكل ماعدا في هذا العالم المادي وهم وطلسُم ومجاز)[٤].

وخلاصة القول في مسألة الإنسان الكامل لدى إقبال، إنهُ يعارض رأي الصوفية الذين يرون بأن الإنسان الكامل مرآة يتحد فيها الوجود الآلهي بالوجود الدنيوي. ولكن إقبال يرى بأنه ليس من أفنى ذاته في ذات الله،
بل من طور تلك الذات وأستقل بها عن الله وعمل ما أرضاه وهو يشبه الله تعالى في قدرته على الخلق والإبداع[٥].

ويرى سعيد عبد الفهد أن أثر الجيلي في إقبال كان واضحاً في مسألة الإنسان

---

(١) يوسف زيدان. الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي. دار النهضة العربية بيروت. ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨. ص٢٥و ص١٠٦.
(٢) عبد الكريم الجيلي. الإنسان الكامل . ج٢. ص٤٦.
(٣) سورة القلم . الآية ٤.
(٤) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال. ص٥٣. وينظر عن فكرة الإنسان الكامل عند إقبال. نفس المصدر. ص٥١-٦٢. والندوي أيضاً. شاعر الإسلام محمد إقبال. دار الكتاب العربي. القاهرة. ١٩٥١م. ص٦١.
(٥) محمد إقبال. ديوان جاويد نامة- في السماء- ترجمة شعراً وشرحه د. حسين مجيب المصري. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٧٣. تمهيد الديوان . ص١٢.

الكامل. إن إقبال درس الجيلي دراسة عميقة قبل أن يرق أي شيء عن نيتشه[١].
وبهذا القول ينفي هذا الباحث قول الدارسين الذين يقولون بوجود أثر نيتشوي في إقبال بشأن مسألة الإنسان الكامل، ويبقى أثر الجيلي أكبر.

٣- الفلسفة الغربية :

كان لسفر إقبال ودراسته في الجامعات الأوربية دورُ كبيرُ في إمداد إقبال بثقافة الغرب وفلسفته وفكره .. فقد أطلع في مكتبات الجامعات الأوربية على أفكار وفلسفات متعددة، ومن أبرز الذين قرأ لهم إقبال من رواد وعمالقة الفكر والفلسفة الغربية، عمانوئيل كانت، وجوته وفختــه وكونت وهيجل وشوبنهاور ونيتشه وبرجسون ومكتجارت وغيرهم الكثير. وقد ذكرهم في كتاباته النثرية والشعرية، وفي هذا المقام نذكر أبرز الفلاسفة الذين كان لهم الصدى الكبير في نفسه وفكره وأثرهم في فلسفة الذات عنده، ومن أبرزهم :-

أ-جوهان جوتليب فختة:*

يعُد فختة رائداً من رواد الفلسفة المثالية الألمانية، وقد وجه اهتمامه إلى دراسة الذات (الأنا). في عصرٍ كانت تسحق فيه الذات تحت ظل الحروب النابليونية الدموية وشعاراتها الزائفة.
يقول فختة (لقد حان الوقت لكي تقوم فلسفة تكون لهذِه الأمة بمثابة المرآة التي تبين فيها ذاتها تبيناً يكشف عن مواضع الضعف فيها، وذلك من أجل أن تصلح من هذِه النفس، بحيث تعي بعد ذلك نفسها وعياً واضحاً وتدرك رسالتها بما يحقق لها أثبات
الذات[٢].

---

(١)Syed Abdul Vohid . Iqbal his Art and Thought. Printed in Great Britain .1959. P.95.

* فختة( ١٧٦٢-١٨١٤م) فيلسوف ألماني بارز. ومن أبرز تلاميذ عمانوئيل كانت. ورائد من رواد الفلسفة المثالية الألمانية. ومن أشهر أعماله، خطاباته إلى الأمة الألمانية. وكتابه (مقدمة لنظرية المعرفة ) و ( نظرية الأخلاق). الموسوعة الفلسفية المختصرة. نقلها للعربية فؤاد كامل وآخرون. مكتبة النهضة .بغداد. ١٩٨٣. ص٣٠١.

(٢) د.فوقية حسين محمود. الفيلسوف الألماني الداعية فختة. مجلة العربي العدد ١٥٣. الكويت. ١٩٧١. ص٦٤.
وينظر عن فلسفة فختة في الذات. فختة. فختة وغاية الإنسان. دراسة وترجمة د. فوقية حسين محمود.ط١، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ص٥٥ وما بعدها.

لقد أعطى فخته للذات في فلسفته مكاناً كبيراً، إذ إنها عنده تؤدي دوراً جدلياً من خلال خلق تمثلات لذاتها، مما يجعلها تؤدي دوراً أيضاً مع الموضوع في بناء تصاعدي بناءي[١]. ولا بد لهذِه الذات من أن تعي نفسها بنفسها، وهي مصدر وجود الأشياء الخارجية، ولا وجود للموضوع من دون وجود الذات العارفة[٢].

والذي نلاحظه في فلسفة إقبال أنها شبيهة بفلسفة فخته من حيث تأكيد الذات، فإقبال يقول عنها:[٣]

هيكل الأكوان من آثارها  كلُ ما تُبصر من أسرارها

ولكن هناك فرق بين فلسفة الذات الفختية والإقبالية. فالذات عند فخته تقوقعية تعمل وتتحرك داخل ذاتها[٤]. بينما هي عند إقبال أنفتاحية، لها طاقات خلاقه ومبدعة، كما نجد أن هناك اختلافاً في الغاية، فغاية فلسفة فخته أن يبلغ بالأمة الألمانية إلى أعلى الدرجات، فدعوته تمتاز بنزعتها القومية، وهذا واضح من خلال خطبه للأمة الألمانية، إذ يقول (إننا الشعب المختار، شعب المستقبل، إننا الوعي العالي للأنسانية)[٥].

ويرى أحد الباحثين أن أفكار فخته قد شوهّت على أيدي النازيين أمثال (روزنبرغ) و(غوبلز) الذين برروا مواقفهم السياسية وفقاً لفكر فخته، كما أن أفكار فخته لا تحمل الطابع العدواني الذي أتت به النازية[٦].

ولكن فلنفترض جدلاً أن فخته لا يقصد ما قصده النازيون، فما ذا كان يقصد من كلامه السابق؟

---

(١) محمد عبد الله الخالدي. فلسفة الأنا عند فخته. رسالة ماجستير. جامعة بغداد .كلية الآداب. قسم الفلسفة. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. ص٤٩.

(٢) د. رسول محمد رسول. الحضور والتمركز .قرأة في العقل الميتا فيزيائي الحديث، ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت. ٢٠٠٠. ص١٤٢-١٤٣.

(٣) محمد إقبال. ديوان أسرار الذات. ص١٣.

(٤) محمد عبد الله الخالدي. فلسفة الأنا عند فخته. ص٥٣.

(٥) د. عثمان أمين. رواد المثالية في الفلسفة الغربية. دار المعارف. ١٩٦٧. ص٣٢٠.

(٦) د. عبد الله عبد الدائم. الجيل العربي الجديد.ط١، دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٦١. ص٩٣-٩٤.

أنهُ يُريد للأمة الألمانية السيادة والريادة والسيطرة على العالم، وأنها يجب أن تكون قدوة لمن يقتدي بها لأنها سيدة العالم.

وهذا الكلام لا يتفق مع نزعة إقبال الإسلامية العالمية الإنسانية القرآنية، إذ إن دعوته لا تعرف حداً للجنس واللون واللغة. أنها تخاطب جميع البشر وترفض كل الحدود المصطنعه التي وضعها الاستعمار.

ولدى فختة تأكيد أهمية العمل والكفاح من أجل أحياء الأمة الألمانية فبالعمل وحده تستطيع هذِه الأمة أن تبلغ مرحلة السيادة والريادة[1].وهذا ما أكده في خطبه. أما إقبال فأنهُ أكد وركز على دور العمل وأهميته في صنع الحياة وتحقيق الخلود، ولكن شتان بين النظرتيين، فنظرة إقبال إنسانية عامة أما نظرة فختة فقوميه خاصة.

واتفاقاً مع سعيد عبد الفهد نجد بأن خارج نطاق مفهوم الأنا (الذات) يوجد تباعد تام بين وجهات نظر إقبال وفختة.وفي الوقت الذي يصر فيه إقبال على احتفاظ الأنا بفرد أنيتها ورأي فختة بهذا الصدد هو أنهُ لا توجد هُناك سوى فضيلة واحدة وهي نسيان ذات المرء بوصفه فرداً، ولا توجد هناك رذيلة سوى الاهتمام بذات المرء[2].

ب-فردريك نيتشه :*

أهتم الباحثون والدارسون لفلسفة إقبال، بمقارنة فلسفة إقبال بفلسفة نيتشه، ولاحظوا أن هناك أثراً نيتشوياً في إقبال ولا سيما في فكرة الإنسان الكامل التي تسمى عند نيتشه بـ ( Super man ) الإنسان الأعلى[3].

---

(١) ينظر: عن فلسفة العمل عند فختة. ديديه جوليا. فيخت. تر: المحامي حسيب نمر. سلسلة أعلام الفكر العالمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١، بيروت. ١٤٠٠هـ ــ١٩٨٠. ص٢٩ وما بعدها.

(٢)Syed Abdul Vahid . Iqbal his Art and Thought . P.85.

* فردريك نيشته (١٨٤٤ ــ١٩٠٠م) فيلسوف وأديب ألماني كبير ، يجي ترتيبه الثالث بعد كانت وهيجل في سلم الفلاسفة الألمان. تفكيره كالأدباء، وكتابته كالأنبياء/ من أسرة من القساوسة، تأثر في فلسفتة بثلاثة، شوبنهاور وريتشارد فاجنر، وكتاب لانج " تاريخ المادية " وقال " بعد هؤلاء لست في حاجة الى شيء " أهم مؤلفاته (هكذا تكلم زرادشت) و( ما وراء الخيروالشر ) و (أصل الأخلاق).د.عبد المنعم الحفني . الموسوعة الفلسفية . ط١، دار ابن زيدون . بيروت . ص٤٨٩-٤٩٠.

(٣) أعترض أحد الباحثين المستشرقين وهو أدوار جرانفيل بروان، على فلسفة إقبال وقال بأنها أقتباس شرقي لفلسفة نيتشه. ينظر: د. أحمد معوض. العلامة محمد إقبال. هامش ص ٣٩٠. وقد أستدل بروان على ذلك التشابه عند قرأته لديوان إقبال (أسرار الذات) الذي ترجمه المتشرق نيكلسن للأنكليزية عام ١٩٢٠م. وقد عرّف نيكلس القارئ الغربي بفلسفة إقبال وشعره.

ومن الاعتراضات الأخرى على فلسفة إقبال أعترض أحد زملاء إقبال وهو الأستاذ ديكسون، الذي يقول إن إقبال كان يعني بالقوة، القوة المادية التي تؤدي إلى الدمار والوحشيه والقتل وإنه في فلسفته من دُعاة القومية والعنصرية. إذ أنهُ يخاطب أهل قومه من دون غيرهم وردَّ إقبال على اعتراضات الأستاذ ديكسون في رسالته التي بعثها إلى نيكلسن في تاريخ ١٩٢١/١/٢٤م.

ومن ردود إقبال على ما قاله ديكسون، أنهُ لا يدعوا إلى القوة المادية الوحشية كما قال بها نيتشه، وإنما كان يدعوا إلى القوة الروحية الخلاقّه. وإن نيتشه كان ينكر الخلود الشخصي أما هو ــأي إقبال فيعدّه أعلى درجات الحياة. كما أن دعوته لم تكن ذات طابع قومي عنصري، بل كانت دعوة أسلامية، وليست الإسلامية

**ولا بد من بيان فلسفة الفيلسوفين في فكرة الإنسان الكامل وبيان مدى التشابه أو الاختلاف بين الأثنين.**

**في الجزء الرابع من كتابه (هكذا تكلم زرادشت)، يصب نيشته اهتمامه في الإنسان الأعلى[1]. وفي موضع أخر من الكتاب يقول إن الإنسان الأعلى لا يظهر إلا بموت الآله، ويحل محل الله، على وفق القاعدة الآتية:**

---

**كما يفهما ديكسون بأنها مقتصرة على أمة معينة أو على جنس معين، وإنما الإسلامية دعوة إنسانية عالمية عامة لا تعرف الحدود.**

**أما بخصوص تأثر إقبال بنيتشه فيقول لهُ إنهُ كتب مقالاً عن الإنسان الكامل عند الصوفية قبل ثلاثين سنة ولم يكن حينذٍ قد أطلع على كتب نيتشه ولا سمع باسمه .**

**ويختم إقبال رسالته لنيكلسن بقوله: إن الأقوال التي بُعثتها أليك فأدرجتها في مقدمة ديوان (أسرار خودي) قد بينت مذهبي في ضوء آراء مفكري الغرب ومذاهبهم، وإنما اخترت هذه الطريقة لأيسر لقراء الإنكليزية فقه أرائي. ولو شئت لاستشهدت بالقرآن الحكيم، وأقوال الصوفية الكرام، وحكماء المسلمين، كما فعلت في المقدمة التي أثبتها في الطبعة الأولى لأسرار خودي.**

**وأني أدعَي أن فلسفة أسرار خودي مأخوذة من آراء صوفية المسلمين وحكماءهم. د. عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص١٢٥ – ١٣١ .**

**وكذلك : Syed Abdul vohid. Thoughts and Reflections of Iqbal . P. 94-99**

**(١) ينظر: نيتشه. هكذا تكلم زرادشت. تر: فليكس فارس . دار القلم. بيروت. ص٢٦٦ وما بعدها.**

**ينظر: نيتشه. المصدر نفسه. ص١١١-١١٣. وبيار هيبر سوفرين. زرادشت نيتشه. تر: أسامة الحاج.ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت. ١٤١٤هـ –١٩٩٤م. ص٩٩ و ص١٣٦.**

**موت الله + إرادة قوة إثباتيه + قوة فاعلة = الإنسان الأسمى[١].**

**أما إقبال، فأنه يرفض جميع ما قاله ينتشه، ويرى بأن الله تعالى يعُد مصدر قوة وأيمان وأخلاق لهذا الإنسان، الذي يهدف إلى التخلق بأخلاق الله تعالى.**

**ويسعفنا الأستاذ أحمد أمين في بيان الفرق بين نظرة نيشته للإنسان الأعلى ونظرة المتصوفة، فيقول (كان الإنسان الكامل في نظر نيتشه على العكس التام منهُ في نظر الصوفية، هو في نظر الصوفية.روحاني سماوي، وهو في نظر نيتشه أرضي مادي ملحد)[١]. ولا بد من بيان بعض المسائل بشأن فكرة الإنسان الكامل بين إقبال ونيشته، ومنها:**

**١-إن فكرة الإنسان الكامل ليست فكرة حديثه في الفلسفة، وليس نيتشه هو المؤسس الأول لها. بل أنها فكرة قديمة وقد سبق الفلاسفة والمتصوفة المسلمون الغربيين في الخوض في هذِه الفكرة، ومنهم الحلاج وأبن عربي وجلال الدين الرومي وعبد الكريم الجيلي وغيرهم.**

**٢-تأثر فلاسفة الغرب بفلاسفة الإسلام في هذِه الفكرة، ومنهم يوهان فولفانج جوته (ت ١٨٣٢م) الشاعر والفيلسوف الألماني الذي عبر عن فكرته هذِه في روايته الشهيرة (فاوست) واعترف جوته صراحة بتأثره بنبي الإسلام محمد (ص) وبفلاسفة ومتصوفة الإسلام، وذلك في ديوانه الشهير ( الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)[٢].الذي رد إقبال عليه في ديوانه ( رسالة الشرق).**

**وما نود الإشارة إليه هو أن جوته أسبق من نيتشه في قوله بالإنسان الأعلى، ولعل نيتشه كان متأثراً بجوته في هذِه الفكرة، ويقول إقبال إن نيتشه أستعار فكرته هذِه من الأدب الأوربي، ومن فكرة أيمرسن في (Over man )[٣].**

---

**(١) أحمد أمين. السوبرمان أو الإنسان الكامل. مجلة الثقافة (المصرية) العدد٢٢٢. السنة الخامسة. القاهرة. ١٣٦٢هـ –١٩٤٣م. ص٦.**

**(٢) ينظر: جوته. الديوان الشرقي للمؤلف الغربي. تر: د. عبد الرحمن بروي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ١٩٤٤. كتاب المغني. قصيدة هجرة ص٦٧.**

**(٣)Syed Abdul Vohid. Thoughts and Reflections Of Iqbal . P.241.**

**٣-هناك اختلافات جوهرية كبيرة بين فلسفة إقبال وفلسفة نيتشه[١]. فقد رفض إقبال أن تكون فلسفته مستقاة من فلسفة نيتشه، فالإنسان الأعلى عند نيتشه هو نتاج تطور بايلوجي مبني على نظرية دارون في النشوء والارتقاء، بينما الإنسان الكامل عند إقبال عكس ذلك، فهو نتاج قوى أخلاقية وروحية تتكامل شخصيته بمدى علاقته بالله تعالى[٢].**

**٤-إن فكرة إقبال أسلامية –قرآنية بالدرجة الأولى. وأنه كما يقول أستمدها من القرآن الكريم ومن صوفية وحكماء الإسلام.وقد كان إقبال من المعترضين على فلسفة نيتشه سواء في فكرة الإنسان الأعلى. وفي فكرة العود الأبدي، وقد باء نيتشه بالفشل –كما يقول إقبال –لتأثره بآراء أسلافه من المفكرين أمثال شوبنهاور ودارون ولانج، وأن الأنا التي ينشدها نيتشه فوق متناول الفلسفة وفوق متناول المعرفة[٣].**

**ويرى احد الباحثين أن إقبال تأثر في مسألة توكيد الذات وفي مثاليته عن الواقعية الديناميكية.[٤]**

**ج- هنري برجسون :***

**التقى إقبال بالفيلسوف الفرنسي هنري برجسون في باريس عام ١٩٣١م. وكان**

---

**(١) ينظر: د. أحمد معوض. العلاَّمة محمد إقبال. ص٣٩٠ –٣٩٩.**
**وينظر :.Mazheruddin Siddiqi. Concept Of Muslim Culture In Iqbal . P. 80-81**
**(٢) عطيه سليمان عودة أبو عاذره. مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث. عند كل من محمد عبده ومحمد إقبال. ط١، دار الحداثة. بيروت. ١٩٨٥. ص٢٣٧.**
**وينظر:Syed Abdul Vahid. Thoughts and Reflections of Iqbal . P. 242.**
**(٣) محمد إقبال. تجديد\ التفكير الديني. ص٢٢٣. وينظر: محمد إقبال. رسالة الخلود. تر: د. محمد السعيد جمال الدين. ص٢٦٠-٢٦٣. وراشد الحيدري. محمد إقبال والثقافة الألمانية. مجلة فكر وفن العدد٢. العام الأول. ١٩٦٣. ص٢٦.**
**(٤)Dr. K. M. Jamil . Nietzsche and Bergson First Published –Pakistan . 1959 . Preface . P.X1.**

*** هنري برجسون (١٨٥٩-١٩٤١م) فيلسوف فرنسي كبير ورائد من رواد الفلسفة الحيوية (الوجدانية)، وضع فلسفة للتطور الخالق، وكان لهُ أثر ملحوظ في الأدب والفلسفة في السنوات الأولى من القرن العشرين، ولهُ مؤلفات عدة في المعرفة والأخلاق والدين والميتافيزيقيا. ومن أبرز مؤلفاته (التطور الخالق) و ( منبعا الأخلاق والدين) و ( الطاقة الروحية) وغيرها.**
**ينظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة. نقلها للعربية فؤاد كامل وآخرون. ص١١٣-١١٤. ويوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة. دار القلم. بيروت .ص٤٣٩.**

برجسون عندئذٍ مريضاً لا يستقبل أحداً إلا أنه استثنى إقبال من ذلك[١]. ودار بين الفيلسوفين حديث عن الزمان وفلسفته في الإسلام. وذكر إقبال لبرجسون حديثاً نبوياً شريفاً يقول ( لا تسبوا الدهر فأن الدهر هو الله) فُدهش برجسون لعظمة الفلسفة الإسلامية ولفكر إقبال النير[٢].

إن المطلّع على فلسفة الفيلسوفين بشكل دقيق يجد أن هنالك تشابهاً كبيراً بين الاثنين في بناء فلسفيتيهما، وإن افترقا قى في مسائل عدة، لكن الاتفاق أكثر من الافتراق.

ففي مسألة الذات يقول برجسون: ( ليس ثمة ريب في أن وجودنا الذاتي هو الوجود الذي نراه أكيداً على أكبر حد والذي نعرفه على أكمل وجه... أننا ندرك أنفسنا إدراكاً داخلياً عميقاً)[٣].

وهذا القول يشبه قول إقبال ( إن مركز الشعور المحدود الذي لا يُدرك (الذات) هو حقيقة الكائنات. فالذات حق لا باطل)[٤].

وكلا الفيلسوفين يؤكدان مركزية الذات، وإنهما تمثل نقطة الانطلاق لمعرفة الأشياء الأخرى، فلولا وجود الذات لما عُرف الموضوع وسواء كان الموضوع مرئياً أو غير مرئياً.

فبرجسون يرى بأنهُ بعد معرفة الذات ننتقل إلى معرفة الجسم، فالحياة فالمادة، فالكون، حتى ننتهي إلى معرفة الوجود الألهي[٥].

---

(١) ينظر: Annemarie Schimmel . Gabriels Wing . P.51

(٢) ينظر : M. S . Raschid . Iqbal Concept Of Gad. London –New York . 1981 .P. 26-28. د. عبد الوهاب عزام . محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ص٣٥. و د.أحمد معوض العلامة محمد إقبال . ص٦٥-٦٦.

(٣) هنري برجسون. التطور الخالق. تر: د. محمد محمود قاسم. الهيئة المصرية العامة للكتاب .١٩٨٤م. ص١٢.

(٤) محمد إقبال. ديوان الأسرار والرموز. ص١٦.

(٥) د. زكريا إبراهيم برجسون. سلسلة نوابغ الفكر الغربي. (٣) دار المعارف. مصر. ص٥٧.

ويرجع برجسون إلى أن سبب ابتعادنا عن معرفة ذواتنا هو توجهنا نحو العالم الخارجي وغفلتنا عن معرفة عالمنا الداخلي (ذواتنا) التي تمثل ديمومة خالصة بعيدة عن عالم الطبيعة. وإن معرفة الذات أعسر بكثير من معرفة العالم الخارجي[١].وثمة تشابه آخر بين الفيلسوفين في مسألة المعرفة الوجدانية إذ يذهب برجسون إلى أنه عن طريق الحدس والشعور ونستطيع أن نعرف ذواتنا فشخصيتنا هي الشيء الذي ينبغي أن نعرفه على الوجه إلا مثل[٢]

ويرد إقبال على الذين يقولون بأنهُ أستمد هذِه المعرفة من برجسون، ويرى بأن نظرية المعرفة الوجدانية، إسلامية – قرآنية. فيقول: ( ولكي نكفل أدراك الحقيقة أدراكاً كاملاً ينبغي أن يكُمل الإدراك الحسي بإدراك آخر هو ما يصفه القرآن بإدراك " الفؤاد " أو " القلب " " الذي أحسن كُل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين.ثم جعل نسله من سُلالة من ماءً مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون"[٣]. والقلب نوع من علم الباطن أو البداهة[٤].

ويذكر إقبال أن مر شده ورائده جلال الدين الرومي هو الذي أنار بصره بهذِه المعرفة الوجدانية، فالرومي يرى بأن معرفة القلب لا تكذب أبداً.

والفيلسوفان كلاهما يناديان بفكرة الأخلاق المفتوحة[٥]. تلك الأخلاق الإنسانية التي تعبر عن استجابة الفرد لنداء الحياة الصاعدة، ويحذران من الأخلاق المغلقة، الأخلاق

---

(١) المصدر نفسه. ص٥٩. وينظر :
H.A.r . Gibb . Mohammedanism and historical Survey . third Printing. U.S.A. 1964. P.185.

(٢) المصدر نفسه .ص٥٩-٦٠.

(٣) سورة السجدة . الآيات ٧-٩.

(٤) محمد إقبال. تجديد التفكير الديني. ص٢٣. ونود الإشارة إلى أن متصوفة الإسلام سبقوا برجسون في الدعوة إلى الإنصات للصوت الباطن، وأن المعرفة تنكشف للإنسان مباشرة عن طريق الحدس والوجدان. ينظر: رينولد. أ. نيكلسون. الصوفية في الإسلام. تر: نور الدين شريبه. مكتبة الخانجي. مصر. ١٣٧١هـ-١٩٥١م. ص ٧٠ وما بعدها.

(٥) ينظر: برجسون. منبعا الاختلاف والدين. تر: د. سامي الدروبي. و د. عبد الله عبد الدائم. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. ١٩٧١. ص٤٠-٤١.

**التي يكون الفرد فيها تحت قسر الجماعة[١].**

**ويقول المستشرق الإنكليزي هاملتون جب: إن النزعة الإنسانية في فلسفة إقبال نجد تعبيرها في فلسفة برجسون اللاعقلانية[٢].**

**ويرى الأستاذ فضل الرحمن أن سبب اتخاذ إقبال لمذهب برجسون الحيوي أنما ليتحدى به جبرية القرن التاسع عشر[٣].**

**واتخذ إقبال من الإنسان الكامل، القدوة التي يقتدي بها الناس أجمعين، فهو آية الله ويده ولسانه في هذِه الأرض.**

**بينما أتخذ برجسون فكرة البطل الذي يمثل قوة جذب أمامية للناس، وهذا هو جوهر الأخلاق المفتوحة.**

**ولكن الفارق بين الفيلسوفين في هذِه المسألة، أن إقبال يرى أن الإنسان الكامل إنسان مسلم مؤمن ملتزم بالشريعة المحمدية ليس إلا[٤]. أما البطل عند برجسون فهو عنده المتشرب للأخلاق والعقيدة المسيحية[٥].**

---

(١) ينظر: د. عثمان أمين –رسالة محمد إقبال. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ٥. السنة الأولى .١٣٧٢هـ-١٩٥٣. ص١٦.

(٢) هـ.أ.ر. جب. الاتجاهات الحديثة في الإسلام. تر: هاشم الحسيني. دار مكتبة الحياة. بيروت. ١٩٦٦. ص١١٤.

(٣) د. فضل الرحمن. الفلسفة الإسلامية الحديثة. بحث ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة. أعمال مؤتمر برنستون. ص٨٤-٨٥.

(٤) ينظر: أبو الحسن الندوي. روائع إقبال. ص٥٢ وما بعدها

(٥) ينظر: برجسون . منبعا الأخلاق والدين. ص٦٧.

# الفصــل الثالث

## المبحث الأول

### إقبال في الثقافة العربية

## محمد إقبال في الثقافة العربية:

ترك إقبال أثراً كبيراً في الفكر الإسلامي خاصة، والفكر الإنساني عامة، فقد حظي بمزيد من الدراسة والتحليل من قبل الباحثين والمفكرين، شرقاً وغرباً، ولعلو منزلته وسَّموه أتفق الأدباء والشعراء على تلقيبه بـ (ترجمان حقيقت) أي المعبر عن الحقائق[١].

ورأى الأدباء والمفكرون في إقبال روى كثيرة وعدَّوه من قادة الفكر ورجالات الأدب وزعماء الإصلاح وفلاسفة النهضة والتجديد، وتقول عنهُ الباحثة روشن بدرخان ( لم يمت إقبال وأنهُ لن يموت، فهو حي في كل نفس خفاقة متوثبة لأنهُ رمز للفكر الفلسفي البعيد الأرجاء. الذي لابد منهُ لكل نهضة قومية مباركة شاملة[٢].

وهنا نود بيان أثر إقبال في الثقافة العربية ومفكريها وأدبائها. وما قالوه في حقه، فقد خدم إقبال الثقافة العربية خدمة عظيمة وناضل من أجلها، فأحب إقبال العرب والعربية حباً جماً وتألم إقبال كثيراً لأنهُ يناضل من أجل الإسلام والعروبة، ولم يعرفه العرب، فقد بذل روحه ليرى العرب والمسلمين يعيشون في استقلال وعزه[٣].

وبمرور الأيام أخذت شمس إقبال تسطع على العرب. وقام المثقفون والمفكرون العرب بتقديم إقبال والتعريف به وبفلسفته للعالم العربي، وحظي من لدنهم بمزيد من الذيوع والشهرة، وبينوا دور إقبال الفكري والفلسفي والأدبي والسياسي وأثره في الفكر الإنساني. وما كانت فلسفته (فلسفة الذات) إلا دعوة لبناء الإنسان المسلم والعربي لأن يكون تجسيداً للآية القرآنية " وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في

---

(١) السيد أبو النصر الحُسيني الهندي. محمد إقبال أكبر شعراء الهند في العصر الحاضر. مجلة الرسالة (المصرية). العدد ١١٧. السنة الثالثة. ١٣٥٤هـ ـ١٩٣٥م. ص١٥٨٣.

(٢) السيدة روشن بدر خان. محمد إقبال. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ٢١. السنة الخامسة. ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م. ص١٦.

(٣) د. يوسف عز الدين. مقدمة كتاب إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان للدكتور حميد مجيد هدو. ص٧.

الأرض خليفة "[1].

وأليك ما قاله المفكرون والأدباء والمثقفون العرب في حق إقبال وفلسفته الذاتية، وهو غيض من فيض.

١-د. طه حسين (١٨٨٩ –١٩٧٣ م) :

قال عميد الأدب العربي ورائده في حق محمد إقبال في كلمته التي كتبها في ذكرى إقبال الموسومة بـ ( إقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان) بعد أن قارنه بأبي العلاء المعري، وبين دوره في الأدب الإسلامي قال: ( وأحب أن نكون أوفياء وأن نكون كراماً على أنفسنا. وأول حقوق الكرامة هو أن نعرف الحق لأهله، وأن نذكر إقبال أداء لما لهُ علينا جميعاً من دين. فهوا الذي دعانا إلى الخير وأشاع فينا هذا الأمر بأن نعرف أنفسنا وحقوقنا ونجاهد في سبيل الحق والخير والجمال)[2].

فطه حسين يرى في إقبال زعيماً ومصلحاً وفيلسوفاً، ناضل من أجل بناء ذات الإنسان، والإنسانية أجمع. وشخص كان هدفه في كل ذلك الحب والاحترام وإشاعة فكره وأدبه وفلسفته بين الناس.

يقول طه حسين عن إقبال ( كان حريصاً على أن تكون حياة الإنسان قائمة على أيمان الفرد بنفسه وعلى أن يفرض الفرد بنفسه على الحياة، لا أن يخضع لها أو يفنى في مظهر من مظاهرها وكان منطقياً مع نفسه.في هذا الرأي الفلسفي الخطير فكان اجتماعياً كأشد ما يكون الإنسان أخلاصاً للجماعة أفنى حياته كلها مرشداً معلماً ناجحاً راعياً للعالم الإسلامي وللإنسان)[3].

٢-أحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨م) :

قال الأديب والكاتب والمفكر المصري الزيات في كلمته (تحية لذكرى إقبال) في بيان منزلة إقبال في الفكر والفلسفة وعلو شأنه في الأدب قال: فإذا كان حسان شاعر

---

(١) سورة البقرة . الآية ٣٠.
(٢) طه حسين. إقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان. ضمن كتاب محمد إقبال. تأليف صفوة من كبار الكتاب. سفارة باكستان. مطبعة مصر. ١٩٥٦. ص٢٧.
(٣) د. جمال الدين محمود . إقبال وروح الإسلام ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات. ص٦٥-٦٦.

الرسول (ص) فان إقبال شاعر الرسالة، وإذا كان لحسان من نازعه شرف الدفاع عن محمد (ص)، فليس لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن المحمدية[١].

٣-د. محمد حسين هيكل ( ١٨٨٨ ــ١٩٥٦ م) :

لقد عظم وأكبر هيكل رسالة إقبال وفلسفته العالمية الإنسانية، وبين أن الذاتية عند إقبال تختلف عن مدلول الذاتية الغربية القائمة على الأنانية التي تجعل الفرد لا يفكر إلا في نفسه ولا يعمل إلا لها أما الذاتية عند إقبال فهي الروح المنشئ الذي أودعه الله الإنسان وجعل العمل والدأب فيه وسيلتنا إلى انتشار هذِه الروح فيما حولنا وأبرز ما تنطوي عليه نفوسنا من قوة وخير[٢].

وعن رسالة إقبال الإنسانية العالمية يقول هيكل ( لم يكتفِ إقبال بأن يتجه في رسالته هذِه إلى أبناء وطنه المسلمين في الهند، بل توجه بها إلى مسلمي العالم كافة، وقصد بها أن تكون رسالة عالمية للناس جميعاً حيثما كانوا من أرجاء الأرض[٣].

٤-عباس محمود العقاد (١٨٨٩ ــ ١٩٦٤م):

يرى الأستاذ العقاد أن إقبال يُعدّ رائداً من رواد الفلسفة الوجودية المتدينة لأن فلسفته في الذات شبيهه بفلسفة الوجودية المؤمنة.ولكن إقبال بنى فلسفته الوجودية على الحب والفقر والشجاعة والسماحة[٤].

يقول العقاد في حق إقبال في كلمته الموسومة ( فريضة إسلامية): (وإذا وجب للعظماء حقهم في كل زمن، وإذا كان هذا الحق أوجب ما يكون على الشرق في هذا الزمن، وإذا نظرنا حولنا نبحث عن مثال.. فذلك المثال هو إقبال، وذكرى إقبال)[٥].

---

(١) أحمد حسن الزيات. تحية لذكرى إقبال. ضمن كتاب محمد إقبال. تأليف صفوة من كبار الكتاب. ص٦٤. والزيات أيضاً تحية لشاعر الإسلام في يوم ذكراه. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ٦. السنة الأولى. ١٣٧٢-١٩٥٣. ص٤.

(٢) د. محمد حسين هيكل. إقبال شاعر الإسلام. ضمن كتاب محمد إقبال . ص٤٥-٤٦.

(٣) د. عبد القادر محمود. محمد إقبال والفكر الديني الحديث. مجلة الفكر المعاصر . العدد ١٦. ١٩٦٦. ص٣٣.

(٤) عباس محمود العقاد. تصوف إقبال من الهند ومن الإسلام. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ٥. السنة الأولى. ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م.ص١٤.

(٥) عباس محمود العقاد. فريضة أسلامية . ضمن كتاب محمد إقبال. ص٤١.

**٥- د. عبد الوهاب عزام ( ١٨٩٤ ــ١٩٥٩ م) :**

**إن لعزام الفضل الكبير في تعريف إقبال للعالم العربي، إذ يُعد أول الدارسين والمترجمين لفلسفة إقبال وشعره، وقد أشاد بهذا الفضل العديد من الباحثين والمثقفين الدارسين لإقبال[١] .كان عزام كاتباً ضليعاً وشاعراً رقيقاً وخطيباً مصقعاً وسياسياً فذاً[٢].**

**ومن دواعي سرور وسعادة عبد الوهاب عزام أنهُ التقى بإقبال في جمعية الشبان المسلمين بمصر عام ١٩٣١ في أثناء قدوم إقبال لحضور المؤتمر الإسلامي في القدس واحتفلت الجمعية بالمفكر الرائد، وقدم عزام، إقبال للحضور وقرأ عليهم بعض أشعاره. فسُّر إقبال لذلك وشكر الحضور وعزام على الاهتمام الكبير به[٣].**

**وترك إقبال أثراً كبيراً في نفس عزام، إذ يُعد لدى عزام ــوباعتراف عزام- كالمرشد للمريد وكالأستاذ للتلميذ[٤].**

**وأشار عزام في كتاباته عن إقبال إلى دور فلسفة الذات في بناء الشخصية الإنسانية، ويخاطب عزام، إقبال بقوله:**

**إقبال: يا شاعر الحياة، عرفت معناها، وكشفت عن قواها، وبُصرت بمجراها ومنتهاها.**

**إقبال: يا شاعر النفس، أثرت خفاياها، وأظهرت خباياها، وأبنت ما في(خودي) من كهرباء، فيها القوة والنار والضياء.**

**إقبال: يا شاعر بيخودي، أوضحت كيف يكون الإيثار، وكيف ينظم الفرد في الجماعة[٥].**

---

(١) ينظر: د.نثار أحمد الفاروقي إقبال في العالم العربي. تعريب ولي أختر الندوي. مجلة ثقافة الهند. العدد ٢- ٤ . المجلد ٤٥. ١٩٩٤م. ص١٤٦.

(٢) د. عبد الوهاب عزام. إقبال في مسجد قرطبة. مجلة الوعي ( الباكستانية) العدد ١٩. السنة الرابعة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦. ص١٤.

(٣) ينظر: د. عبد الوهاب عزام. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص٦-٧.

(٤) المصدر نفسه . ص٦.

(٥) د. عبد الوهاب عزام. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص١١.

**ومما قاله عزام في حق إقبال شعراً، في منظومته التي كتبها بحق إقبال[١]:**

**بـيَّن الإقبـال مــن سر الحيـاة وأزال الســتر عــن نــور النجــاة**

**بـيَّن الإقبـال مـن سير الزمـان وأفـاض النـور مــن هـدي القـرآن**

**بث في النفس كلاماً من شرر منهُ عشق الحق في القلب أستعر**

**فتقــت نظراتــهُ كــل حجــاب فـرأى الدوحـة مــن تحـت التـراب**

**٦ـ توفيق الحكيم :(١٩٠٢-١٩٨٧م)**

**قال الأديب توفيق الحكيم في كلمة عنوانها ( إقبال العظيم الكاشف لجوهر الإسلام): (الشاعر محمد إقبال هو مفخرة من مفاخر الشرق في عصوره الحديثة. فهو الخلاصة النقية للمعرفة الكونية النابعة من الشرق، وللمعرفة العقلية الصادرة عن الغرب... لذلك كان إقبال هو بحق المفكر المجدد في فهم الإسلام والكاشف الصادق لجوهرهِ العظيم)[٢].**

**٧ـ فؤاد صروف :**
**في مقال لهُ بعنوان (عبقرية آمرة) يحدثنا صروف عن قيمة فلسفة إقبال يقول فيه: لم تكن فلسفته – أي إقبال – أسئلة عن الحقيقة، بل كانت وصايا لمن يُريد أن يعرف كيف يكون النضال في سبيلها. وكان إقبال متصوفاً، إلا أن تصوفه كان الإقبال على الحياة لا أزدرائها والأزورار عنها، تصوف مواجهة الحياة بالمشيئة الغّلابة وإثبات الذات والتسامي بها عن منزلة القنوع والاستسلام إلى معرفة النفس واتخاذها سبيلاً إلى معرفة الله ومعرفة الكون[٣].**

**٨ـ د. عثمان أمين ( ١٩٠٥ –١٩٧٨):**
**يرى عثمان أمين في إقبال، أنهُ علم من أعلام الإسلام، وقائد من قادة الفكر في الشرق، ورائد من رواد الإصلاح والتجديد في هذا العصر، وأنهُ سيظل من أبرز**

---

(١) د. عبد الوهاب عزام. اللمعات. مطبوع مع ديوان محمد إقبال. رسالة الشرق. مجلس إقبال. كراتشي. باكستان. ١٩٥١م. ص١٦٧.
(٢) د. خالد عباس أسدي. محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات. ص١١.
(٣) فؤاد صروف. عبقرية آمرة. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ١٤. السنة الثالثة. ١٣٧٤هـ –١٩٥٤. ص٤٤.

شخصيات الفكر الإسلامي الحديث إلى جانب شخصية جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي الذين نادوا جميعهم (غفاة البشر) كما قال عمر الخيام وكذلك اهتموا بالجانب الجواني للإنسان[١].

وعن أصالة وقيمة فلسفة إقبال يقول عثمان أمين: ( إن فلسفة إقبال ذات طابع ديني عميق، وهي في جوهرها تمجيد الإسلام وبعث للحياة والقوة في المسلمين، وتبشير لهم بمستقبل مجُد وفخار أذا ساروا في حياتهم على هدى دينهم)[٢].

٩- د. محمد البهي :

درس البهي فكر إقبال وفلسفته وبين دوره في حركة التجديد الإسلامي. وأتفق معه في بعض أفكاره وأختلف مع بعض الآخر[٣]. ويرى البهي في إقبال ( أنهُ فيلسوف مسلم يدعو الفرد نحو بناء ذاته (شخصيته) كي تصل إلى أرقى المستويات وتنال أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة [٤].

١٠-فاروق شوشه:

كتب الكاتب والشاعر فاروق شوشه عن إقبال كلمة بين فيها مدى اعتزازه بشعر إقبال وفلسفته وفكره عنوانها ( إقبال شاعر الحكمة والنضال) قال فيها:

( لشعر إقبال في نفسي مكانة خاصة متميزة. سببها أن هذا الشعر أتيح لهُ من قوة التأثير الروحي، وملامسة الواقع الإنساني، ما جعل منهُ علامة مضيئة في تاريخ الشعر القومي والعالمي كله)[٥].

وأكد شوشه دور فلسفة إقبال في الذات الداعية لرقي الإنسان والأيمان بوجوده الفردي والاجتماعي. فإقبال – كما يقول شوشه - يسعى إلى تحقيق سلطان الله في الأرض من خلال الإنسان الكامل، الذي يحقق من خلال مكابداته ومدارج ترفيه، ذروة

---

(١) د. عثمان أمين. رواد الوعي الأنساني. ص٣-٤.وعثمان أمين أيضاً. رسالة محمد إقبال. ضمن كتاب محمد إقبال. تأليف. صفوة من كبار الكتاب. ص٧٤. وعثمان أمين .رسالة محمد إقبال. مجلة الوعي (الباكستانية) العدد ٥. السنة الأولى. ١٣٧٢هـ –١٩٥٣م. ص١٥-١٦.

(٢) د. عثمان أمين. رسالة محمد إقبال. ص٧٥.

(٣) د. محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث. ص٤٨٢ وما بعدها. ومحمد البهي أيضاً. اتجاهات الفلسفة الإسلامية. بحث ضمن أعمال مؤتمر برنستون. ص٩٦-٩٧.

(٤) د.محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث . ص٤٧٩.

(٥) فاروق شوشه. إقبال شاعر الحكمة والنضال. ضمن كتاب .محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات .ص١٣.

**الكمال التي ليس بعدها ذروة[١].**

**ويقول شوشه : (وستبقى دوماً في الأسماع وفي قرار القلب، أغنيات إقبال المليئة بالصدق الحار المتوهج، وأناشيده الفياضة بتقديس الوجود، وترانيمة المفعمه بصفاء روحه ونقاء وجدانه، واتجاهه الدائب نحو استشراف العالم الأسمى: عالم الحق والحقيقة والخلود)[٢].**

**١١-د. نجيب الكيلاني :**

**درس الكيلاني إقبال وفلسفته وفكره في العديد من مؤلفاته، إذ يُعد من أبرز الذين درسوا إقبال، وسعى إلى تعريفه للقارئ والمثقف العربي، ويعيب الكيلاني على الباحثين والمثقفين العرب عدم معرفتهم بإقبال فيقول: ( أليس غريباً أن تظل بعض مؤلفات الفيلسوف الشاعر الدكتور محمد إقبال- وهو المفكر الإسلامي الأول في عصرنا- أن تظل دون ترجمة ودون تقييم كامل؟؟ وقبل ذلك أليس غريباً ألا نعرف عنهُ إلا نتفاً قليلة حتى عهد قريب، أي عندما قام الدكتور عبد الوهاب عزام بنقل بعض أشعاره وترجمة حياته؟؟ أن إقبال صاحب اتجاه مميز في الفكر والأدب والفلسفة)[٣].**

**فالكيلاني يدعو الشباب المسلم ومثقفيه إلى السير على درب إقبال، وأن يعرفوه ويقرأوا فلسفته الذاتية الراقية وشعره الرقراق. فهو أحد الزعماء العظام وقادة الفكر وأئمة التجديد الإسلامي. ولا بد أن تحظى فلسفته بمزيد من الشيوع والفهم.[٤]**

**وأُعجب الكيلاني بفلسفة إقبال في الذات وتأثر بها، وهو يصفها بأنها فلسفة واقعيه مثاليه، مثاليه لعظمتها وعصمتها وتفردها وشموخها وقوتها وواقعية لأنها الدواء الحاسم لأدواء الأمة الموحدَّة[٥].**

**وكان إقبال في نظر نجيب الكيلاني أحد أولئك القلائل الذين بعثوا النور في سماء**

---

**(١) فاروق شوشه. المصدر نفسه. ص١٣-١٤.**
**(٢) المصدر نفسه . ص١٥.**
**(٣) د. نجيب الكيلاني. .الطريق إلى اتحاد أسلامي. ط١، مكتبة النور. طرابلس –ليبيا. ١٩٦٢م. ص١٢١.**
**(٤) د. نجيب الكيلاني. الإسلامية والمذاهب الأدبية. ط١، مكتبة النور. طرابلس- لبيا. ١٩٦٣. ص٩٤.**
**(٥) د. نجيب الكيلاني. تحت راية الإسلام.ط٣، مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤. ص١١٣-١١٤.**

الشرق[١].

وعن أصالة فلسفة إقبال، يقول الكيلاني: أنها فلسفة أسلامية، تحمل في ذراتها طاقة البعث لهذِه الأمة الراكدة، وأضواء الاستكشاف وأشعة المعرفة التي تزيل الظلمات والغياهب، الناسجة خيوطها حول هذِه الملة البيضاء[٢] .

١٢-الأمير عبد الله الفيصل (١٩٢٣-  )

أهاب الشاعر والأديب الأمير عبد الله الفيصل لفكر إقبال وشعره وفلسفته في كلمته التي كتبها بمناسبة ذكرى إقبال التي عنونها (إقبال بطل خالد) يقول: ( إذا ذكر أعلام الشرق وفلاسفة الإسلام كان الدكتور محمد إقبال في الصف الأول من دعاة الحق، وأعلام الهداية. فقد عاش حياته يدعوا إلى الله على بصيرة ويهيب بالأمة الإسلامية أن تأخذ سبيلها إلى المجد وطريقها إلى السعادة، وجادتها إلى الخلود، بتوحيد الله والأيمان به إيماناً قوياً لا تزعزعه الشكوك ولا يتطرق إليه الريب)[٣].

١٣-د. محمد كمال جعفر :

في دراسة لهُ بعنوان (النبض والحيوية في الفلسفة الدينية لإقبال)، يُبين لنا الأستاذ محمد كمال جعفر عبقرية وعظمة إقبال في جمعه بين جانبين قلما اجتمعا عند مفكر، وهما الجانب المادي والجانب الروحي، العلم والأخلاق[٤].
ويرى جعفر أن فلسفة إقبال فلسفة أسلامية أصيلة نابعة من القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة، ومن عقل ووجدان إقبال النيريين.
ويختم كلامه بقوله: ( إن علينا نحنُ العرب واجباً ثقافياً وحضارياً نحو أعادة دراسة إقبال بلا تحفظ أو أفكار مسبقة وسنرى أن الحياة الإسلامية المعاصرة تجني الكثير من هذِه الدراسة بشرط ألا يصَّر هؤلاء المتعنتون على استهجان هذِه النزعة أو تلك من

(١) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر . ص٥.
(٢) المصدر نفسه. ص٤٧.
(٣) شاعر الإسلام محمد إقبال. مجموعة ما كتبه أدباء المملكة العربية السعودية وشعراؤها بمناسبة يوم إقبال. مطابع دار الأصفهاني. جدة ١٩٥٧. ص٦.
(٤) د. محمد كمال جعفر. النبض والحيوية في الفلسفة الدينية لإقبال. ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات. ص٤١-٤٢.

**النزعات الروحية[١].**

**١٤- د. جورج طعمة :**

**درس جورج طعمة فلسفة إقبال وبين قيمتها ومدى أصالتها، ورأى بأن إقبال كان أصيلاً في فلسفته، كبيراً في أدبه.**
**ويقول عنهُ: إن تفكير إقبال كان تفكيراً إبداعياً أصيلاً، على الرغم مما قد يجد الباحث في دعوته من تناقضات أحياناً لا يخلو ولم يخلُ منها أي مفكر متطور نام يستجيب لنداء كل مشكلة من المشاكل التي تجابهه. أقول أنهُ كان أصيلاً لأنهُ لم يردد بسطحية ما درسهُ من مذاهب فلسفية في الغرب، بل أخذها ومحصَّها ودققها وخرج منها بمذهب لا يخلو من جدة ولا يخلو من إبداع[٢].**

**١٥-أحمد خالد:**
**يقول أحمد خالد عن فلسفة إقبال ودورها في إنارة الذات الإنسانية وبناء السلوك القويم: ( يفضل فلسفته الحركية البناءة وروحه الصوفية الطيبة، وأرادته الحياة، أستطاع محمد إقبال أن يؤلف إنسجاماً رائعاً بين القيم الشرقية والغربية. فقد غرف من معين الثقافة الغربية حتى ارتوى ... ثم فهم حق الفهم تاريخ الفكر والحياة في الإسلام. ومن هذا الخضم الزاخر شيد هيكلاً فلسفياً متيناً هو هيكله الخاص ومذهبه الطريف[٣].**

**١٦- د. حسين مجيب المصري :**

**المصري من أشد المعجبين بإقبال وبفلسفته الذاتية وشعره الجذاب، الذي ينقل الإنسان إلى مدارات لولبية ترتفع شيئاً فشيئاً داخل مناطق عالمه الخاص- أي عالم إقبال- كما يقول هرمان هيسة[٤].**
**وقدم المصري دراسات وترجمات عديدة لحياة إقبال وشعره وفلسفته**

---

(١) المصدر نفسه. ص٤٩.
(٢) د. جورج طعمة. فلسفة إقبال. مجلة الفكر (التونسية) العدد٢. السنة العاشرة. ١٩٦٤. ص١٦. ود. جورج طعمة أيضاً. إقبال المفكر المجدد مجلة الأديب (اللبنانية) العدد ٩. السنة الثانية عشرة. ١٩٥٣. ص١٦-١٩.
(٣) أحمد خالد. شخصيات وتيارات. ط٢، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.ب.ت. ص٢١٠.
(٤) مجلة فكروفن. عدد ٣٢. العام ١٦. ١٢٩٧٩. ص١. وينظر أيضاً: مجلة فكروفن. العدد ٤٥. العام ٢٤. ١٩٨٧. ص٩٨.

ومؤلفاته وقد أُعجب بفلسفتهِ في الذات، وأخذ على عاتقه نشر وبث هذِه الفلسفة فيما يكتبه، فكان المصري أحد مُريدي.

فالذاتية جوهر الحياة وأسس نظامها وهي تستمد كيانها من تجديد الرغائب وخلق الأماني[١] يقول المصري واصفاً شيخه وأستاذه إقبال أذا (قرأنا إقبال في أي كتاب من كتبه ، وأخذنا عنه في أي فكرة من أفكاره ، تمثلناه حاملا للكتاب في صدره وعقله في وقت معاً وعلى نحو خاص به لا نجد لهُ المثيلُ مشهوداً ولا معهوداً عنهُ سواه ، وهذا ما يجعل له درجة على قادة الفكر وأصحاب الرأي والمثقفين بخلجات الروح من المسلمين في الأولين والآخرين)[٢]

١٧-عاطف العراقي:

قدم العراقي دراسة عن إقبال بعنوان (الشاعر إقبال وقضية التجديد) عرض قيها لفكره وفلسفته في الذات ، وبين مدى إعجابه بهذه الفلسفة وبحركة إقبال التي تمثل حركة تقدمية نهضوية تسعى إلى بناء الفرد والمجتمع بناء راقياً عالياً ، ويرى العراقي أن فلسفة إقبال كانت رد فعل للأحوال السائدة في عصره التي وجد من واجبه نقدها[٣] ويقول العراقي : (وإذ كان محمد إقبال قد اهتم اهتماماً رئيسياً في مؤلفاته ورسائله بقضية التجديد ، فأنه يمكن القول بأن نقطة البداية في فكرة لبفلسفي حول التجديد ، إنما تتمثل في الذاتية، إن بداية التفكير نحو قدرة الله في ذات الإنسان فمن عرف نفسه فقد عرف ربه ، لقد أراد محمد إقبال أن يبتدئ الطريق من ذاته بحيث ينطلق إلى الله تعالى، فالله غاية الغايات ومنتهى الآمال)[٤]

ويختتم العراقي قوله في إقبال وإعطاء راية فيه بقوله (وإذا درسنا الحركات التجديدية في عالمنا الإسلامي، فلابد أن نضع مفكرنا العظيم محمد إقبال في مكانة كبيرة ، لقد كان محمد إقبال معبراً عن عظمة الفكر، كان معبراً عن أراء غاية في الدقة سواء أبعادها النظرية أو أبعادها العلمية، ومن هنا فانه يعد عن طريق أفكاره الرائعة المثمرة

---

(١) محمد إقبال . ديوان هدية الحجاز . تر : حسين مجيب المصري . هامش ص٩١.
(٢) د. حسين مجيب المصري : إقبال والقران . ضمن كتاب لإقبال قصائد مختارة ودراسات . ص٧١.
(٣) د. عاطف العراقي . الشاعر محمد إقبال . قضية التجديد . ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات ص٣٤.
(٤) المصدر نفسه .ص٣٤

داخلاً في تاريخ التجديد من أوسع الأبواب)[1]

١٨-د. حسين علي محفوظ :*( ١٩٢٦-  )

في دراسته التي قدمها بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد إقبال التي عنوانها ( نظرة في تراث إقبال) قدم لنا حسين علي محفوظ عرضاً وافياً لفكر إقبال وفلسفتهِ وشعره، وكان محفوظ يرى في إقبال، قائداً ومفكراً، وسياسياً وفيلسوفاً. يسعى إلى بناء الإنسان في ظل الدولة الفاضلة.

يقول محفوظ في حق إقبال أنهُ (رزقُ من الاحترام والتقدير أن الملايين من المسلمين في شبه جزيرة الهند يعتقدون فيه ما تعتقده الأمة في المرشد الملهم، والباحث المحرر، والقائد الرائد، والمفكر المصلح، والسياسي الموجه، والفيلسوف المنقذ).

ويرى محفوظ، أن فلسفة إقبال في الذات، دعوة لبناء الإنسان والأخذ بيديه نحو عوالم سامية، فالإنسان هو خليفة الله وهو نقطة الإشراق في ضمير الآفاق. وهو مظهر تجلي الرب الذي خلق الإنسان على صورته ليطيعه فيكون مثله، وهو الأنموذج الأصغر للعالم الأكبر، تنطوي فيه مئات العوالم والأكوان والأسرار[2].

ولعظمة إقبال وفلسفته وشعره يقول محفوظ : (والحق أن إقبال هو خلاصة ثلاثة عشر قرناً من تاريخ الإسلام في الهند . وهو امة في ثياب رجل وهو رجل أحيا أمة، رحمه الله)[3]

١٩-عبد القادر محمود:

عرض الأستاذ عبد القادر محمود في العديد من مؤلفاته لفكر وفلسفة إقبال، ودوره في الفلسفة والتصوف الإسلاميين المعاصرين، وعرض لفلسفة الذات وفكرة الإنسان الكامل عند إقبال وما أحدثته من ثورة في تاريخ الفكر الإسلامي، أدت إلى ثورة

---

(١) المصدر نفسه ص٤٠

* باحث ومحقق ومفكر عراقي، جاوزت أعماله المنشورة ألف كتاب ودراسة ومقالة.

(٢) المصدر نفسه. ص١٥٥.

(٣) المصدر نفسه .ص١٥٦

الصوفية ضد إقبال وفلسفته الذاتية لما تحمل من رفض للتصوف العجمي (السلبي) الذي عليه الكثير من الصوفية[١].

ويرى عبد القادر محمود أن فلسفة الذات عند إقبال تمثل روح فلسفته في توكيد الذات، وبنظريته هذِه وفلسفته يهدم كل نظريات وحدة الوجود بكل مفهوماتها المنفصلة عن روح التوحيد الإسلامي[٢].

وإن غاية فلسفة إقبال هي بلوغ أعلى درجات الرقي الإنساني، وهذا لا يكون إلا بوجود نائب الحق، وهو أكمل ذات تطمح أليها الإنسانية، وحكومته هي حكومة الله[٣].

ويدعو الأستاذ عبد القادر إلى نشر فلسفة إقبال بين أكبر عدد ممكن من الناس، ليغرفوا من عطاء إقبال الثري، وليسعوا إلى بناء ذواتهم، للحصول على الكمال الإنساني الذي لا يكون إلا بالتربية والسلوك، ويقول عن إقبال : (وما أحرانا نحنُ أبناء عصره أن نلتفت إلى فلسفته. ما أحرانا أن نلتفت التفاته ايجابية)[٤].

٢٠- د. أحمد معوض :

يُعُّد الأستاذ معوض من أبرز الباحثين الذين اهتموا بدراسة حياة إقبال وفكره، ففي كتابة (العلاّمة محمد إقبال حياته وأثاره) يقدم لنا دراسة كبيرة وجليلة ويعرض لمعلومات قيمة عن حياة إقبال وفكره.

ويدرس معوض فلسفة الذات عند إقبال دراسة وافية ويقارنها مع الفلسفات الأخرى، وعن أصالة فلسفة إقبال يقول معوض: ( وما من شك في أن فلسفة إقبال أصيلة في عالم الفكر والشعر، وتُعد جانباً هاماً من الفلسفة الإسلامية المعاصرة)[٥].

ويقول معوض أن جميع أفكار إقبال وآرائه الأخرى ليست إلا روافد ونتائج لنظرية

(١) د. عبد القادر محمود. الفلسفة الصوفية في الإسلام . ص٦٧٣.
(٢) د. عبد القادر محمود. الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث . المبحث الثاني والثالث. ص٤٠٣.
(٣) د.عبد القادر محمود. مذاهب وأفكار في الفلسفة والفن. ص٣٥٨.
(٤) د. عبد القادر محمود . الفلسفة الصوفية في الإسلام . ص ٦٧٧.
(٥) د. أحمد معوض . العلاّمة محمد إقبال. ص٣٣٢.

الذات[1].

## ٢١- د. حميد مجيد هدو:*( ١٩٤١ - )

يُعدُّ كتاب حميد مجيد هدو من أبرز وأشهر المؤلفات والدراسات التي كُتبت بحق إقبال- في العراق- إذ عرَّف هذا الكاتب إقبال إلى المثقف العربي، وبين فكره وشعره وفلسفته ودورها في نهضة الأمة الإسلامية.

ويرى الأستاذ هدو أن إقبال (من نوادر الرجال الذين لم يخلقوا لأوطانهم فحسب، بل خُلقوا للإنسانية جمعاءُ، لينيروا طريق سعادتها، وتقدمها، ولينقذوها من هاوية الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تنخر كيانها إلى عالم سعيد ترفرف عليه أجنحة الحرية والعدالة والمحبة والسلام)[2].

ويدرس هدو فلسفة الذات عند إقبال ويرى بأنها فلسفة تدعو إلى الحرية والانطلاق ودوام الحركة واستمراريتها في الحياة[3]. ودعوة إلى تحقيق الكمال الإنساني وبناء الشخصية السليمة في ظل الظروف السقيمة والفوضى والاضطراب والانحطاط الذي يُلاحقنا في كل مكان، وهي دعوة إلى الحياة الصحيحة، كما يجب أن تكون، وكما أراد الله لها أن تكون. ودعوة إلى الانفتاح، وإطلاق قوى وطاقات الإنسان الخلاّقة[4].

## ٢٢- د. كامل مصطفى الشيبي:*( ١٩٢٧- ٢٠٠٦)

لقد أشار الشيبي في أكثر من مؤلف لهُ، إلى دور إقبال في التصوف المعاصر، إذ لم يكن تصوف إقبال تصوفاً سلبياً تقشفياً، بل كان تصوفاً ايجابياً يدعو إلى بناء الذات وصولاً إلى مرتبة الإنسان الكامل.

ويقول الشيبي: (ويمكن اعتبار المرحوم إقبال صوفياً من طراز جديد وأصيل يتمثل في فلسفة الذات التي حاول فيها أن يجمع بين الفكر التطبيقي المجرد على صورة

---

(١) المصدر نفسه. ص٣٢٩.
* باحث ومحقق ومفكر عراقي.
(٢) د. حميد مجيد هدو. إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان . ص٩.
(٣) المصدر نفسه. ص٧٩.
(٤) المصدر نفسه. ص٧٦-٧٧.
* باحث ومحقق ومفكر عراقي، أهتم بالتصوف الإسلامي.

أقرب إلى التصوف، وحاول أن ينفذ إلى أعماق الذات الإنسانية على الأسلوب الصوفي ويخضعها لبرنامج يُزيل عنها تراكم السنين ويصفيّها من أشكال النقص الموروثة... وأول ما أرتاه إقبال في موضوع تطوير النفس الإنسانية الأعراض عن العزلة والانطواء والإقبال على الانفتاح على العالم، والالتزام بالايجابية المطلقة التي تتمثل في مواجهة الصعاب وإيجاد الحلول اللازمة لها[١].

٢٣- د. علي زيعور :

في كتاب ( الفلسفات الهندية ) يعرض زيعور لدور إقبال وأثره في الفكر الفلسفي الإسلامي، ويقول عن إقبال: إقبال صاحب مذهب فلسفي يستمد جذوره من الإسلام، ويتنور بالفكر الفلسفي الغربي، وهو صرح فكري ديني عقلي معاً. وبحسب تعبيرنا عقليماني... يبقى محمد إقبال عبقرية قلَّ نظريها في العالم الإسلامي الراهن. أنهُ أكثر من مصلح، وأكثر من داعية للإسلام وللذات الإسلامية، أنهُ فيلسوف من ذلك النوع الذي يعطي للفيلسوف في الثقافة الإسلامية وفيلسوف من النمط اللبرالي الحر، المجدد والمؤمن بالعقل وبالإنسان وبالإنسانية[٢].

٢٤- خالد محمد خالد:

أثنى الأستاذ خالد محمد خالد على أدب وفلسفة شاعر الهند وباكستان وفيلسوفها الكبير في كتابة ( أفكار في القمة) ودراسته عن إقبال في هذا الكتاب بعنوان (مع إقبال في فلسفته الدينية)، إذ بين دور إقبال وأثره في أغناء الفكر الديني والفلسفي الإسلامي ودور الدين عند إقبال في بناء الذات الإنسانية[٣].

٢٥- د. محسن عبد الحميد:
عدَّ الأستاذ محسن عبد الحميد، محمد إقبال أحد أئمة التجديد الإسلامي وذلك في كتاب ( من أئمة التجديد الإسلامي). إذ يعرض لفكر إقبال وفلسفته وصوفيته.

---

(١) د. كامل مصطفى الشيبي. صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي. ط١، دار المناهل . بيروت. ١٤١٨هـ – ١٩٩٧. ص١٨٣. وينظر أيضاً عن إقبال : د. الشيبي. الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً. ص٦٧-٦٩. ود. الشيبي شرح ديوان الحلاج. ص٩٧.
(٢) د.علي زيعور . الفلسفات الهندية .ط١ ، دار الأندلس . ١٩٨٠.ص٤٢٢.
(٣) ينظر: خالد محمد خالد. أفكار في القمة . مكتبة وهبة. بغداد ١٩٥٩. ص٩١ وما بعدها

وفي فلسفة الذات يقول عبد الحميد ( إن دعوة إقبال إلى تقوية الذات الإنسانية ليست دعوة إلى الأنا والعجب والأنوية وما يتصل بها وإنما هي دعوة لأحياء حقيقة الإنسان الذي جعلهُ الله خليفة في الأرض، لأحيائها واستثمارها وإنشاء الحياة والتقدم فوقها)[١].

ويرى عبد الحميد أن السبب الأساسي الذي دفع إقبال للدعوة إلى تأكيد الذات أنهُ وجد المسلمين قد تخلفوا كثيراً عن ركب الحياة، لقد أراد إقبال أن يدفع الإنسان المسلم إلى الحركة والعمل والبناء ووضوح الشخصية بإثبات الذات[٢].

وأُعجب محسن عبد الحميد بفلسفة إقبال النهضوية التجديدية وبنزعته العالمية وهو الذي دعا إلى بناء الشخصية السليمة من خلال فلسفة الذات[٣].

٢٦-د. طه عبد الرحمن :

في كتابه ( سؤال الأخلاق ) أشاد الأستاذ طه عبد الرحمن بفكر إقبال العملي، ودعوته إلى إقامة فلسفة أخلاق جديدة، قائمة على تربية الذات، وعلى التراث الأصيل، ومواكبة حركات التقدم والازدهار المعاصرة، فهي دعوة إلى الأصالة والمعاصرة. إن هدف إقبال- كما يراه طه عبد الرحمن- هو العناية بمفهوم العمل في الإسلام، وتجديد الفلسفة الدينية الإسلامية[٤].

ويقول الأستاذ طه في حق إقبال: (كان محمد إقبال- رحمه الله- أحد المفكرين المعاصرين البارزين الذين قاموا باستثمار الثقافة الإسلامية الأصيلة في التعامل مع الثقافة الغربية)[٥].

٢٧-عبد المعين الملوحي :

قدّم الأستاذ الملوحي خدمة جليلة للثقافة العربية، وهي ترجمته لديوان إقبال (جناح جبريل) من الفرنسية إلى العربية. وقدم في مقدمة الديوان نبذه عامة عن حياة إقبال

---

(١) محسن عبد الحميد . من أئمة التجديد الإسلامي . ص٧٨.
(٢) المصدر نفسه. ص٨٢.
(٣) د. محسن عبد الحميد. تجديد الفكر الإسلامي. سلسلة قضايا الفكر الإسلامي. (١٠) المعهد العالمي للفكر الإسلامي. هيرندن- فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية. ١٤١٦- ١٩٦٦م. ص١١٠.
(٤) طه عبد الرحمن .سؤال الأخلاق. ص١٩٨.
(٥) المصدر نفسه. ص١٩٨.

وفلسفته، وهو من المعجبين بفكر وفلسفة إقبال –فلسفة الذات- التي تسعى إلى بناء الذات الفردية وتحصين الشخصية وبلوغ الكمال.

ويرى الملوحي في إقبال ما يأتي :[١]
١- أن إقبال مؤمن شديد الأيمان، ومسلم من طراز رفيع.
٢- أنه إنسان عظيم يحب الإنسان ويدافع في قوة وحزم عن حريته وكرامته وحقه.
٣- إنهُ صوفيُ معتدلُ يُريد من الصوفية أن تكون درباً للعمل والقوة والرفعة.
٤- إنهُ شاعرُ كبيرُ جعل شعره أداة للتحرير والثورة ووسيلة للفكر المبدع والحياة الراقية.

٢٨- د. علي حسون :

لفلسفة الذات الأقبالية صدى واثر كبير في نفوس المثقفين المسلمين والعرب، إذ إنها تعُد فلسفة –يمكن أن نسميها بـ(سايكوسيسلوجية) وهذا هو الذي دفع الدارسين والمفكرين إلى الاغتراف من معين فلسفة إقبال النهضوية الشخصانية.
والأستاذ علي حسون أحد الذين شربوا من عين إقبال النابضة بالحيوية ويعترف لإقبال بذلك ويقول: ( وأنت يا إقبال يا من حركت مشاعري من روعة شعرك، وأججت عواطفي من قوة لحنك... يا من اقتبست من الحكمة والتدين والعرفان والفطرة نوراً. طربت روحي من سماع شدوك)[٢].

ويعرّض علي حسون فلسفة الذات ويبن مدى أهميتها ودورها على الجانبين الفردي والاجتماعي، وإنها تمثل عملية جذب للإنسان ليصبح أنساناً فاضلاً، وهذا لا يكون إلا بالمجاهدة والاجتهاد. فما أروع هذِه الفلسفة وما أحوجنا إلى فهمها وإستيعابها والعمل بها[٣].

(١) محمد إقبال. ديوان جناح جبريل. تر: عبد المعين الملوحي. مقدمة الديوان بقلم عبد المعين الملوحي. ص٧٩.
(٢) د. علي حسون. فلسفة إقبال. ص٦.
(٣) المصدر نفسه. ص١١٣.

**٢٩- د. عبد العزيز المقالح:-* (١٩٣٧-  )**

**يقدم الأستاذ المقالح سلسلة من الدراسات عن محمد إقبال في مجلة (دراسات يمنيه) يتناول فيها العديد من القضايا والأفكار التي تخص فكر إقبال وأدبه وفلسفته.**

**وقد رأى المقالح في إقبال بأنهُ فيلسوف وشاعر الإسلام والثورة الاجتماعية، وأنهُ ناضل من أجل قيام مجتمع أسلامي تختفي فيه الطبقات ويتساوى فيه الناس فوق أرض الله وتحت سمائه[١].**

**أما ما يخص فلسفة الذات، فالمقالح يرى بأن هذِه الفلسفة قد تعرضت للطعن والتجريح من قبل الدارسين أو المتلقين، والسبب في ذلك يرجع إلى رداءة وصعوبة الترجمة من لغة إلى أخرى، وهذا ما أدى إلى اختلاف الباحثين بشأن مسألة الذات وسوء فهمها وتعريفها[٢].**

**وتقيماً لفلسفة إقبال الذاتية يقول المقالح إن هذِه الفلسفة (خرجت مشبعة بروح العقيدة الإسلامية ومستفيدة من فلسفات العصر، وجاءت بعد عصور الأنسحاق والتدهور لكي تعيد إلى الشخصية الإسلامية. قبس التحدي والمواجهة في غير ما تعال أو كبرياء... وقد لاحظ إقبال ذلك فجعل فلسفته تشتمل على بعد صوفي ايجابي يقوم على الجمع بين الزهد من مطامع الحياة والحرص على أداء دور عظيم لا يقف عند حدود)[٣].**

**٣٠-ميلود خلف الله:**

**في دراسته عن إقبال التي عنوانها ( النزعة التجديدية عند محمد إقبال) قام الباحث الجزائري ميلود خلف الله بإبراز دور إقبال بوصفه رائداً من رواد حركة التجديد الإسلامي، وما لنزعته التجديدية من أثر في المسلمين، وهي دعوة لبناء الإنسان والمجتمع بناءً يقوم على الجمع بين التراث والمعاصرة. وقد توسع الباحث في عرض أفكار وآراء إقبال في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف الإسلامي. ويرى ميلود أن فلسفة الذات تمثل رسالة إقبال وجوهر نزعته التجديدية [٤]. وإن فلسفة الذات تمثل نتاجاً وإفرازاً لثقافة إقبال المتعددة المصادر ، وكانت الثقافة اللاسلامية هي أعمق واشر**

---

* شاعر وناقد أدبي يماني، ورئيس جامعة صنعاء.

(١) د. عبد العزيز المقالح. إقبال الإسلام والثورة الاجتماعية .مجلة دراسات يمينية. العدد٥٣. ص١٥-١٦.

(٢) د. عبد العزيز المقالح. إقبال ومعركة التحديث والتواصل. مجلة دراسات يمنية. العدد ٥٤. ص٩.

(٣) د. عبد العزيز المقالح. إقبال ومعركة التحديث والتواصل . ص١٢.

(٤) ميلود خلف الله . النزعة التجديدية عند محمد إقبال . ص٨٢-١٢٤ .

مصدر تركت أثرها فيه لبناء هذه الفلسفة[1] .

وبعد ما ذكرنا أراء المفكرين والمثقفين والأدباء العرب في أدب محمد إقبال وفكره وفلسفته، وما قدمتهً الثقافة العربية من أوسمة الشرف والفخار لفيلسوف الإسلام، لا بد من أعطاء رأينا في إقبال وفلسفته الذاتية.

محمد إقبال شاعر أسلامي كبير، وفيلسوف أنساني شهير، استطاع أن يُنشيء ويبني في ظل ظروفه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية السيئة،فكراً عظيماً، وفلسفة نهضوية، تربوية، تقدمية، تجديدية، متجاوزاً كل هذِه الظروف ليقدم ثمرة مرضية لمجتمعه الذي عاش فيه وللمسلمين جميعاً.

ولفلسفة إقبال في الذات الدور الكبير في دعوة الإنسان المسلم لأن يبني شخصيته ويُقوم سلوكه، كي يصبح أنساناً فاضلاً أولاً ويصير مجتمعه إنسانياً كاملاً ثانياً. تلك الفلسفة الحيوية الخلاقَّة التي يقول عنها. د.حسن حنفي، أنهُ لما قرأ فلسفة إقبال في الذات أحس ولأول مرة (بالرجفة الفلسفية ونشوة المستقبل)[2]، وهكذا نرى نحنُ في فلسفة إقبال التي تعُد نقطة تحول كبير في تاريخ الفكر الإسلامي.

---

(١) المصدر نفسه . ص١٢٢ .

(٢) د. حسن حنفي. دراسات أسلامية.ط١، دار التنوير. بيروت. ١٩٨٢. ص٢٦٨.

# الفصــل الثالث

## المبحث الثاني
### إقبال في الثقافة الغربية

درس إقبال في الجامعات الغربية، ونمت ثقافته هناك، وتأثر بفلاسفة ومفكرين غربيين، كان لهم صدى كبير في بلاد الغرب. وأُعجب إقبال بجوته ونيتشه وبرجسون ووايتهد، وبأساتذته توماس أرنولد ومكتجارت. وجميع هؤلاء وجد فيهم ضالته في الذات.

وكتب قصائد عديدة في دواوينه تحمل أسماء هؤلاء المفكرين والقادة والأدباء، ففي ديوانه (بيام مشرق) الذي كتبه جواباً على ديوان الشاعر الألماني جوته وهو (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) كتب في هذا الديوان قصائد عديدة بحق فلاسفة الغرب وقادته، فيقول في نيتشه[1]:

ثار من ضعف الأناسيّ قلبهُ فبرى الخلق المكمل لبُّه

فتنة في الغرب من ذي جنون كان في الدار الزجاجي ضربه

ويقول عن الشاعر الإنكليزي بايرون[2]:

منه للخضر لا تلهب صدري فبماء القلب كأسي أملأ

ويكتب عن فلاسفة كبار مثل لوك وكانت وجوته وهيجل وبرجسون، فيقول في لوك[3]:

فارغ الكأس أتى الروض شقيق يملأ الأكواب من شمس الضحى

وعن عمانوئيل كانت يقول[4]

فطرة ضاءت شراباً ولها نجم كأس من حريم الأزل

(١) محمد إقبال. ديوان رسالة الشرق. ص١١٨.
(٢) المصدر نفسه. ص١٢٥.
(٣) محمد إقبال. ديوان رسالة الشرق. ص١٢٤.
(٤) المصدر نفسه. ص١٢٤.

ويقول عن هنري برجسون[1]:

ما لهُ من أزل خمر وكأس  ناره من حرقة القلب الشقيق

صحيح أن إقبال أُعجب بالحضارة الغربية وثقافتها، إلا أنهُ رأى أنها تنقصها العفة والطهارة والجانب الروحي، فلو أنها جمعت بين الجانب المادي والروحي لأصبحت حضارة وأمة راقية، لكنها للأسف غارقة في المادة، فيقول إن الحياة الإنسانية لا تستقيم ولا تتزن إلا أذا جمعت بين النفي والإثبات، بين الجحود بالزائف الباطل والأيمان بالحق الثابت، وتلك هي الكلمة الجامعة التي كانت شعار الإسلام وعقيدته :لا اله إلا الله[2].

ويقول إقبال أيضاً: ( أن مثالية أوربالم تكن أبداً من العوامل الحية المؤثرة في وجودها، ولهذا أنتجت ذاتاً ضالة أخذت تبحث عن نفسها بين ديمقراطيات لا تعرف التسامح، وكل همها استغلال الفقير لصالح الغني، وصدقوني أن أوربا اليوم هي أكبر عائق في سبيل الرقي الأخلاقي للإنسان)[3].ويخاطب إقبال الغربيين بقوله: ( ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها)[4].

وينتقد شيوعة ماركس التي تركز على الجانب المادي، وتهمل الجانب الروحي، فيقول (أما الشيوعية، يا عزيزي فأن مصدرها ذلك الإسرائيلي، الذي خلط الحق بالباطل، وآمن قلبه وكفر عقله، أن الغربيين فقدوا القيم الروحية، والحقائق الغيبية، وذهبوا يبحثون عن الروح في (المعدة)... إن الأخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون، إنما تقوم على محبة القلوب وألفة النفوس)[5].

إن رغبة إقبال كانت في نقد وتمحيص كل ما يأتي من الغرب، لأن الغرب فاقد للجانب الروحي، وفاقد الشيء لا يعطيه، فعليه أن يُغذي نفسه غذاءً روحياً يوصله إلى خير المصير.

---

(١) المصدر نفسه. ص١٢٤.
(٢) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال .ص٩١.
(٣) محمد إقبال. تجديد التفكير الديني في الإسلام. ص٢٠٧.
(٤) محمد إقبال. ديوان ضرب الكليم. ص.ت.
(٥) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال. ص١١٣.

وعلى الرغم من نقد إقبال للحضارة الغربية ومحاولته تقويمها فقد أُعجب به العديد من المفكرين والأدباء الغربيين، وراحوا ينشرون شعره وفكره وأسمه بين الناس، والسبب في ذلك أن إقبال في دعوته لبناء الذات، كان يدعو إلى بناء الإنسان، الإنسان في كل مكان، الأبيض والأسود، الشرقي والغربي.

وعنهُ يقول كلُ من هـ. أ. ر. جب، ولويس ماسنيون (كانت رغبة إقبال في فلسفة الذات هي في الرجوع إلى الدين الإسلامي الذي فيه دستور الحياة الدنيا والآخرة، ولهذا فقد أحب إقبال الإسلام حباً عميقاً وقوياً. ولهذا كانت دعوته إنسانية عالمية. وأثرت في المسلم وغير المسلم)[1].

ولعالمية فلسفة إقبال وإنسانيتها، راح المفكرون والدارسون الغربيون يقُيمون الدراسات عنه ويترجمون أعماله، وكانوا من السباقين في تعريفه للقارئ الغربي، فأُعجب بإقبال أساتذته وأبرزهم، توماس أرنولد، ومكتجارت. وكانت لهُ علاقات واسعة مع براون* ونيكلسن**وديكسون*** .

ومن وراء جبال الهملايا وخلف التلال والهضاب يسارع أحد علماء روسيا ليلتقي بإقبال وينقل عنهُ مبادئه وأصول فلسفته التي أودعها ديوانه (أسرار الذات).

أما في ألمانيا فقد قام الأستاذ دايشو روسو، والدكتور فيشر صاحب مجلة (أسلاميكا) والشاعر الألماني الفيلسوف هانسي، والأديب هرمان هسه، هؤلاء جميعاً ترجموا لإقبال وكتبوا عن شعره وفلسفته وقارنوا بينه وبين جوته ونيتشه، وكانت في ألمانيا جمعية أسمها (جماعة إقبال) تشرف على ترجمة آثاره، ونشر فلسفته في ربوع البلاد وبين العباد[2].

كما قامت المستشرقة الألمانية (آنا ماري شيمل) بترجمه آثار إقبال، فترجمت

---

(١) هـ. أ. ر. جب. ولويس ماسينون. وجهة الإسلام . تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط١، المطبعة الإسلامية. القاهرة. ب.ت. ص١٢٨-١٢٩.

* أدوارد جرانفيل براون (١٨٦١-١٩٢٦م) مستشرق إنكليزي.

* * رينولد ألن نيكلسن. (١٨٦٨ ــ١٩٤٥) مستشرق إنكليزي وعالم بالتصوف الإسلامي.

* * * لم نجد لهُ ترجمة، ولكنهُ كان أحد الذين تعرف عليهم إقبال في كامبرج.

(٢) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر. ص٣٣.

ديــوان (جناح جبريل) وقدمت لهُ دراسة قيمة[١].

وترجمت ديوان ( رسالة المشرق) وديوان ( رسالة الخلود) إلى الألمانية، وقامت بنــشر الــدراسات والمقــالات عــن إقبــال وفلــسفته وفكــره فــي الصــحف والمجــلات الألمانية، ومنها مجلة (فكر وفن).

وفي إنكلترا قام براون ونيكلسن وأرثر أربري بترجمة أعمال إقبال والإشادة بعظمة فلسفته الشرقية الإسلامية الإنسانية. وقام أيضاً المستشرق هاملتون جب بدراسات قيمة لفكر إقبال وأوضح مدى إعجابه بهذا الفيلسوف الكبير[٢].

وهكذا فعل (أسكاربا) في ايطاليا. و(ماكنزي) في أمريكا[٣]. وترجمت أعمال إقبال إلى العديد من اللغات العالمية الحية، كالإنكليزية والألمانية والتركية والفرنسية والأسبانية والأندنوسية وغيرها من اللغات فضلاً عن اللغة العربية الأم.

كما أهتم الفرنسيون بترجمة أعمال إقبال ودراسة فلسفته. فقامت الباحثة أيفا ميردفتش بترجمة كتاب إقبال (تجديد التفكير الديني ) إلى الفرنسية وقدم لهذا الكتاب الأستاذ ماسنيون مقدمة جليلة بين فيها عمق ورصانه فكر إقبال، كما ترجمت ديوان (رسالة المشرق) وديوان(رسالة الخلود)[٤].

وهذا بعض ما قاله المفكرون والأدباء والباحثون الغربيون في حق إقبال وفلسفته الذاتية.

١-هرمان هسه : (١٨٧٧- ١٩٦٢م) Hermann Hesse

قال الأديب والمفكر الألماني هرمان هتسة في حديثه عن فيلسوف الشرق إقبال: (مسلم كشميري الأصل مثقف بالقرآن وبالفيدانتا، وبالتصوف الفارسي- العربي، وفي الوقت نفسه متأثر بالفلسفة الغربية وقضاياها، عارف ببرجسون، ونيتشه، يقودنا في ممرات لولبية، ترتفع شيئاً فشيئاً داخل مناطق عالمه الخاص. لم يعد متصوفاً

---

(١) ينظر: Annemarie Schimmel .Gbriel's Wing .
(٢) ينظر: هـ - . أ.ر .=جب . الاتجاهات الحديثة في الإسلام. ص١٠٩-١١٧.
وينظر أيضاً:, .H.A.R. Gibb. Mohammedanism. P.185
(٣) د. نجيب الكيلاني. إقبال الشاعر الثائر. ص٣٣.
(٤) د. أحمد معوض. العلامة محمد إقبال ص. ٢٤٣ وص٢٦٢.

ولكنهُ أخذ العهد على جلال الدين الرومي، ولم يعد من أتباع هيجل أو برجسون، ولكنهُ ظل فيلسوفاً متأملاً، إن قوة إقبال تنبع من مجال آخر، من الدين والأيمان، فهو تقي صالح، قد نذر نفسه لله، ولكن إيمانه ليس إيمان الأطفال، وإنما إيمان رجل مجاهد، وجهاده ليس جهاداً من أجل الله فحسب وإنما من أجل العالم أيضاً، فأن عقيدة إقبال موجهة للجميع، وأمنية أحلامه هي إنسانية متحدة تحت راية الله وفي خدمته)[١]. هكذا يرى هسة الرجل الغربي، في إقبال الرجل الشرقي.

٢-هانس – هاسو فولتهايم :- Hans – Hasso Von Veltheim

قال هانس – هاسو في أثناء مقابلته الأخيرة مع إقبال، وكان ذلك في الساعات الأخيرة لإقبال، قال كان إقبال (نجماً كبيراً في العالم الأسيوي.. كان إقبال فيلسوفاً وشاعراً فوق العادة، وكان موته في الهند خسارة قومية كبيرة، كما أحزن جميع المسلمين في العالم)[٢].

وقد أُعجب هاسو بإقبال وفكره كثيراً، ورأى أن من حسن حظه أن يكون الرجل الأخير الذي يحل عليه ضيفاً وهو في ساعاته الأخيرة.

٣- مانويل فايشر : Mannel Weischer

يرى فايشر في إقبال أنهُ المفكر الإسلامي الوحيد في العصر الحديث الذي امتدت شهرته إلى الغرب، فيقول فضلاً عن كون إقبال شاعراً وفيلسوفاً ( أنني أرى فيه أيضاً شاعراً متنبئاً ثاقب الفكر يمتلك حدس الفنان وقدرته على تشخيص مسيرة الحياة في القارة الهندية والمجتمع الإسلامي بكامله)[٣].

٤- يان ماريك : Jan Marek

في حديثه عن ( الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال) يشير يأن ماريك إلى أهمية هذا الجانب عند إقبال، وأن إقبال كان يناضل نضال الأبطال من أجل الدفاع عن الإنسان أياً كان، وفي أي مجتمع يكون.

---

(١) هرمان هسه ـ مجلة فكروفن. العدد ٣٢. العام ١٦. ١٩٧٩. ص١.
(٢) هانس ـ هاسو. المقابلة الأخيرة مع إقبال. مجلة مفكر وفن. العدد ٣٢. ص٥٨.
(٣) مانويل فايشر. محمد إقبال وعلاقته بالثقافة الغربية. فكر وفن. العدد ٣٢. ص٥.

وإن قضية الإنسان كانت الشغل الشاغل لفكر إقبال. ويقول ماريك: (وأبعاد فلسفة إقبال الاجتماعية تتلخص في البحث عن الإنسان، وهدفه الأساسي في فلسفته هو أن يطلق قدرات الإنسان غير المحدودة وأن يوجهه إلى عالم أرحب مليء بالحياة)[١].

٥-آنا ماري شيمل : nnemarie Schimmel

ذكرنا سلفاً دور المستشرقة الألمانية شيمل الكبير في نشر وترجمة فكر إقبال وشعره، للألمانية والتركية. وقد رأت في إقبال (فيلسوفاً أكثر منهُ شاعراً، أختار القالب الشعري صاباً فيه أفكاره الإصلاحية كي يوصلها بشكل أفضل إلى مواطنيه المتأثرين بالغ التأثير بتراثهم الشعري)[٣].

وترى شيمل أن خطابات إقبال وكتاباته للأمة الإسلامية وللإنسانية أجمع تمثل قوة ونهضة لبناء الذات، وصنع شخصية واقعية مثالية تؤهله للفوز بالدارين.

وتقول المستشرقة شيمل ( لقد رأى إقبال نفسه في طريق المصلحين العظام للإسلام في الهند، ويبين استخدامه لرموز الموت والبعث كيف كان متمرساً بتراث الشعر الصوفي... أنهُ كان واثقاً أن كلمته قادرة على القيام بمعجزة (قم) ( القيامة من الموت) بالنسبة لشعبه، وقادرة على أن تقودهم إلى بعث روحي هم في حاجة أليه أذا أرادوا لأنفسهم البقاء تحت ظروف احسن)[٣]. وتدعوا شيمل المستشرقين إلى تناول إقبال بالمزيد من البحث والتحقيق والدراسة[٤].

٦-د. هارولد .ب. سمث Harold B . Smith

في بحثه المقدم لمؤتمر (برنستون) للثقافة السلامية الذي عُقد برعاية جامعة برنستون ومكتبة الكونكرس بواشنطن في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٥٣م الذي عنوانه (مذهب الإسلام في الإنسان) عرض الأستاذ هارولد.ب. سمث وجهة نظر الشريعة الإسلامية في الإنسان، وأبرز وجهات نظر المفكرين المسلمين الذين كان لهم الدور الكبير في أحداث نهضة فكرية وثقافية كبيرة في المجتمع المسلم ومن هذِه الشخصيات محمد إقبال.

(١) يان ماريك. الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال. فكر وفن. العدد ٣٢. ص٧٢.
(٢) مجلة فكر وفن. العدد ٤٥. العام ٢٤. ١٩٨٧. ص٩٩.
(٣) آناماري شيمل. إقبال في سياق حركات الإصلاح الهندية الإسلامية. فكر وفن العدد، ٣٢،. ص٥٦.
(٤) آنا ماري شيمل. الأدب العربي في شبه القارة الهندية. فكر وفن. العدد ١٩. العام١٠. ١٩٧٢. ص٣١.

لقد درس الأستاذ هارولد فلسفة إقبال في الذات، وجوهرها الرامي إلى بناء الإنسان، ذلك الإنسان الذي يصفه بأنهُ جم المواهب، قادر على التفكير والتدبير، واستهداف الأغراض والعمل المبدع[١].

ويذكر هارولد أن إقبال كان يُريد من الذات الإنسانية المحدودة التمسك بالذات المطلقة، وإن الإنسان ( الذات المحدودة) لا ينال الخلود إلا بالتقرب من الله تعالى ( الذات المطلقة)[٢].

هكذا ينظر سمث إلى إقبال، بأنه أحد قادة الفكر الإسلامي الذين يؤكدون بناء الشخصية، وارتقاء الذات، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بشريعة الله تعالى.

## ٧-هاملتون جب : (١٨٩٥- ١٩٦٨) H. A . R . Gibb

عنى المستشرق الإنكليزي جب بإقبال كثيراً، لأنه رأى فيه صاحب فلسفة أسلامية جديدة تدعو إلى بناء الذات واحترام الإنسان، وكونه رأى فيه (صوتاً كبيراً ينادي ضد سطحية التقييم العصرية الجديدة ويطالب بإصرار بإعادة النظر بأسس العقيدة الإسلامية)[٣].

ورأى جب في إقبال مجدداً كبيراً سعى إلى التزاوج بين روحية الشرق ومادية الغرب. وإنه صاحب فلسفة خاصة به، ويرى أنهُ قد تأثر بالإنسان الكامل عند نيتشه وبنظرية برجسون في التطور الخالق[٤].

ويقول جب في فلسفة الذات، اشتراكاً مع لويس ماسنيون (كانت رغبة إقبال في فلسفة الذات هي في الرجوع إلى الدين الإسلامي الذي فيه دستور الحياة الدنيا والآخرة، ولهذا فقد أحب إقبال الإسلام حباً عميقاً وقوياً. ولهذا كانت دعوته إنسانية عالمية . أثرت في المسلم وغير المسلم)[٥].

---

(١) هارولد. ب. سمث. مذهب الإسلام في الإنسان. بحث ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة. ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه. ص٦٧.

(٣) هـ.أ.ر. جب. الاتجاهات الحديثة في السلام. ص١٠٩.

(٤) H. A. R. .Gibb Mohammedanism . P. 185.

(٥) هاملتون جب. ولويس ماسنيون. وجهة الأسلام. ص١٢٨-١٢٩.

**٨- لويس كارديه : Louis Gardet**

**عبر الأستاذ لويس كارديه عن مدى إعجابه بفكر إقبال وفلسفته الذاتية وأنهُ يحيَّ فيه روح النهضة والإصرار على بناء الإنسان، بناءً سليماً ومن ثم بناء المجتمع السليم.**

**ويعتقد لويس أن الفلسفة العربية الإسلامية المعاصرة ستهتم بإقبال كثيراً، ويقول عن إقبال كان إقبال يعرف جيداً الشعر الغربي ونستطيع القول أيضاً أنهُ كان مختصاً بالفلسفة الألمانية والأنكلوسكسونية، وقد أصبح أسمهُ معروفاً في العالم كله، وقد كان شاعراً أصيلاً، وفي قصائده الجميلة نجد تلك المسافة بينه وبين هيجل وقد أنتقد الجدل الهيجلي ورفض بقوة المادية الغربية[١].**

**٩-لويس رينو : Louis Reno**

**في معرض حديثه عن الأدب الهندي، وعن الأدباء الهنود الذين أسهموا في أغناء الحركة الفكرية والأدبية، ذكر لويس رينو، إقبال، كونهه أبرز شخصية أدبية وفكرية أثرت في الهند وباكستان سواء كان ذلك في الأدب أو الفلسفة. ويجد رينو في أدب وفلسفة إقبال في الذات روح صوفية، ويقول إن إقبال وحِد بين الميل الصوفي القديم والروح العصرية، وعدّه الشاعر القومي والمحرك الروحي لباكستان[٢].**

---

**(١) Louis Garrdet . Philosophie Arabo –Musulmane et Philosophi Europeenne Danjourdhui.**
**ضمن كتاب دراسات فلسفية مهداة الى روح د. عثمان أمين. القاهرة. دار الثقافة . ١٩٧٩. ص١٣٦.**
**(٢) لويس رينو. الأدب الهندي. تر: بهيج شعبان . دار بيروت. للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٥٥. ص١١٧.**

# الفصـل الثالث

# المبحث الثالث

## إقبال في الثقافتين الهندية والباكستانية

## إقبال في الثقافة الهندية:

عرضنا سابقاً لأثر الثقافة الهندية في إقبال، وإن هذِه الثقافة كانت أحد المنابع التي روت إقبال، فكرياً وروحياً وعاطفياً، كونها ثقافة الوطن الذي عاش فيه.

ومثلما أثرت الثقافة الهندية في إقبال، فقد أغنى الثقافة الهندية، وصار أحد رجال الفكر العظام لهذِه الثقافة، ولم يقتصر تأثيره على مسلمي الهند، بل تعدى ذلك إلى الهندوس، حتى يُعلن أحد زعماء الهندوس بقوله: ( إن إقبالاً قد وضع المصباح على باب المسلم، ولم يحجب نوره عن غير المسلمين، بل أمكن للجميع أن يستضيئوا بنور ذلك المصباح)[١].

والهندوس يحبون إقبالاً ويقدروه ، ويقولون بأنهُ وإن لم يكن هندوسياً على ملتنا ولكنهُ هندي منا.

كيف لا يحب الناس إقبال وقد ناضل من أجلهم، وسعى في فلسفته الذاتية إلى قيام إنسان كامل قادر على حمل الرسالة السماوية. وكان هدف إقبال في فلسفته هو النهوض بالمسلمين ووضعهم على الطريق الصحيح[٢].وان دراسة إقبال في بلاد الغرب لم تنسه أهله وناسه وأرضه،فقد أحب إقبال كل شبر من أرضه، تلك البقعة المباركة، التي تحوي أرواح العديد من الأولياء والعلماء والصالحين، وكان يستمد غذاءه الروحي من هذِه الأرض التي رعتهُ ورعاها.

وكتب العديد من المفكرين والباحثين والأدباء عن فكر وأدب إقبال وعلاقته بالثقافة الهندية[٣]. ومثلما خدم إقبال الثقافة الهندية التي راح ينشر فيها فلسفته وأشعاره وحكمهِ، خدم المثقفون الهنود إقبالاً، وكتبوا فيه العديد من الكتب والدراسات والقصائد وأخذوا يعقدون الندوات والأماسي من أجل أحياء ذكراه وعرض فلسفته الذاتية الداعية إلى بناء الإنسان وتقويم السلوك. وقد أعربوا عن أعجابهم بهذه الفلسفة الحيوية، التجديدية.

---

(١) نجيب الكيلاني- إقبال الشاعر الثائر. ص١١. ومحمد حسن الأعظمي واالصاوي علي شعلان. الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي. ص٨-٩.

(٢) د.أمجد حسن سيد أحمد. ود. إبراهيم محمد إبراهيم. شاعر الشرق محمد إقبال. ط١، القاهرة. ١٤١٧-١٩٩٧. ص١.

(3) Wilfred Cantwell Smith. Modern Islam in India.
And: Wilfred Cantwell Smith. Islam in modren history

وهذِه بعض الأقوال والآراء التي قيلت بحق إقبال وفلسفته وعبقريته، والتي صدرت من أفواه قادة وزعماء وأصحاب فكر ثاقب، ومن أبرزهم :

١-جواهر لال نهرو *:- (١٨٨٩-١٩٦٤م).

في كتابه ( من السجن إلى الرئاسة) يذكر الزعيم الوطني الهندي جواهرلال نهرو، أثر إقبال في الجماهير، وما كان لأشعاره وفلسفته من أحداث نهضة ثقافية وفكرية وروحية في المجتمع الهندي، إذ يقول: (السير محمد إقبال قد لعب دوراً مهماً في التأثير على الجيل الطالع التالي...كان شاعراً، مفكراً، وفيلسوفاً يعطف على النظام الإقطاعي القديم. كان ينظم الجيد من الشعر بالفارسية والأوردية، وإنما اتخذت النخبة الإسلامية من قصائده أساساً فلسفياً لها... وما من شك في أن شهرته تعود إلى جودة شعره، ولكنها كانت تعود أكثر من ذلك إلى أنهُ قد سد حاجة ما عندما كان المسلمون يبحثون عن مرساة يتعلقون بها. كان المثل الأعلى القائم على وحدة أسلامية قد فقد معناه)[١].

وعن مدى إعجابه بإقبال يقول( وقبل بضعة أشهر من وفاته، بينما كان طريح الفراش، أرسل إقبال يدعوني أليه، فلبيت الدعوة مسروراً، بينما كنتُ أتحدث أليه شعرت بالأشياء الكثيرة المشتركة بيننا، وعلى الرغم من اختلافنا. كان في مزاج مرح، كان ينتقل من موضوع إلى آخر، وكنتُ أنا أكتفي بالإصغاء أليه فلا أتكلم إلا قليلاً، وكنتُ معجباً به وبشعره)[٢].

وكانت بين إقبال ونهرو علاقات فكرية وسياسية، والدليل على ذلك الرسائل التي كانت تُرسل من كلا الطرفين.

ولما سمع نهرو بنبأ وفاة إقبال قال: ( لقد دهتني وفاة إقبال بصدمة هائلة،

---

* زعيم وطني هندي. وأحد نباة الهند الحديثة. ورئيس وزراء الهند (١٩٤٧ – ١٩٦٤).

(١) جواهر لال نهرو. من السجن إلى الرئاسة. نقله للعربية دار العلم للملايين.ط٢، بيروت . ١٩٦١. ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه. ص٢٤٥.

شرفتُ بلقاء إقبال ومحادثته منذُ قليلُ، وكان مستلقياً على فراش المرض، ولكن كان لفكره العالي ونزعته الحرة في قلبي أثر بليغ، لقد فقدت الهند يفقد إقبال كوكباً لألأ

مضيئاً، ولكن شعره سيُخلد في قلوب الأجيال الآتية، وذكراه العظيمة لن تموت)[١].

٢-السيد أبو النصر الحسيني الهندي:

كتب الأستاذ أبو النصر الهندي العديد من المقالات في مجلة (الرسالة) المصرية، مبيناً دور إقبال ومكانته المرموقة في الفكر والأدب.
وعرض الهندي لأثر البيئة الهندية في نفس وفكر إقبال، وهي التي مكنتهُ ودفعته إلى وضع فلسفة الذات، فالبيئة لها أثرها السلبي والايجابي في نفس الإنسان[٢].
ولعلو منزلة' إقبال وسمو فلسفته وشعره اتفق الأدباء والشعراء على تلقيبه (بترجمان حقيقت) أي المعبر عن الحقائق[٣].
ويعرض الهندي لفلسفة الذات عند إقبال ويبين مدى علاقتها بالفلسفات الأخرى ومدى الاتفاق والاختلاف بين فلسفة إقبال والفلسفات الغربية، مثل فلسفة كانت ونيتشه وبرجسون.

وتقييماً لفلسفة الذات يقول الهندي : ( إن فلسفة إقبال فلسفة تفاؤل، لأنها تخلق في الإنسان الأماني تترى، وتبعث فيه الهمة القصية المرمى، وتحفزه لبذل الجهد واستفراغ الوسع في تحقيقها بالمثابرة والمواظبة، فهي لذلك تخالف فلسفة التشاؤم التي كان أكبر أئمتها الفيلسوف الألماني شوبنهاور[٤].

٤- أبو الحسن الندوي :

للندوي علاقة صداقة حميمة بإقبال، وأظهر ذلك في كتاباته عن إقبال، وتحمس الندوي لفكره وشعره وفلسفته وراح ينشرها بين الناس، في كتاب أو مقال أو أو لقاء إذاعي أو صحفي.

---

(١) محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان. فلسفة إقبال والثقافة السلامية في الهند وباكستان. ص٢٦.
(٢) أبو النصر الحسيني الهندي. محمد إقبال أكبر شعراء المسلمين في العصر الحاضر . مجلة الرسالة. العدد ١١٥. السنة الثالثة. ١٣٥٤هـ ـ١٩٣٥. ص١٥٠٠.
(٣) أبو النصر الهندي. محمد إقبال أكثر شعراء المسلمين. مجلة الرسالة العدد ١١٧. ص١٥٨٣.
(٤) أبو النهر الهندي. د. محمد إقبال فلسفته، معالم الأتفاق والأختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب. مجلة الرسالة. العدد ١٢٢. السنة الثالثة. ١٣٥٤هـ ـ١٩٣٥م. ص١٧٨٥.

يقول الندوي عن أثر شعر إقبال فيه: ( وأشهد على نفسي أني كلما قرأت شعره جاش خاطري وثارت عواطفي وشعرت بدبيب من المعاني والأحاسيس في نفسي وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري)[١].

ويعرض الندوي لفكرة الإنسان الكامل عند إقبال ويقول ( كان بحكم دراسته الفلسفية من كبار الرواد الباحثين عن الإنسان الكامل)[٢]. والندوي يرى بأن الإنسان الكامل عند إقبال هو الإنسان المسلم ليس إلا، فيقول : (أخاف أن أفاجئكم بما لا تقدرونه ولا تنتظرونه أذا أخبرتكم أن الإنسان الكامل الذي وجده محمد إقبال، فوجد فيه ما ينشده، من معاني الإنسانية والقوة والحياة والجمال والكمال، هو (المسلم) لا أقل ولا أكثر)[٣]. وإقبال في فلسفته يُريد أن يُنشىء جيلاً جديداً، يجمع بين جلال إيمان الصدّيق، وقوة عليّ، وفقر أبي ذر، وصدق سلمان[٤].

٤-مسعود الندوي :

يعرض الأستاذ مسعود الندوي في كتابه ( تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ) لفلسفة إقبال، ودوره السياسي والفكري، وموقفه السياسي) إزاء السياسات الأخرى.

ويرى الندوي أن المسلمين والشباب في الهند قد استفادوا منهً كثيراً، وتأثروا بشعره وبفلسفته الذاتية أشد التأثير. ولولا دعوته التجديدية وفلسفته الذاتية لبقي الناس غارقين في التيه والضلال[٥].

ويقول الندوي: ( كثيراً ما اتفقت لهم أن يردوا عن شعره الصافي ويرتشفوا من مناهله العذبة، فيتأثروا بآرائه وأفكاره من حيث لا يشعرون)[٦].

والندوي من المعجبين بفلسفة وشعر إقبال الحيويين، ويرى أن لهما صدى كبيراً ليس في الهند وحدها، بل وفي البلاد الأخرى. وقد انتفع الناس كثيراً بشعر إقبال

---

(١) أبو الحسن الندوي. روائع إقبال. ص١٢-١٣.
(٢) المصدر نفسه. ص٥١
(٣) المصدر نفسه. ص٥٢.
(٤) المصدر نفسه ص٤٩.
(٥) ينظر: مسعود الندوي. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند . دار العربية .ب.ت. ص٢١٧.
(٦) المصدر نفسه. ص٢١٧.

وفلسفته وأرائه الحكيمة واهتدت واقتربت من الإسلام بعدما نفرت عنهُ وتباعدت[١].

٥- ن. ك. ديفارجا:

تمتاز الهند بكونها أرض الديانات والمذاهب الفلسفية الروحية والإنسانية وقد شاعت فيها منذ القدم نظريات الذات الإنسانية (الاتمان) وعلاقتها بالذات العليا (براهمن).
وفي دراسة الأستاذ ن. ك. ديفارجا المسماة بـ( عنصر الإنسانية في الفكر الديني الفلسفي الهندي) يتناول بالعرض أبرز النظريات التي تهتم بدراسة الإنسان في الفكر الديني والفلسفي الهندي.
ويرى بأن هناك فلاسفة عظام أمثال طاغور وغاندي ورادها كرشنا ومحمد إقبال، وكانت لفلسفاتهم الإنسانية الداعية إلى الاهتمام بالحياة وسعادة الإنسان، ودور كبير في إنارة الطريق للآخرين[٢].
ويعرض ديفارجا لفلسفة إقبال في الذات ويرى بان إقبال يدعو إلى بناء الإنسان وإطلاق طاقاته المكبوتة المبدعة، وأنهُ في فلسفته الذاتية هذِه لا يسعى إلى الاتحاد أو الاندماج في الحقيقة النهائية، وإنما يسعى إلى إثبات ذاته[٣].
ويرى ديفارجا أن إقبال في فلسفة الذات الساعية إلى ارتقاء الإنسان كان متأثراً بنيتشه وبرجسون. كما أن إقبال يُقدس القوة التي تعُد الدافع الخلاّق لرقي الإنسان وخلوده[٤].

## إقبال في الثقافة الباكستانية:

لم تكن باكستان دولة قائمة في زمن إقبال، وإنما تأسست في الرابع عشر من شهر آب (أغسطس) عام ١٩٤٧م، أي بعد وفاة إقبال بتسع سنين، وكان ذلك على يد القائد

---

(١) المصدر نفسه. ص٢١٨.
(٢) ن. ك. ديفارجا. عنصر الإنسانية في الفكر الديني الفلسفي الهندي مجلة ثقافة الهند. العدد ٣-٤. ص١٧-١٨.
(٣) المصدر نفسه. ص٤٤.
(٤) المصدر نفسه. ص٤٣.

الأعظم محمد علي جناح[1].

وكان قيام دولة باكستان حلم إقبال وفردوسه المفقود، وقد دعا إقبال- كما عرضنا ذلك سابقاً إلى قيام هذِه الدولة وذلك في خطابه الذي ألقاه في اجتماع الدورة السنوية للجامعة الإسلامية في مدينة الله آباد في ٢٩/ كانون الأول عام ١٩٣٠م.

وقد حدد إقبال في هذا الخطاب حدود الدولة الإسلامية التي يروم إلى قيامها[2].
وكان إقبال يسعى دائماً إلى قيام هذِه الدولة الإسلامية، وذلك من أجل استقلال المسلمين عن الهندوس.

وهكذا أرتبط أسم إقبال باسم باكستان، وقد عرف الباكستانيون قائدهم الروحي، وراحوا يتغنون باسمه ويحتفلون بذكراه في كل عام.

ولهذا فقد شغل إقبال حيزاً كبيراً في نفوس مسلمي باكستان وأخذوا على عاتقهم أفكاره وفلسفته وشعره في الصحف والمجلات، وفي الدراسات والبحوث التي يُقيموها تقييماً لقائدهم وزعيمهم وفيلسوفهم الكبير إقبال، كما قاموا بتأسيس أكاديميتين باسمه، أحدهما في لآهور، والثانية في كراتشي[3].

ولهذا كان إقبال الشغل الشاغل لعقول المثقفين في باكستان ومشاعرهم، فكان لهُ الأثر الكبير في الثقافة الباكستانية. وقد عكس المثقفون هذا الأثر في كتاباتهم عنهُ، وعبروا عن إعجابهم به كونه فيلسوفاً وشاعراً وسياسياً يتربع على كرسي الثقافة الباكستانية، وهذِه بعض أراء المفكرين والزعماء والمثقفين في حق إقبال وفلسفته.

١-القائد الأعظم محمد علي جناح*( ١٨٧٦-١٩٤٨م) :

---

(١) مجلة الثقافة الباكستانية. العدد ١، كانون الثاني. يصدرها القسم الثقافي لدى سفارة جمهورية باكستان الإسلامية. دمشق. ٢٠٠٠م.ص٤.
(٢) اشتياق حسين قريشي. سيرة ميلاد أمة . تر: د. خليل جواد .ط١، مؤسسة عُلا للصحافة والطباعة والتوزيع. دمشق. ١٩٩٦م. ص١١٣.
(٣) د. فضل الرحمن. الفلسفة الإسلامية الحديثة. بحث ضمن أعمال مؤتمر برنستون. ص٨٥.
* سياسي هندي مسلم. مؤسس دولة باكستان، وأول رئيس لها ( ١٩٤٧-١٩٤٨).

كان بين إقبال ومحمد علي جناح علاقات واسعة ومراسلات وكانا يهدفان إلى قيام دولة إسلامية، وهذا ما تحقق على يد جناح في إقامة دولة الباكستان في ١٤/آب/ ١٩٤٧.[١]

وأعرب جناح في العديد من خطبه عن مدى اعتزازه بإقبال الذي كان وراء قيام دولة أسلامية وأول الذين دعوا أليها، ومما قاله جناح في مناسبة تشييع الشاعر الفيلسوف إلى مثواه الأخير: (كان شاعراً منقطع النظير، طبق صيته الآفاق، وستبقى كلماته حية أبداً، وأن مساعيه لآمته وبلده لتضعه في صف أكبر كبراء الهند، وأن وفاته لخسارة كبيرة للهند عامة وللمسلمين خاصة)[٢].

وقال جناح في خطاب ألقاه في الاحتفال بذكرى إقبال في جامعة البنجاب عام ١٩٤٠: (إن حييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة في الهند فُخيرت بين الرئاسة العليا في هذِه الدولة المسلمة وبين كتب إقبال لم أتردد في اختيار الثانية)[٣].

٢- د. فضل الرحمن*:

( والحق أن الفيلسوف الوحيد في الإسلام الحديث هو محمد إقبال)[٤]. هكذا أعرب الأستاذ فضل الرحمن عن رأيه في إقبال في بحثه الذي قدمه لمؤتمر برنستون عام ١٩٥٣م.

ويرى فضل الرحمن أن لإقبال أثراً عميقاً في الجيل الجديد في مثقفي الهند وباكستان[٥]. وأن فلسفته – فلسفة الذات هي التي كانت وراء نجاح وبناء الإنسان المسلم في شبه القارة الهندية، إذ إن شيوع التصوف السلبي أدى إلى إماتة روح الإنسان وسعيه وراء المجردات، أما تصوف إقبال الايجابي فأنهُ كان يسعى لتعريف الإنسان بنفسه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه[٦].

(١) د. محمد حسن الاعظمي. حقائق عن باكستان. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة. ب. ت. ص٥٠.
(٢) مهدي حمود الفلوجي. إقبال شاعراً ومفكراً. ص٦٢.
(٣) مهدي حمود الفلوجي. إقبال شاعراً ومفكراً. ص٦٢.
* باحث ومحقق ومفكر باكستاني مسلم.
(٤) د. فضل الرحمن. الفلسفة الإسلامية الحديثة. ص٨٤.
(٥) المصدر نفسه. ص٨٥.
(٦) المصدر نفسه. ص٨٦.

ويقول فضل الرحمن أن غرض فلسفة إقبال هو تحدي جبرية القرن التاسع عشر[١] أي مهاجمة الأفكار الباطلة ودحضها القائمة على الكسل، والتواكل والجحود، وقتل الإنسان في حياته .

٣- روشن بدرخان :

أسهمت مجلة الوعي الباكستانية بدور كبير في نشر فلسفة إقبال وفكره وأدبه، فلم يصدر عدد منها إلا وبه دراسة أو مقالة أو قصيدة عن إقبال.

وقد كتبت الباحثة روشن بدرخان مقالاً عن محمد إقبال، بينت فيه دور إقبال في أغناء الثقافة الإسلامية، ومما قالتهُ: ( لم يمت إقبال وأنهُ لن يموت فهو حي في كل نفس خفاقة متوثبة لأنهُ رمز للفكر الفلسفي البعيد الأرجاء الذي لابد منه لكل نهضة قومية مباركة شاملة)[٢].

وإعجاباً بفلسفته الواقعية المثالية، الداعية لبناء الإنسان، تقول: لقد كانت فلسفة إقبال هي فلسفة القوة المستمدة والمستندة إلى نمو الفرد الفكري والخلقي والروحي، وكان يرى أن الحرية هي الأساس الذي يجب أن تبنى عليه حياة السلام.ولم يكن يعني بالحرية. الحرية السياسية فقط، بل يقصد حرية الفكر والعقل والروح[٣]. وكانت الباحثة روشن تحث المثقفين والدارسين على نشر فلسفة إقبال بين الناس لغرض بث الطمأنينة والمحبة والسلام على الأرض[٤].

(١) المصدر نفسه ص٨٥
(٢) السيدة روشن بدرخان. محمد إقبال. مجلة الوعي (الباكستانية). العدد ٢١. ص١٦.
(٣) المصدر نفسه. ص١٩.
(٤) المصدر نفسه. ص ٤٠.

## الخاتمــة

نصل الآن إلى وضع اللبنات الأخيرة لبناء صرح أفكار محمد إقبال،وفلسفته، فلسفة الذات، وبيان مغزاها ومقصدها، ومبتدأها ومنتهاها.

لا ندَّعي بأننا قد كشفنا كل أسرار إقبال في فلسفة الذات وإثرنا خباياها وبُصرنا بخفاياها، ولا نقول بأننا مررنا عليها مرور الكرام.ولكن قدمنا كل ما يستحق الكشف والبيان والوضوح، وسلطنا جميع ما لدينا من الأضواء على فلسفة الذات، وأنتم ترون بأم أعينكم وتحكمون على ذلك، ولم ندخر جهداً ولا وسعاً إلا وبذلناه من أجل الوصول إلى مرتبة يُحمد عليها العمل.

إن النقطة الأولى التي عرضنا لها في هذِه الرسالة وانطلقنا منها هي بيان الأوضاع العامة لعصر إقبال- سياسياً واجتماعياً وفكرياً- ولم يكن هذا الانطلاق انطلاقاً اعتباطياً أو معتبطاً، بل كان مبنياً على أُسس أكاديمية وعلمية رصينة.

أننا نرى أن البيئة التي عاشها إقبال، والتي يعيشها أي إنسان، لها الدور الكبير في بناء صرح فكره وثقافته وفلسفته. وأن فكر أي مفكر، وشعر أي شاعر، وفلسفة أي فيلسوف، أنما تمثل روح العصر، وتأتي لتملأ فراغاً أو لتسد حاجة، أو تمثل رد فعل تجاه الوضع السائد.

إن فلسفة إقبال في الذات – في رأينا – لم تبدأ من الفصل الثاني من الرسالة، بل بدأت من الفصل الأول، أذا لم نقل من المقدمة، وجاءت فلسفة الذات لتسد حاجة ولتملأ فراغاً، وردة فعل تجاه العصر الذي كان يعيشه وظروفه المريضة المؤلمة.

إن حالة الهند في عصر إقبال حالة يرثى لها، فقد كان الشعب الهندي مُستعمراً ومُستغلاً ومُستعبداً ومُقهوراً، مثله مثل باقي الشعوب على وجه الأرض، من قبل المُستعمر المُستغِل، المستعِبد القاهر الغالب. وما كان من إقبال أن يقف موقف الصامت وهو ذا اللسان الفصيح الناطق، أو ينظر إلى الأحداث من دون أن يحرك ساكناً وهو المليء بالنشاط والحيوية.

لقد أراد إقبال أن يحُطم كل ما تمليه القوى الغالبة القاهرة تجاه الشعب الهندى. ويفك أغلال الهنود من قبضة جميع هؤلاء، ويُعيد لهم هيبتهم ومكانتهم المرموقة التي كانوا عليها أيام دخول الإسلام وسطوع شمسه على الهند.

كما كان لسفر إقبال ورحلاته وتطوافه في بلاد الدنيا الدور الكبير في توجيهه لإعادة بناء الإنسان الهندي والمسلم. فدراسته وسفره لبلاد الغرب حفَّزاه على دفع الناس إلى إعادة بناء ذواتهم وترقية حالهم، فالغرب يملك كل وسائل التقدم والتكنلوجيا والعلوم. فما أحرانا إلى أخذها وتهذيبها وإضافة الصبغة الإسلامية الأخلاقية عليها، لتصبح حياتنا متوازنة ومهذبة، تجمع بين الروح والمادة ،وبين الدين والدنيا.

ويقع علينا واجبُ كبيرُ ومسؤولية عظمى إلا وهي إعادة بناء الإنسان- الذات –بناءٍ يوصله إلى تحقيق كل ما يُرقيه ويحقق لهُ السعادة والاطمئنان والمحبة والسلام. أننا يجب أن نسير مع ركب العصر، ولكن بطهارة قلب وحسن نية وعمل صادق وإخلاص في الأداء. إننا حُمِّلنا مسؤولية عظيمة ورسالة كبيرة، ألا وهي (الخلافة) و (الأمانة) وهذا ما جرى يوم (ألست) يوم أعطينا العهود والمواثيق لخالقنا بأننا سنكون على مستوى عالٍ من المسؤولية. ولابد أن نكون جديرين بحمل هذِه الرسالة، فنحنُ خير أمة أخرجتْ للناس.

إن إقبال يُريد منا أن نكون على مستوى عالٍ من الشعور بالمسؤولية تجاه الأشياء، فلا نكون مجرد مقلدين ومُتبعين، بل علينا أن نكون مبدعين وخلاَّقين، وعلينا أن يكون واحدنا فرداً، كما الله تعالى فرد لا مثيل له. إن قوة الذات تجعل الإنسان قريب المنزلة من الله تعالى، وقاب قوسين أو أدنى من الذات الآلهية.

ولا ننكر أن إقبال كان قد أستقى أصول فلسفته من مصادر عديدة، شرقية وغربية، وكان للفكر الغربي أثره في فلسفته، إلا أن الدور الأكبر كان لعنصر البيئة والفكر الهنديين وللفكر الإسلامي الأصيل.

لقد هذب الإسلام نفس ذلك الهندي الكشميري الذي كان أباؤه يعبدون غير الله، لقد صقله القرآن ونبيه الكريم وبنا فكره ونما معارفه ومواهبه، حتى صار أبناً للإسلام لا ينطق إلا بكتابه، الذي كان يقرأه وكأنهُ نزل على قلبه.

لقد صاغ الدين الإسلامي والفكر والفلسفة الإسلامية نفس إقبال وعقله وقلبه. مما جعله يغوص في أعماق ووجدان الإنسان ويبحث في داخله، عن عالمه المكنون فيه ليخرجه من الظلمات إلى النور.

كان إقبال في فلسفة الذات جوانياً، واقعياً، مثالياً، شخصانياً، تجديدياً، يُريد من الإنسان أن يخرج الكنوز التي في داخلهِ، والنور الذي في باطنه يُبدد ظلمه هذا العالم، ولينشر فيه العدل والرحمة والطمأنينة والسلام، وهذا لا يكون إلا في ظل الإنسان، ذلك الإنسان الذي لا يكون إلا مع المجتمع، وذلك المجتمع الذي لا يكون إلا بوجود أفراد صالحين، وهؤلاء لا يوجدون إلا أذا كانوا كالجسد الواحد أذا أشتكى منهً تداعى لهُ سائر الجسد بالسهر والحمى، وإذا كان بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً.

لقد حصل إقبال على منزلةٍ لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وأستوقف إقبال قادة الفكر وزعماء الإصلاح، وساسة الدول، ورجال الأدب، ورواد الوعي الإنساني.

ففيه قال برنادشو بأنهُ الفنان الفيلسوف. ودُهش به هنري برجسون حين ألتقى به إقبال في باريس، وأكبره لما يحمله من فكر وأدب. وأُعجب به موسليني حين إلتقاه في إيطاليا. ونال إقبال منزلة سامية وشهرة عالمية لدى القادة والمفكرين والأدباء والمثقفين في الفكر العالمي الإنساني.

ففي الثقافة العربية وضعه الأدباء والمفكرون العرب في قمة القمم، وعلى رأس قائمة أولي الفكر والعلم، فطه حسين عميد الأدب العربي يقول فيه بأنهُ شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان. وأطرأ عليه أجمل وأعظم وأشرف الإطراء.

ورأى فيه عباس محمود العقاد رائداً من رواد الفلسفة الوجودية المؤمنة، وأنه أحد العظماء الذين أناروا ظلمة الفكر.

وفي الثقافة الغربية كان لهُ حظُ كبيرُ وشهرة أكبر، فقدمه رجال عظام إلى القارئ الغربي، مثل براون، ونيكلسن، واربري، وماسنيون، وجب، وهرمان هسة، وغيرهم من رجال وقادة الفكر والأدب الغربي، ويكفيه فخراً أنهُ عظيم ويقدمه عظماء.

والشيء نفسه يحدث في الثقافتين الهندية والباكستانية، فحصل على أوسمة الفخر
والشرف، ونياشين الفكر والأدب من قادة وزعماء ومفكرين وأدباء كانوا قد أشغلوا الدنيا في زمانهم، وأشغلهم إقبال في دنياهم.

فالزعيم الوطنى الهندى جواهر لال نهرو يرى فيه كوكباً أضاء سماء الهند وأرضها، وأن شعره سيُخلد، وذكراه العظيمة لن تموت. ورأى محمد على جناح أن فقده يعد خسارة للهند عامة وللمسلمين خاصة،وأنهُ مؤسس دولة أرض الأطهار (باكستان). وكانت لهُ منزلة عظيمة في نفس شاعر الهند رابندرانات طاغور (١٨٦١-١٩٤١) الذي قال فيه حين أتاه نبأ وفاة إقبال :(إن موت شاعر عالمي كإقبال مصيبة لا تحتملها البلاد).

وكان لاستأذنا مدنى صالح رأياً في إقبال لا يقل قيمة وأصالة عن أراء المفكرين والمثقفين العرب والغربيين والشرقيين، إذ يرى فيه فيلسوفا وشاعرا نال من الشهرة ما لم ينله إلا القليل من المبدعين والمفكرين الذين شغلوا الدنيا والناس في الحياة وفى الممات،وكان له حظ عظيم وقيمة كبيرة بين قادة الفكر والأدب محلياً وعالمياً.

لقد نال إقبال هذِه الشهادات الفخرية من لدن رجال الإنسانية العظام، كونهم رأوا فيه كل ما رأوا، فقد صار فكراً وأدباً وشعراً عالمياً إنسانياً مشاعاً للجميع، لا يقتصر على شعب دون شعب، وقد خلده الخالدون ونال علواً وخلوداً في الحياة وفي الممات.

وما كان لنا أن نصل إلى كل ما وصلنا أليه من كشف الحقائق، وبيان فلسفة الذات عند إقبال وأثرها، وأثر إقبال في القادة والمفكرين والأدباء، وإطراء كل هؤلاء على إقبال، لولا التسديد الآلهي.فقد أعاننا الله تعالى على حمل مشعل النور لنسلط الضوء على درر إقبال المكنونة وفكره الجم الثري.

وما هذه الدراسة المتواضعة في نظرنا إلا تكريماً عربياً لفيلسوف الذات، فيلسوف الإسلام وشاعر الهند والباكستان، الذي خدم الثقافة الإسلامية والعربية والعالمية خدمة جليلة وكبيرة ألقينا عليها في هذِه الرسالة ضوءاً تستحقه.

وبعد هذه السياحة الفكرية والثقافية والفلسفية في فكر وشعر وفلسفة إقبال في الذات نستخلص النتائج الآتية: -

١. فلسفة الذات، فلسفة تطورية نهضوية تجديدية، تدعوا إلى بناء شخصية وجوهر الإنسان بناءا سليما مستقيما،كي يصل إلى مرحلة الإنسان الكامل، الذي يجسد أسمى وأروع الآيات الإلهية على هذه الأرض.

٢. أراد إقبال من فلسفته هذه أن تكون للفرد المسلم هوية مستقلة تعبر عن ذاته وتطرح مشكلاته وتحاول وضع العلاج الناجع لها، وبشكل واقعي بعيد كل البعد عن يوتوبيات الفكر المثالي والأحلام الجوفاء التي لا وجود لها على ارض الواقع.وتتمثل هوية المسلم بإثبات ذاته لا نفيها،على المستويات كافة.

٣. كانت للأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية أثرها الواضح على فلسفة إقبال،وكانت هي الدافع المباشر وراء صياغة فلسفته في الذات،وكانت هذه الفلسفة دعوة لكل الشعوب المستعبدة والمظلومة فى الأرض إلى بناء كيانها، والنهوض بابناءها للتحرر من سطوة وسيطرة العدو الداخلي والخارجي،الظاهري والباطني،النفسي والاجتماعي.

٤. سعى إقبال من خلال فلسفة الذات إلى بناء علم نفس إسلامي، له مفرداته ومناهجه ونظرياته وطرقه في العلاج،مثلما للإنسان الغربي طرقه ومناهجه الخاصة به في علاج الفرد،فلابد أن يكون هناك علم نفس خاصا بالمسلمين، نابعا من عقيدته ودينهم وظروفهم الخاصة بهم.

٥. دعا إقبال الإنسان المسلم لان يكون خليفة بمعنى الكلمة للمستخلف الذي كلفه بالحفاظ على الأمانة الثقيلة ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ سورة الأحزاب. الآية ٧٢.وان يكون الإنسان مصداق الآية الكريمة ﴿ وإذ قال ربك للملائكة أنى جاعل في الأرض خليفة﴾ سورة البقرة.الآية ٣٠.

٦. أراد إقبال من خلال فلسفة الذات أن يكون الإنسان المسلم على مستوى عال من الشعور بالمسؤولية، تجاه الخالق المطلق، وتجاه المخلوقين من أبناء جنسه، والمخلوقات الأخرى.

٧. تتجلى قوة الذات في نظر إقبال في خلق المقاصد وبالمحبة والعشق والشجاعة وإطلاق كل الطاقات الحبيسة داخل الإنسان وتسخيرها من اجل بناء الذات ونيل أعلى الدرجات،ويجب أن تكون الذات منطلقا لبناء العوالم الأخرى.

٨. لفلسفة الذات الاقبالية قيمتها العليا في بناء الفرد والمجتمع،وجعل إقبال من الفرد أساس بناء المجتمع ،وكذلك المجتمع يمثل الخيمة الكبرى التي يستظل بظلها الفرد ،فالعملية مشتركة ومتكاملة وليست منفصلة بين الاثنين.﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾سورة الرعد.الاية١١.

# قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية


**-المصادر باللغة العربية**

**-القرآن الكريم .**

**– إبـراهيم، د. زكريـا . برجسـون. سلسـلة نوابـغ. الفكـر الغربـي (٣) . دار المعارف. مصر .ب.ت.**

**– ابن سينا، أبو علي. أحوال النفس. تحقيق وتقديم د.احمد فؤاد الأهواني . ط١، دار إحياء الكتب العربية . ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م .**

**– مبحث عن القوى النفسانية . ضبط وتصحيح ادوارد ابن كرنيليوس فنديك الاميركاني .**

**– أبو عاذرة ، عطيـة سليمان عودة . مشكلتنا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث . عند كل من الأمام محمد عبده ومحمد إقبال . ط١ ، دار الحداثة . بيروت ١٩٨٥ .**

**– أحمد، د قيس هادي . دراسات في الفلسفة الإنسانية والعلمية ط١، مكتبة المنصور العلمية . بغداد ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م .**

**– إخوان الصفا . رسالة جامعة الجامعة . تحقيق وتقديم .د . عارف تامر . دار النشر للجامعيين . ١٣٧٨هـ –١٩٥٩ م .**

**– أرسطو طاليس. في النفس . تر : اسحاق بن حنين . تحقيق د.عبد الرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٥٤.**

**– أسدي ، د. خالد عباس. محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات. مكتبة مدبولي . القاهرة . ١٩٨٢.**

**– الأعظمي ، محمد حسن . والصاوي علي شعلان . الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي تحقيق د. مصطفى غالب. مؤسسة عز الدين بيروت . ١٤٠٢هـ-١٩٨٢ .**

– الأعظمي ، محمد حسن . حقائق عن باكستان . الدار القومية للنشر والطباعة القاهرة . ب.ت.
– الأعظمي ، محمد حسن . والصاوي علي شعلان . فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان. ط٢ ، دار الفكر . دمشق . ١٣٩٥-١٩٧٥.
– أفلاطون . محاورة فيدون . ضمن كتاب محاورات أفلاطون . تر : د.زكي نجيب محمود . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة . ١٩٦٦.
– إقبال ، محمد . تجديد التفكير الديني في الإسلام . تر : عباس محمود. طبعة جديدة ومنقحة . دار أسيا . بيروت .١٩٨٥.
– ديوان الأسرار والرموز. تر: د. عبد الوهاب عزام . دار المعارف. مصر . ١٩٥٦ .
– ديوان بيام مشرق. تر: د.عبد الوهاب عزام .مجلس إقبال. كراتشي. باكستان. ١٩٥١ .
– ديوان جاويد نامة .(في السماء ) ترجمه عن الفارسية شعراً . د. حسين مجيب المصري .مكتبة الأنجلو المصرية .القاهرة . ١٩٧٣ .
– ديوان جاويد نامة (رسالة الخلود) ترجمه عن الفارسية نثراً د. محمد السعيد جمال الدين .مطابع سَّجل العرب. القاهرة . ١٩٧٤ .
– ديوان جناح جبريل .تر: عبد المعين الملوحي .ط١،دار طلاس . دمشق . ١٩٨٧ .
– ديوان روضة الأسرار تر: د. حسين مجيب المصري .مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة.١٩٧٧ .
– ديوان ضرب الكليم – تر: د. عبد الوهاب عزام. جماعة الأزهر للنشر والتأليف. القاهرة . ١٩٥٢ .
– ديوان هدية الحجاز . تر: د. حسين مجيب المصري .مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٥.
– ديوان والآن ماذا نصنع ؟ يا أمم الشرق .ترجمه نشراً محمود احمد غازي . وشعراً الصاوي علي شعلان . ط١،دار الفكر .دمشق ١٤٠٨ – ١٩٨٨.
– إقبال ،محمد . رسالة العبودية . تر: د. أحمد معوض . ضمن كتاب العلامَّة محمد إقبال حياته وآثاره . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠ .

– ما وراء الطبيعة في إيران. تر: د. حسين مجيب المصري . مكتبة الأنجلو . ١٩٨٧ .
– الألوائي، د. محي الدين. الأدب الهندي المعاصر. ط١ ، القاهرة . ١٣٩٢ – ١٩٧٢ .
– إمام د.إمام عبد الفتاح . مدخل إلى الفلسفة. دار الثقافة . ١٩٩٠ .
– أمين ،د. عثمان .الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة .دار القلم . ١٩٦٤ .
– رسالة محمد إقبال .ضمن كتاب محمد إقبال .تأليف صفوة من كبار الكتاب. سفارة باكستان . مصر .١٩٥٦ .
– رواد المثالية في الفلسفة الغربية . دار المعارف .١٩٦٧
– رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي .دار القلم . القاهرة . ١٩٦١ .
– الأنصاري ،عبد القدوس .مع شاعر الإسلام محمد إقبال . ضمن كتاب شاعر الإسلام محمد إقبال . مجموعة ما كتبه أدباء المملكة العربية السعودية وشعراؤها بمناسبة يوم إقبال . مطابع دار الأصفهاني . جدة ١٩٥٧ .
– براون، أدوارد جرنفيل . تاريخ الأدب في إيران . تر: د. إبراهيم أمين الشواربي. مطبعة السعادة. مصر. ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م .
– برجسون،هنري .التطور الخالق . تر: د. محمد محمود قاسم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٤ .
– الفكر والواقع المتحرك . تر: د. سامي الدروبي . طبعة الأوابد . ب. ت.
– منبعا الأخلاق والدين . تر: د. سامي الدروبي . ود. عبد الله عبد الدائم . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . ١٩٧١ .
– بنت الشاطئ ، د. عائشة عبد الرحمن . الشخصية الإسلامية . ط٣،دار العلم للملايين . بيروت . ١٩٨٠ .
– البهي ،د. محمد . اتجاهات الفلسفة الإسلامية .بحث ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .مجموعة البحوث التي قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية . مراجعة وتقديم . فتح الله خليف. مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .١٩٥٣ .
– الفكر لإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ط٥ .دار الفكر . بيروت . ١٩٧٠ .

– بيلي، لجراهام .الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية .تر: د.حسين مجيب المصري .مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٨٨ .
– التكريتي ،د. ناجي . الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام . ط٣ ،دار الشؤون الثقافية العامة .بغداد .١٩٨٨ .
– الجابري ،د. علي حسين . الإنسان والواجب . الموسوعة الصغيرة (٤١١).دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ١٩٨٨ .
– جب ، هـ .أ . ر. الاتجاهات الحديثة في الإسلام . تر: هاشم الحسيني . منشورات دار مكتبة الحياة .بيروت .١٩٦٦ .
– جب . هـ . أ . ر .ولويس ماسنيون .وجهة الإسلام .ط١ ،تر: محمد عبد الهادي ابو ريدة . المطبعة الإسلامية . القاهرة .ب .ت.
– جدعان، د. فهمي. أسس التقدم عند مفكري الإسلام. ط٣ دار الشروق . عمان –الأردن . ١٩٨٨ .
– جرنفيل، فريمان. التقويمان الهجري والميلادي. تر: د. حسام محي الدين الآلوسي .ط٢ ،دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ١٩٨٦ .
– جعفر، د. محمد كمال . النبض والحيوية في الفلسفة الدينية لإقبال .ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات .
– جوته . الديوان الشرقي للمؤلف الغربي . تر: د. عبد الرحمن بدوي .مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٤٤ .
– جوارافسكي، أليكسي. الإسلام والمسيحية. تر: د. خلف محمد الجراد،ط٢ ، دار الفكر .دمشق . ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .
– جوليا، ديديه .فيخت . تر: المحامي حسيب النمر. ط١،سلسلة أعلام الفكر العالمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت .١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ .
– الجيار، د. سيد إبراهيم. التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية. مكتبة غريب. القاهرة. ١٩٧٧.
– الجيلي،عبد الكريم.الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.ج١،ج٢ .مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده .١٣٨٣هـ . ١٩٦٣ .

– الحبابي ، د. محمد عزيز .الشخصانية الإسلامية . ط٢ ،دار المعارف .القاهرة .ب . ت.
– حسن، محمد . تيارات الفلسفة الشرقية.دار علاء الدين. دمشق.١٩٩٩ .
– حسون، علي .فلسفة إقبال . ط٢ ، دار السؤال –دمشق . ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م
– حسين، د.طه . إقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان. ضمن كتاب محمد إقبال. تأليف صفوة من كبار الكتاب المصريين .
– الحلاج . الطواسين . تحقيق لويس ماسنيون . باريس . ١٩١٣ .
– حنفي، د. حسن . دراسات أسلامية. ط١،دار التنوير. بيروت .١٩٨٢ .
– حواس، عصام الدين .ثورة الأخلاق . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. دار الكتاب العربي . القاهرة .ب.ت.
– حيدر،أحمد .إعادة أنتاج الهوية .ط١ ،دار الحصاد .دمشق .١٩٩٧ .
– حيدر، أحمد .نحو حضارة جديدة .ط١، مطبعة الإنشاء.١٩٦٩
– الخاقاني،سلمان .طريق المعرفة. مطبعة الآداب. النجف الأشرف . ١٩٧٢
– خالد ، أحمد . شخصيات وتيارات .ط٢ ، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله . ب . ت .
– خالد ، خالد محمد . أفكار في القمة . مكتبة وهبة . بغداد . ١٩٥٩ .
– ديكارت . مبادئ الفلسفة . تر: د. عثمان أمين . دار الثقافة القاهرة ١٩٧٥ .
– رسول، رسول محمد .الحضور والتمركز.ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت . ٢٠٠٠م .
– رينو ،لويس . الأدب الهندي . تر: بهيج شعبان . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت .١٩٥٥ م .
– الزيات ، احمد حسن . تحية لذكرى إقبال . ضمن كتاب محمد إقبال . تأليف صفوة من الكتاب المصريين .
– زيدان، يوسف. الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي. دار النهضة العربية . بيروت .١٤٠٨ هـ –١٩٨٨ .
– زيعور ، د. علي . الفلسفات الهندية .ط١ ،دار الأندلس . ١٩٨٠ .

– سمث ، د. هارولد . ب . مذهب الإنسان في الإسلام . بحث ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة . أعمال مؤتمر برنستون .
– سوفرين ، بيارهيبر .زراد شت نيشه . تر: أسامة الحاج .ط١ .المؤسسة الجامعية . بيروت . ١٤١٤ – ١٩٩٤ .
– سيد أحمد ، د. أمجد حسن . ود. إبراهيم محمد إبراهيم . شاعر الشرق محمد إقبال،ط١ ،القاهرة . ١٤١٧ هـ١٩٩٧ م.
– الشابي ، د. علي . مباحث في علم الكلام والفلسفة .ط١، دار بوسلامة للطباعة والنشر . تونس .١٩٧٧ .
– شبل،فؤاد محمد .شانكارا ابو الفلسفة الهندية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٥ .
– شتروفه ،ولفنج .فلسفة العلو ، تر: عبد الغفار مكاوي . مكتبة الشباب . القاهرة .١٩٧٥ .
– شلبي ، د. أحمد . أديان الهند الكبرى . ط٩ ، مكتبة النهضة المصرية. ١٩٨٧ .
– شلبي ، محمد . الفيلسوف محمد إقبال والإسلام . ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات .
– شوشه ، فاروق .إقبال شاعر الحكمة والنضال . ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات.
– الشيبي ، د. كامل مصطفى . الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً .ط١ ،مطبعة المعارف .بغداد . ١٩٧٦ .
– الشيبي،د.كامل مصطفى . شرح ديوان الحلاج ،ج١ ،ط١ مكتبة النهضة . بيروت . بغداد . ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ .
– صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي .ط١ ، دار المناهل . بيروت . ١٤١٨ هـ –١٩٩٧ .
– شيخ الأرض، تيسير. دراسات فلسفية. دار الأنوار. بيروت .ب ت.
– د. الصّديقي ، رضا الدين . الحياة والموت في فلسفة إقبال . تر: محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان . الأزهر . ١٩٦٩ .

– صفوة من الكتاب المصريين . محمد إقبال . سفارة الباكستان مطبعة مصر. ١٩٥٦ .
– العاني، د. عبد القهار داود. الفكر الإسلامي الحديث.ط١ مطبعة عصام. بغداد. ١٩٨٦ .
– عباس، د. فيصل. الفلسفة والإنسان. ط١ ،دار الفكر العربي . بيروت . ١٩٩٦ .
– عبد الحميد ، عرفان الفلسفة في الإسلام .دار التربية . بغداد . ب . ت .
– عبد الحميد، د. محسن . تجديد الفكر الإسلامي . المعهد العالمي للفكر الإسلامي. هيرندن . فرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية .١٤١٦ –١٩٩٦ .
– من أئمة التجديد الإسلامي . ط١ ،مكتبة أسامة بن زيد .الرباط . ١٩٨٦ .
– منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام . مطبعة الزمان . بغداد . ١٩٨٦ .
– عبد الدائم، د. عبد الله . الجيل العربي الجديد. ط١ ،دار العلم للملايين . ١٩٦١.
– عبد الرحمن ، د. طه . سؤال الأخلاق . ط١ ، المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء –المغرب . ٢٠٠٠ م.
– عبود، د. شلتاغ .الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي .ط١ ، دار المعرفة . دمشق . ١٤١٢ هـ – ١٩٩٤ .
– العراقي ، د. عاطف . الشاعر محمد إقبال وقضية التجديد . ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات .
– العربي ، إسماعيل . الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية . الدار العربية للكتاب . تونس . ١٩٨٥ .
– عزام ، د. عبد الوهاب . اللمعات . ضمن ديوان بيام مشرق . لمحمد إقبال.
– محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره . ب . ت .
– العقاد، عباس محمود . الإسلام في القرن العشرين . ط٢، دار الكتاب العربي . بيروت . ١٩٦٩ .
– فريضة إسلامية . ضمن كتاب محمد إقبال. تأليف صفوة من الكتاب المصريين.
– علي، منصور رجب . تأملات في فلسفة الأخلاق . ط٣ .مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٦١ .

– عودة، محمد . رحلة في قلب نهرو . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ١٩٧٣ .
– غيث ، د. محمد عاطف . علم الاجتماع . ج١ ،دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٠ .
– الفارابي، أبو نصر. رسالة في مسائل متفرقة . ط١، طبعة الهند. حيدر آباد الدكن . ١٣٤٤ هـ . ضمن رسائل الفارابي . طبعة الهند .
– فصوص الحكم . تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .مطبوعات الجمعية الإسلامية . بغداد . ١٩٧٧ .
– فخري، د. ماجد . تاريخ الفلسفة الإسلامية . تر: د. كمال اليازجي . الجامعة الأمريكية – بيروت . ١٩٧٩ .
– فروخ، د. عمر . باكستان دولة ستعيش . ط١ ،دار الكشاف للنشر بيروت . ١٩٥١.
– د. فضل الرحمن . الفلسفة الإسلامية الحديثة . بحث ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة . أعمال مؤتمر برنستون .
– الفلوجي ، مهدي حمود . إقبال شاعراً ومفكراً . مجموعة من الكلمات والخطب والمحاضرات التي ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد محمد إقبال . بغداد . ١٩٧٧ .
– فيضي ، آصف علي . القانون الإسلامي واللاهوت في الهند . بحث ضمن أعمال مؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية .
– قاسم ، د. محمود . النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٤٩ .
– قريشي ، أشتياق حسين . سيرة ميلاد أمة . تر: د. خليل جواد . ط١ ، مؤسسة علا . دمشق . ١٩٩٦ .
– قطب ، سيد . معالم في الطريق . ط١٠ . دار الكتاب الإسلامي . ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ .

– كرم ، يوسف . تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط . دار الكتاب المصري . القاهرة . ١٩٤٦ .
– تاريخ الفلسفة الحديثة . دار القلم . بيروت . ب . ت .
– الكتاني، محمد. محمد إقبال مفكراً إسلامياً . ط١ ، دار الثقافة . الدار البيضاء . المغرب . ١٩٧٨ .
– الكيلاني ، د. نجيب . الإسلامية والمذاهب الأدبية . ط١ ، مكتبة النور . طرابلس –ليبيا . ١٩٦٣ .
– إقبال الشاعر الثائر . الدار العلمية . ط٢ . ١٣٩١ –١٩٧١ .
– تحت راية الإسلام .ط٣ مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٠٤ –١٩٨٤ .
– الطريق إلى اتحاد إسلامي . ط١ ، مكتبة النور – طرابلس – ليبيا . ١٩٦٢ .
– لوبون، د. غوستاف . حضارات الهند . تر: عادل زعيتر . ط١ ، دار أحياء الكتب العربية . ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ .
– مجموعة . إقبال شاعر الإسلام وفيلسوفه الخالد . مجموعة من الخطب والكلمات في ذكرى إقبال . بغداد . ١٩٥٠ .
– مجموعة . شاعر الإسلام محمد إقبال . مجموعة ما كتبه أدباء المملكة العربية السعودية . وشعراؤها بمناسبة يوم إقبال . دار الأصفهاني . جدة . ١٩٥٧ .
– محفوظ ، د. حسين علي. نظرة في تراث إقبال .ضمن كتاب إقبال شاعراً ومفكراً. أعداد وتأليف . مهدي حمود الفلوجي .
– محفوظ، محمد. الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل. ط١، المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . ١٩٩٩ .
– د. محمود، جمال الدين. إقبال وروح الإسلام . ضمن كتاب محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات .
– محمود، د. عبد القادر. الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث. المطبعة الحكومية. الخرطوم . ١٩٧٢ .
– الفلسفة الصوفية في الإسلام . ط١ ، دار الفكر العربي . القاهرة . ١٩٦٦ – ١٩٦٧ .

– مـذاهب وأفكـار فـي الفلسـفة والفـن . ط١ ،مطبوعـات جامعـة القـاهرة . الخرطوم . ١٩٧٢ .
– المصري، د. حسين مجيب . إقبـال والقرآن . ضمن كتـاب محمد إقبـال قصـائد مختارة ودراسات.
– معوض، د. احمد . العلاَّمة محمد إقبال حياته وآثاره . الهيئـة المصرية العامـة للكتاب . ١٩٨٠ .
– الملقي،هيام . التجارب الروحية، ط١ دار الفكر، دمشق.١٤٢٢ هـ ــ٢٠٠١ .
– النبهان، د. محمد فاروق. أبحاث إسلامية في الفكر والتشريع والحضارة. .ط١ مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ .
– النـدوي، أبـو الحسـن.روائع إقبـال . ط١ ،دار الفكر.دمشـق ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٦٠ .
– شاعر الإسلام محمد إقبال . دار الكتاب العربي . القاهرة .١٩٥١ .
– المسلمون في الهند. مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٦٢ .
– الندوي، عبد الحليم. مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند . مطبعة نوري . مدراس . الهند . ب .ت .
– النـدوي،د. محمد إسماعيل . تـاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربيـة .ط١ ، دار الفتح .بيروت. ب .ت .
– الندوي، مسعود. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند. دار العربية.ب . ت.
– النمر، عبد المنعم . تاريخ الإسلام في الهند. ط١ دار العهد الجديد . ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩ .
– النمر، عبد المنعم. كفاح المسلمين في تحرير الهند .ط١ ، مكتبـة وهبـة. ١٣٨٤ هـ ــ١٩٦٤ .
– نهرو، جواهرلال. من السجن إلى الرئاسة . نقلـه للعربيـة دار العلم للملايين . ط٢ . بيروت . ١٩٦١ .
– نـوار، د. عبـد العزيـز سـليمان . الشـعوب الإسـلامية . دار النهضـة العربيـة. بيروت . ١٩٧٣ .

– نيتشه، فردريك. هكذا تكلم زراد شت. تر: فليكس فارس . دار القلم . بيروت . ب . ت .
– نيكلسون، د. رينولد. أ .الصوفية في الإسلام . تر: نور الدين شريبه. مكتبة الخانجي .مصر . ١٣٧١ هـ – ١٩٥١ .
– أ. في التصوف الإسلامي وتاريخه . تر: أبو العلا عفيفي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ب . ت.
– هدو، د. حميد مجيد. إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان. ط١ مطبعة الغري الحديثة. النجف الأشرف . ١٣٨٣ هـ –١٩٦٣ .
– هيكل، محمد حسين . إقبال شاعر الإسلام . ضمن كتاب محمد إقبال تأليف صفوة من الكتاب المصريين.
– ولبرت، ستانلي . محمد علي جناح مؤسس الباكستان . تر: د. سهيل زكار. . دار قتيبه . دمشق . ١٤٠٨ –١٩٨٨ .

**الموسوعات والمعاجم والقواميس**

– التهانوي، الشيخ المولوي محمد أعلى بن علي . موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية. المعروف ب (كشاف اصطلاحات الفنون ) ج٢،خياط .بيروت . ب .ت .
– التونجي محمد .المعجم الذهبي ( فرهنك طلائي ) قاموس فارسي عربي . ط١ ، دار العلم للملايين . بيروت . ١٩٦٩ .
– الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد. التعريفات. المطبعة الحميدية المصرية. مصر . ١٣٢١ هـ .
– الحفني ، د. عبد المنعم . الموسوعة الفلسفية . ط١ ، دار أبن زيدون . بيروت . ب .ت.
– زيادة ، د. معن . الموسوعة الفلسفية العربية . المجلد الأول . ط١ ، معهد الأنماء العربي . ١٩٨٦ .
– سعيد ، د. حسين .الموسوعة الثقافية .دار المعرفة .مؤسسة فرانكلين. .القاهرة – نيورك .١٩٧٢ .
– صليبا، د. جميل. المعجم الفلسفي . ج١، دار الكتاب اللبناني. بيروت . ١٩٨٢ .

– طرابيشي ،جورج . معجم الفلاسفة . ط١،دار الطليعة . بيروت . ١٩٨٧ .
– عاقل، د. فاخر. معجم العلوم النفسية . إنكليزي – عربي .ط١ ، دار الرائد العربي . بيروت . ١٤٠٨ –١٩٨٨ .
– عطية الله، أحمد . دائرة المعارف الحديثة . المجلد الأول . ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٥ .
– دائرة المعارف الحديثة . المجلد الثاني . ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٩ .
– عميد، حسن . فرهنك عميد . قاموس فارسي –فارسي . مطبعة سبهر . ١٣٤٢ شمسي . ١٩٦٣ م .
– غربال ، محمد شفيق . الموسوعة العربية الميسرة . المجلد الأول . نهضة لبنان . بيروت . ١٩٨٠ .
– كامل فؤاد . وآخرون .الموسوعة الفلسفية المختصرة . مترجمة . مكتبة النهضة . بغداد .١١٩٨٣ .
– لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. المجلد الأول. تعريب: خليل أحمد خليل. ط١ ، بيروت –باريس ،١٩٩٦ .
– مجمع اللغة العربية .المعجم الفلسفي .القاهرة .عالم الكتب . بيروت . ١٣٩٦ –١٩٧٩.
– المطبعي،حميد. موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين.ج ،ط١ دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد .١٩٩٥ .
– ميشل، البروفسور دينكن. معجم علم الاجتماع . تر: د. أحسان محمد الحسن .دار الرشيد للنشر. بغداد. ١٩٨٠ .
– نخبة من الأساتذة المصريين والعرب . معجم العلوم الاجتماعية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٥ .
– وضع لجنة من علماء السوفيت . الموسوعة الفلسفية أشراف روزنتال ويودين . تر: سمير كرم .ط٦ ،دار الطليعة .بيروت . ١٩٨٧ .

– الرسائل الجامعية

– الخالدي ،محمد عبد الله .فلسفة الأنا عند فختـه .رسالة ماجستير . جامعة بغداد كلية الأداب – قسم الفلسفة .١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ .
– خلف الله ،ميلود .النزعة التجديدية عند محمد إقبال .رسالة ماجستير . جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية .قسم أصول الدين . ١٤٢٠ –٢٠٠٠
– العبيدي ،خمائل علي إسماعيل .الجاذبية الشخصية وعلاقتها بتقييم الذات.
- رسالة ماجستير .جامعة بغداد – كلية الآداب.قسم علم النفس ١٤٢٠ –٢٠٠٠
– القيسي،غفوري عبد الجبار .قياس مفهوم تقبل الذات لدى معوقي الحرب. .رسالة ماجستير .الجامعة المستنصرية .كلية الآداب .قسم علم النفس . ١٤٠٩ – ١٩٨٨ .

الدوريات

– <u>الأديب :</u>
– حسن،ممتاز .إقبال ونظريته في الفن . العدد ٦ .المجلد ٣٧ .السنة التاسعة عشرة .بيروت.١٩٦٠ .
– طعمة، د. جورج. إقبال. المفكر المجدد .العدد ٩ . السنة الثانية عشرة. بيروت . ١٩٥٣ .
– <u>التربية الإسلامية :</u>
– شوكت ،عبد الوهاب .الداعية الإسلامي الدكتور محمد إقبال .العدد ٢ . السنة السادسة. بغداد .١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ .
– <u>الثقافة :</u>
– أمين، أحمد. السوبرمان او الإنسان الكامل . العدد ٢٢٢ .السنة الخامسة. القاهرة. ١٣٦٢ هـ – ١٩٤٣ .
– الكتاني ،محمد . الإسلام والتطور في ضوء فلسفة محمد إقبال . كانون الثاني . دمشق .١٩٧٩ .
– <u>ثقافة الهند :</u>
– برني، سيد مظفر حسين . تأثير الفلسفة والفكر الهنديين في شعر إقبال. العدد ٣ . المجلد ١٥ . المجلس الهندي للعلاقات الثقافية . نيودلهي .٢٠٠٠م.

– دسنوي،البروفسور عبد القوي . أبو الكلام آزاد ومعاصره شاعر الشرق محمد إقبال .العدد ١-٢ . المجلد ٣٩ . ١٩٨٨ .
– ديفارجا، ن .ك . عنصر الإنسانية في الفكر الديني الفلسفي الهندي . العدد ٣-٤ .المجلد ٣٤-١٩٨٨ .
– الفاروقي، د. نثار أحمد. إقبال في العالم العربي . العدد ٢-٤ المجلد ٤٥. ١٩٩٤ .
– الكشميري، د. عبد الماجد . دراسة مقارنة بين أندلسيات شوقي وإقبال . العدد ٤ . المجلد ٤٨ . ١٩٩٧ .
– دراسات يمنية :
– المقالح، د. عبد العزيز .إقبال شاعر الإسلام والثورة الاجتماعية . العدد ٥٣ . صنعاء .١٤١٥ هـ ــ١٩٩٤ .
– إقبال ومعركة التحديث والتواصل . العدد ٥٤ . صنعاء . ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ .
– ملامح عن آراء محمد إقبال في الفن والأدب .العدد ٥٧ . صنعاء . ١٤١٨ ــ ١٩٩٨ .
– نماذج من شعر محمد إقبال . العدد ٥٨ . صنعاء . ١٤١٩ ــ ١٩٩٨ .
– الرسالة :
– الهندي ، السيد أبو النصر . محمد إقبال أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر . العدد ١١٣ . السنة الثالثة . مصر ١٣٥٤ ــ ١٩٣٥ .
– محمد إقبال أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر . العدد ١١٥ . السنة الثالثة . مصر . ١٣٥٤ ــ١٩٣٥ .
– محمد إقبال أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر .العدد ١١٧ . السنة الثالثة . مصر . ١٣٥٤-١٩٣٥ .
– محمد إقبال فلسفته ، معالم الاتفاق والاختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب . العدد ١٢٢ .السنة الثالثة . مصر .١٣٥٤-١٩٣٥.
– الرسالة الإسلامية :
– سوادي ، ذنون علي. التصوف الشرعي. العدد ٢٦٦ . بغداد . ١٤٢١ ــ٢٠٠٠.
– العربي :
– محمود،د. فوقية حسين.الفيلسوف الألماني الداعية فخته.العدد ١٥٣ .الكويت . ١٩٧١ .
– هويدي ، د. فهمي .لاهور . العدد ٢٥٣ . الكويت . ١٤٠٠ ــ١٩٧٩ .

– **العلوم الاجتماعية :**
– **المحمدي ، د. عبد القادر موسى . الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي الإسلامي . العدد ١١ . بغداد . ١٩٩٩ .**
– **الفكـــر :**
– **طعمة، د. جورج . فلسفة إقبال . العدد ١٠٢ السنة ١٠ . تونس . ١٩٦٤ .**
– **الفكر العربي المعاصر :**
– **محمود ، د. عبد القادر . محمد إقبال والفكر الديني الحديث.العدد ١٦ . ١٩٦٦ .**
–
– **فكر وفن :**
–
– **الحوار بين الإسلام والغرب . الباكستان تحتفل بذكرى الشاعر الفيلسوف محمد إقبال . العدد ٤٥ . العام ٢٤ . ١٩٨٧ .**
– **الحيدري، راشد. محمد إقبال والثقافة الألمانية . العدد ٢ . العام الأول. ألمانيا . ١٩٦٣ .**
– **شيمل، آنا ماري . الأدب العربي في شبه القارة الهندية . العدد ١٩ . العام العاشر . ألمانيا . ١٩٧٢ .**
– **. إقبال في سياق حركات الإصلاح الهندية . العدد ٣٢ . العام ١٦ . ألمانيا . ١٩٧٩ .**
– **فايشر مانويل. محمد إقبال وعلاقته بالثقافة الغربية. العدد ٣٢. العام ١٦ ١٩٧٩ .**
– **فوك، يوهان. إقبال وحركة التجديد الإسلامية الهندية. العدد ٣٢ . العام ١٦ .١٩٧٩ .**
– **فون – فولتهايم، هانس هاسو. المقابلة الأخيرة مع إقبال . العدد ٣٢ العام ١٦ . ١٩٧٩ .**
– **ماريك ، يان . الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال . العدد ٣٢ . العام ١٦ . ١٩٧٩ .**
– **هسة ، هرمان . إقبال . العدد ٣٢ العام ١٦ . ١٩٧٩ .**
–
– **مجلة الوعي :**
– **الأموي ، شكيب . محمد إقبال . العدد ٢٥ . السنة الخامسة.باكستان . ١٣٧٥ – ١٩٥٦ .**
– **أمين ، د. عثمان . رسالة محمد إقبال . العدد ٥ . السنة الأولى . ١٣٧٥ –١٩٥٣ .**

– بدرخان ، السيدة روشن . محمد إقبال . العدد ٢١ . السنة الخامسة . ١٣٧٥ – ١٩٥٦
– الزيات ، أحمد حسن . تحية لشاعر الإسلام في يوم ذكراه . العدد ٦ . السنة الأولى . ١٣٧٢ – ١٩٥٣ .
– صروف ، فؤاد . عبقرية آمرة . العدد ١٤ . السنة الثالثة . ١٣٧٤ –١٩٥٤ .
– عزام ، د. عبد الوهاب . إقبال في مسجد قرطبة . العدد ١٩ . السنة الرابعة . ١٣٧٥ – ١٩٥٦ .
– العقاد، عباس محمود . تصوف محمد إقبال من الهند أو من الإسلام . العدد ٥ السنة الأولى . ١٣٧٢ –١٩٥٣ .

## المصادر باللغة الأجنبية


- a.h,(khalifa)"rumi,nientzsche and iqbal" in book(iqbal as athinker) lahor,1952.

-Abdul vahid,(syed) "thoughts and Pakistan reflections of iqbal" lahor.1964.

-gardet,(louis) "philosophie arabo-muslmone et philosophie europeenne daujourdhi"

ضمن كتاب دراسات فلسفية مهداة إلى روح د.عثمان أمين.القاهرة.دار الثقافة.١٩٧٩

-gibb,(h.a,r)"mohammedonism an historical survey "third Printing .u.s.a.1964

- Guillaume,(Alfred)"islam" second edition ,Edinburgh. 1965

-Iqbal,(muhammed)"the mysteries of selflessness "translated Arthur. j.arberry.first edition .lahor. 1961.

- Iqbal,(muhammed)"thepilgrimage of eternity Being "javid nama) translated sheikh muhmud ahmad.lahor.1961.

- Jamil(dr.k.m.)"nietscha and bergson"first published Pakistan.1959. - khawaja abdurrhim"iqbal the poet of tomorrow "majlis igbal.lahor.

- malk(hafeez)"igbal poet philosopher of Pakistan "newyork and London .1971.

-raschid (m.s)"iqbal's concept of god" first published .london-newyork 1981.

-Saidon (k.g)"iqbal'seducational philosophy"six edition. lahor-pakistan.1965.

-Schimmel(Annemarie)"Gabriel wing" leidn.1963.

-siddiqi(mazheruddin) "concept of muslim culture in iqbal" Islamabad-pakistan.1970.

-smith (Wilfred cantweel) "islam in modern history" second printing.u.s.a.1961.

-smith (Wilfred cantweel)"modern islam in india" second edition .lahor –pakistn .1947.

**الموسوعات الاجنبية**

**- b.a.dar "iqbai,Muhammad" edwards(paul) the encyclopedia of philosophy.volume 4 london 1967.**

**s.m.c.d "iqpai Muhammad" Encyclopaedia Britannic. V9.**